

دُرِّدَ الْفَرَادُ
فِي خُطْبِ الْمُسَاجِدِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دُرَرُ الْفَرَائِدِ
فِي خُطَبِ الْمُسَاجِدِ

تأليف
السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَلَاحٍ الْعَجْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

(ت ١٤٢٧ هـ)


مَكْتَبَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ (٨)

صف وتحقيق وإخراج:



اليمن - صعدة - ت (٥٣١٥٨٠) سيار (٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة أهل البيت (ع)

تقديم المولى العلامة محمد بن عبد الله عوض حفظه الله



الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه وبركاته على نبينا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين.

وبعد..

فهذه مجموعة من خطب الجمععات في مواضع شتى، جمعها السيد العالم العلامة الورع الزاهد العابد، ذو الأخلاق النبوية، والفضائل الرضية المرضية، ذو البصر والبصيرة وصلاح السريرة، عبد الله بن صلاح العجري رحمه الله رحمة الأبرار رحمة واسعة، وألحقه بآبائه الطاهرين.

وقد كان هذا العالم الرباني من عباد الله الصالحين الذين يمشون على الأرض هوناً، قضى عمره في الدرس والتدريس والإرشاد، وكان ينتقل من بلاد إلى بلاد للتدريس والإرشاد مع كبر سنه وضعف بدنه لا يفتر ولا يمل، وكان رحمة الله عليه من أكبر أعوان سيدي العلامة الكبير الحسين بن يحيى رحمته الله في نشر العلم والتدريس والإرشاد، فجزاه الله خير الجزاء، وضاعف أجره ورفع منزلته، وأصلح له في عقبه إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

محمد عبد الله عوض

بتاريخ ٢٩ / ٥ / ١٤٤٠ هـ.

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥].

ولقول رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ (الحوض))، ولقوله ﷺ: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهو))، ولقوله ﷺ: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله ﷺ: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خلّقوا من طيبي؛ ورزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بين ﷺ بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريتهما عليهما السلام -

عندما جلّهم ﷺ بكسائه وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابة لذلك كلّ كان تأسيس مكتبة أهل البيت (ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت (ع) تمثلاً في الزيدية، أنواع الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين ﷺ عبر نشر ما خلفه أئمتهم الأطهار ﷺ وشيعتهم الأبرار رضوان الله عليهم، وما ذلك إلا لثقتنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت ﷺ هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

واستجابة من أهل البيت ﷺ لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم ﷺ، كان منهم تعميد هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكية الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمل التاريخ وجدّهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعدته، والرضا بخيرته من خلقه.

ولأن مذهبهم ﷺ دينُ الله تعالى وشرّعه، ومرادُ رسول الله ﷺ وإرثه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله ﷺ: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجة / محمد الدين بن محمد المؤيدي (ع): (واعلم أن الله جلّ جلاله لم يرتض لعباده إلا ديناً قوياً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عز وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣].

وقد علمت أن دين الله لا يكون تابعا للأهواء: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [الزمر: ٦١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقد خاطب سيد رسله ﷺ بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١٣] وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [هود: ١٣]، مع أنه ﷺ ومن معه من أهل بدر، فتدبر واعتبر إن كنت من ذوي الاعتبار، فإذا أحطت علما بذلك، وعقلت عن الله وعن رسوله ما ألزمتك في تلك المسالك، علمت أنه يتحتم عليك عرفان الحق واتباعه، وموالاته أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ومفارقة الباطل واتباعه، ومبايئتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحة: ١]، في آيات تثلي، وأخبار تثلي، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البينة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] (١).

وقد صدرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت (ع):

١- الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة (ع) ٦١٤ هـ، مذيلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/

(١) التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

الحسن بن الحسين بن محمد عليه السلام ١٣٨٨هـ.

٢- مَطْلَعُ الْبُدُورِ وَجَمْعُ الْبُحُورِ فِي تَرَاجِمِ رِجَالِ الزَّيْدِيَّةِ، تأليف/ القاضي العلامة المؤرخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال عليه السلام، ١٠٢٩هـ - ١٠٩٢هـ.

٣- مَطَالِغُ الْأَنْوَارِ وَمَشَارِقُ الشُّمُوسِ وَالْأَقْمَارِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ع) - ٦١٤هـ.

٤- مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني (ع) ٣٧٦هـ - ٤٠٤هـ.

٥- مَحَاسِنُ الْأَزْهَارِ فِي تَفْصِيلِ مَنَاقِبِ الْعِتْرَةِ الْأَطْهَارِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي الهمداني الوادعي عليه السلام - ٦٥٢هـ.

٦- مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.

٧- السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم (ع) - ت ١٢٦٩هـ.

٨- لَوَامِعُ الْأَنْوَارِ فِي جَوَامِعِ الْعُلُومِ وَالْآثَارِ وَتَرَاجِمِ أُولِي الْعِلْمِ وَالْأَنْظَارِ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٩- مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي (ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) ٧٥هـ - ١٢٢هـ.

١٠- شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة (ع) - ت ٦١٤هـ.

١١- صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة (ع) ت ٦١٤هـ.

١٢- المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، لِمُخْتَصَرِهِ/ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري عليه السلام.

- ١٣- هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ت ٨٢٢هـ.
- ١٤- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.
- ١٥- المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.
- ١٦- نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.
- ١٧- تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمته الله - ٤٩٤هـ.
- ١٨- عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ١٩- أخبار فخر وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمته الله.
- ٢٠- الوافد على العالم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦هـ.
- ٢١- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).
- ٢٢- الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ٢٣- المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكل مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلقي رحمته الله ت ١٢٨٢هـ.
- ٢٤- خمسون خطبة للجمع والأعياد.
- ٢٥- رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت ٦١٤هـ.
- ٢٦- الرسالة الصاعدة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

- ٢٧- إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ٢٨- الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ٢٩- النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي (ع) ١٣٤٣هـ.
- ٣٠- سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.
- ٣١- الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).
- ٣٢- أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.
- ٣٣- الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي (رحمته الله) - ٦٦٧هـ.
- ٣٤- العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد (ع) ٦٦٣هـ.
- ٣٥- الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين (ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.
- ٣٦- كتاب التحرير، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ع) - ٤٢٤هـ.
- ٣٧- مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني (ع) ١٣١٩هـ.
- ٣٨- القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).
- ٣٩- قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٤٠- نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/

- محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٤١- معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٤٢- الاختيارات المؤيدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
- ٤٣- من ثمار العلم والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٤٤- التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع) (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
- ٤٥- المنهج الأقوم في الرفع والضم والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيي على خير العمل في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النفع الأعم، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع).
- ٤٦- الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).
- ٤٧- البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد المؤيدي (ع) (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
- ٤٨- الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) (٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ).
- ٤٩- المختار من (كتر الرشاد وزاد المعاد، تأليف/ الإمام عز الدين بن الحسن (ع) ت ٩٠٠هـ).
- ٥٠- شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.
- ٥١- الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٥٢- تعليم الحروف.
- ٥٣- سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية.
- ٥٤- سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠).
- ٥٥- تسهيل التسهيل على متن الأجرومية.

- ٥٦- أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة / محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٥٧- متن الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، تأليف / العلامة محمد بن يحيى بهران (ت: ٩٥٧هـ).
- ٥٨- الموعظة الحسنة، تأليف / الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني (ع) - ١٣١٩هـ.
- ٥٩- أسئلة ومواضيع هامة خاصة بالنساء، تأليف السيد العلامة / محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٦٠- المفاتيح لما استغلق من أبواب البلاغة وقواعد الاستنباط، تأليف السيد العلامة / محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٦١- سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين / الجزء الثاني الحركات وتركيب الكلمات.
- ٦٢- سلسلة تعليم مبادئ الحساب / الأعداد الحسابية الجزء الثاني.
- ٦٣- المركب النفيس إلى أدلة التنزيه والتقديس، تأليف السيد العلامة / محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
- ٦٤- المناهل الصافية شرح المقدمة الشافية، تأليف / العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري، ت ١٠٣٥هـ.
- ٦٥- الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، تأليف / السيد العلامة أحمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٧هـ.
- ٦٦- الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤل، تأليف / الفقيه العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي، ت ١٠٦١هـ.
- ٦٧- مجمع الفوائد المشتمل على بغية الرائد وضالة الناشد، تأليف الإمام الحجّة / مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ٦٨- كتاب الحج والعمرة، تأليف الإمام الحجّة / مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي (ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
- ٦٩- المسطور في سيرة العالم المشهور، تأليف السيد العلامة / محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧٠-محاضرات رمضان في تقريب معاني الآيات القرآنية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧١-زبر من الفوائد القرآنية ونوادر من الفرائد والقلائد الربانية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧٢-المنتزع المختار من الغيث المدرار المعروف بشرح الأزهار، تأليف العلامة عبد الله بن مفتاح رحمه الله تعالى.

٧٣-متن غاية السؤال في علم الأصول للسيد العلامة الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ع) ت (١٠٥٠هـ).

٧٤-درر الفرائد في خطب المساجد، تأليف السيد العلامة عبد الله بن صلاح العجري رحمه الله تعالى.

وهناك الكثير الطيب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كثر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والثوبة.

وختاماً نتشرف بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعث كنوز أهل البيت (ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت (ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به (ع) فأقول: اللهم صل على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارين، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضلته وكرمه، والله أسأل أن يصلح

العمل ليكون من السعي المتقبل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختتم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف ١٥].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجد الدين بن محمد المؤيدي

خطبة في توحيد الله عز وجل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

الحمد لله الواحد الأحد الجبار، الفرد الصمد، العزيز القهار، العالم القادر، الحي الحكيم الغفار، أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مبتدع البرايا بلا ظهير ولا معين، وخالق الكائنات سوى أفعال عبيده المؤمنين والكافرين.

خلق ما خلق لغير حاجة منه إلى ذلك، فتبارك الله رب العالمين، وإنما لإظهار قوته وقدرته وعظمته، وإبانة علمه وحكمته وجبروته وعزته، وليدلنا بذلك على تفردته ووحدانيته، ولنعرفه حق المعرفة فتؤدي له وحده ما افترض علينا من عبادته.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وأمينه على وحيه ونجييه من خلقه وصفيه من عباده صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته وعبادته فالله جل جلاله يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات].

والركن الأساسي للعبادة هو معرفة الله الذي لا يستحق العبادة شيء سواه، فيجب علينا أن نعلم أن الله وحده هو الذي خلق هذا العالم وكل ما هنالك من عوالم لا نعلم عنها شيئاً، وقد دلتنا العقول على هذه الحقيقة فهل رأينا بناء بغير بان، أو مصنوعاً بلا صانع، حتى ما يكون في غاية الصغر، فكيف بهذا العالم الواسع الذي يلف بين جوانحه شمساً مضيئة وقمرأ منيراً وماءً وهواءً وأرضاً ونباتاً وحيواناً وإنساناً، كلٌ تحت نظام دقيق ولا يحيد عن القانون العام شيء إلا فسد وأفسد!!

فلا يكون نظام إلا بمنظم ولا حركة إلا بمحرك، فالمنظم هو الله، والصانع هو الله، والمحرك هو الله.

وقد أشار القرآن الحكيم إلى هذا الأمر الفطري في عدة آيات، ومن ذلك ما يقول العلي الأعلى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة].

فنظام العالم نظام موحد، يدلنا بحق على الإله الواحد فكل شيء في هذا العالم مرتبط بالشيء الآخر، فلو لا الماء لم يكن النبات، ولو لا النبات لم يكن حيوان، ولو لا النبات والحيوان لم يكن إنسان، ولو لا الشمس لم يكن حي، ولو لا الهواء لم يعقل وجود شيء نام، حتى إن العلماء يذكرون أن بقاء الإنسان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخوافي أجنحة الطير فلو لا الخوافي هذه لم تكن قوادم، ولو لا القوادم لم يطر طائر، ولو لا الطير لامتلأ الهواء والأرض بالهوام التي تفسد الزرع والضرع، وبفسادها يهلك الإنسان.

فهذا النظام الموحد لا يكون إلا عن إله واحد، وقد أشار القرآن الحكيم إلى ذلك قال الله عز وجل: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون]، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ومن هنا عُرِفَتْ وَتُحَقِّقَتْ صفات الله التي هي العلم والقدرة والحياة والحكمة والوجود والقَدَم وغيرها من صفات الكمال؛ يدل على جميع ذلك ما سبق ذكره في صنع الأشياء المتقنة وإبداع المخلوقات العظيمة؛ إذ لا يمكن أن تكون إلا من حي قديم وقادر عليم وحكيم خبير وسميع بصير، وعزيز مريد.

ودلتنا العقول على العلم بأن الله صادق فيما يبشر وينذر ويخبر لا يكذب أبداً ولا يخلف الميعاد، ذلك لأن أسباب الكذب تكاد تنحصر في ثلاثة أمور: إما خبث في نفس الكاذب، وإما افتقار إلى جلب نفع بالكذب أو دفع ضرر، وإما جهل بالحقيقة.

وكلها فالله منزّه عنها، فلا يتطرق إليه زيغ أو فساد، وهو القادر فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والعالم الذي لا يجهل صغيراً ولا كبيراً، كائناً أو يكون.

ودلتنا العقول كذلك على أن الله هو الغني بكل ما لهذه العبارة من معنى، غني في وجوده فلا يحتاج إلى خالق، وغني في ملكه فلا يحتاج إلى من يملكه، وغني في علمه فلا يحتاج إلى معلم، وغني في خلقه فلا يحتاج إلى مشير أو ظهير، غني في ذاته فلا يحتاج إلى آلة أو تجربة، وغني في أحواله فلا يحتاج إلى خزينة أو رصيد أو ما يفترق إليه الأغنياء من البشر الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأعظم دليل على أنه غني هو ثبوت القدرة العظيمة له التي لا حد لها ولا نهاية. وعلمنا على وجه الحقيقة أن الله عادل؛ لأن أسباب الجور هي إما الجهل بالحق، أو الافتقار إلى نفع بالجور أو دفع ضرر، أو الميل لقرابة أو صداقة، أو العجز عن الاستيفاء بالحق فيجئ إلى الباطل والجور، أو خبث في الجائر ومحبة للباطل.

فهل يتوفر سبب من هذه الأسباب بالنسبة إلى الله جل وعز وتعالى؟! كلا وألف كلا، فهو جل ثناؤه وتقدست أسماؤه العدل الذي لم يقض بالفساد على أحد من خلقه، ولم يظلم منهم كبيراً ولا صغيراً ولا عزيزاً ولا حقيراً، بل أرشدهم جميعاً وهداهم، وبالنعم الجليلة الجزيلة ابتدأهم.

لم يصدّهم عن رشدهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم، ولم يمنعهم هدايتهم، ولم يكلفهم فوق طاقتهم، ولم يكن علمه بعصيانهم مانعاً لهم عن توبتهم وإقلاعهم عن خطيئاتهم.

وهو البرئ من ذنوبهم، والناهي لهم عن ظلمهم، والداعي لهم إلى خلاصهم، والمبتدئ بالفضل والإحسان إليهم، أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وجاءت الرسل ﷺ بالإعذار والإنذار، وللترغيب في الجنة والتحذير من النار؛ إذ لم يقدر الإله الحكيم ذنوبهم، ولم يصدّ

منبيهم، ولم يدخلهم في معصية، ولم يخرجهم عن طاعته، ولم يخلق من أفعالهم فعلاً حسناً ولا قبيحاً، ولم يحل بينهم وبين الهدى، ولم يحملهم على كفر أو ردئ، تعالى عن ذلك العلي الأعلى الكاره للخطايا، والمجازي بالحسنى والمعاقب على الأسواء، الصادق في وعده والمنجز لوعيده.

وأن الله جل وعلا لم يخلق أحداً للكفر والعصيان ولا للظلم والعدوان، ولا للعذاب المهين في النيران، وإنما خلق العباد لطاعته وعبادته، وخلقهم رحمة لهم وتفضلاً عليهم، ودلالة على الوجدانية وتعريفاً بالحكمة، وجعل فيهم الاستطاعة وخيرهم فيها تحييراً، وركب فيهم المقدرة وعلم أنهم إن أرادوا كلهم العبادة فإنهم يقدرون عليها، وإن أردوا المعصية فإنهم كذلك يقدرون عليها؛ لما فيهم من الاستطاعة.

ثم امتحنهم بالأمر والنهي ليميز المطيع من العاصي من غير جهل منه بما يختارون، وجعل الثواب للمطيعين والعقاب للعاصين. فإذا عرفنا الله حق معرفته فإننا حينئذ نكون على بصيرة من أمرنا في توجيه العبادة له وحده.

وفقنا الله وإياكم لمعرفته وطاعته، وأعاننا على أداء شكره وذكره وحسن عبادته، وأعاذنا وأجارنا من الجهل والضلال، وبصرنا من العمى، وهدانا إلى الحق، ورقّانا إلى ذروة الكمال إنه هو الله الكبير المتعال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾.



خطبة فيها تنزيه الله عن الظلم والجور والحث على الأعمال الصالحة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق الخلائق وأجرى فيها سنناً رشيدة، وأركز فيها أنظمة حكيمة، فهدى الإنسان بالعقل والوحي إلى تلك السنن والأنظمة، بعد أن منحه المشيئة وأعطاه الحرية وألهمه الفجور والتقوى، ومكنه من الاستقامة التي ستمطر بركات السماء وتفجر خيرات الأرض، وتقود حياته إلى جنة ورضوان، خيرّه ومكنه من هذه الاستقامة كما مكنه من الانحراف عن الصراط، والانجراف مع الشهوات التي تحرق الزرع والضرع وتفسد على البشر حياته ومستقبله، وتهديه إلى النار وبئس المصير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن التقوى حق الله عليكم، فاتقوا الله واستعينوا عليها بالله، فالتقوى في الدنيا حرز وجنة، وفي الآخرة هي طريق الجنة، مسلكها واضح وسالكها رابح.

أيها المؤمن، مثل الآخرة والموت نصب عينيك وكن من الله على وجل، وأد فرائض الله عز وجل، واكف عن محارمه، واعلم أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوا من خيراتها بأفضل ما أكلت، نالوا فيها ما ناله المترفون، ثم انقلبوا بالزاد المبلغ والمتجر الرابع، أصابوا لذة الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الموت وقربه وأعدوا له عدته، فإنه يأتي بأمر عظيم وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً.

فاتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن الله جل وعلا يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

نعم، إن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لعباده إكراماً لهم وامتناناً عليهم، به ينجحون في الدنيا، وبتابعه يفلحون في الآخرة، فيجب على العباد أن يجاهدوا الأخلاق السيئة؛ لأن الإقامة عليها لا تتلاءم مع قدس الإسلام، يقول بعض الحكماء: «من أساء خلقه عذب نفسه»، فعلى كل عاقل أن يتخلص من هذا العذاب الذي هو ضعة وخسة في النفس ونقص في الإنسانية، وشذوذ عن التوازن، والتخلص من هذه الأخلاق هو جهاد النفس، الوارد في الرواية عن رسول الله ﷺ التي معناها: انتهينا من الجهاد الأصغر ولنعد إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس، فالنفس عدو مخادع وخصم ألد، تحمل سلاح الغدر تحت ستار النصيحة، فهي عدو داخلي يجب إخضاعه بقوة العدل، يجب إخضاعه لحكومة العقل وإشاراته وإرشاداته التي يقرها الشرع الشريف، وهذا هو العدل، هذا هو العدل الذي يجب أن يتحلى به كل فرد من أفراد الأمة؛ إذ لا يكون الإنسان عادلاً حتى يخضع الشهوات لحكم العقل، فيغض طرفه عن المحارم، ويلجم الغضب بلجام الحكمة لتترفع نفسه عن المظالم، فهذا هو العدل وهذه هي العفة بمعناها الشامل.

سئل الصادق عليه السلام عن صفة العدل في الإنسان كما يروى عنه فقال: «إذا غض طرفه عن المحارم، وكف لسانه عن المآثم، وكف نفسه عن المظالم»، وقال في مناسبة أخرى: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب، وإذا اشتهى وإذا غضب، حرم الله جسده على النار».

فالعادل حقاً من توازنت ملكاته واعتدلت أخلاقه، والرسول ﷺ يقول: ((من أنصف الناس من نفسه ظفر من الجنة بالغاية القصوى، ومن كان الفقر

أحب إليه من الغنى، فليجتهد عباد الحرمين أن يدركوا فضل ما يعطى^(١).
أيها المؤمنون، إن تهذيب الغرائز النفسية وإخضاعها لحكم العقل في مقدور كل عاقل، وكذلك الخروج عن مؤثرات البيئة والتربية هو في مقدور الإنسان وباختياره، فالإرادة حرة.

أما القائلون بأن الإرادة مسخرة لما ينفذه القضاء وإن الإنسان مسير؛ فإنهم بذلك ينكرون المحسوس والمعقول، بل يبطلون أكثر التشريعات، سيما تشريعات القوانين للحد من الجرائم وفرض العقوبات على المجرمين.

نعم، إن الإنسان إذا أحسن توجيه إرادته إلى أعمال الخير ومحاسن الصفات والأخلاق الفاضلة، فإنه الإنسان العظيم، وإن عكسه من يوجه إرادته إلى أعمال الشر ومساوئ الأخلاق؛ لأن الصفات الخلقية تتكون من زوجين اثنين متقابلين، فلا واحد بحق إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد، فهناك خير ويقابله الشر، وهناك عدل ويقابله الظلم، وهناك نور وتقابله الظلمة، وهناك حرارة وتقابلها البرودة، وهناك تكبر ويقابله التواضع، وهكذا.

ونحن هنا نحذر أنفسنا من التكبر، من هذا المرض الخبيث والفيروس المتمرد، هذا الداء الذي أنشأ مخالبه في كثير من الخلائق من الأمم الماضية والحاضرة، وأودى بهم إلى الخلود في نار الجحيم واللعن مع الشيطان الرجيم، فعلينا جميعاً أن نأخذ الوقاية الكاملة، ونبحث عن الحصانة التي تحصننا من هذا الداء العظام وهذا الفيروس؛ لنضمن نجاة أنفسنا من عذاب الله الأليم، ولنرافق الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وأن تلکم الوقاية وذلكم الحصن الحصين هو إخلاص الأعمال لله، والتواضع للحق وأهل الحق، والالتزام بمن أمر الله ورسوله بالالتزام بهم، ﴿فَلَا

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده.

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

إن الإسلام أشدُّ وأقوى طبيبٍ نفسيٍّ يعالج الأمراض المستعصية والمزمنة في النفس الإنسانية؛ لأنه يارس مع الفرد أسلوباً رائعاً إذا أخذ به كما هو وعلى حقيقته، فالتكبر والإعجاب بالنفس مرض خطير يفسد النفوس ويخرجها عن طبيعتها، إن النفس إذا أعجبت بعملها فإنها تزهو، وأخذ هذا الزهو والتهيزداد ويزداد، حتى يصبح هذا المعجب بنفسه لا يرى عملاً صالحاً لغيره، ولا يرى أمامه إلا عمله، بل قد يصل به الإعجاب إلى أن يمن على الله ويُبدلَّ بعمله، ويرى نفسه أكبر من أن يسأل عن عبادة الله وطاعته، وهذا بلا ريب يحجب القلب عن الله، ويمنع رؤية كرم الله وإنعامه وفضله، وفي ذلك إفساد للقلب والنفس.

ولنا عبرة إبليس اللعين، فإنه أعجب بكثرة عبادته التي قد قام بها واستمرت ستة آلاف سنة، فخيَّلَ له أن لا أفضل منه؛ ولذلك تمرد على الله وامتنع عن السجود مع الملائكة الكرام، وقد قضت حكمة الله تعالى باختبار الخلائق ليحصل التمييز بين المخلصين لله بالعبودية المطلقة، وبين المرائين؛ ليظهر كل فريق منهم على حقيقته التي يخفيها ويضمهرها، يظهر ذلك عياناً لنفسه ولغيره من المخلوقين الذين لا يطلعون إلا على الأعمال الظاهرة، فعند أن تظهر الحقائق عياناً يعرف الناس عدل الله وحكمته بالثواب للمطيعين والمخلصين، والعقاب للعصاة والمرائين.

فتتواصى بتقوى الله وإيثار طاعته، تتواصى بسلوك نهج المتقين، القائمين بما أوجب الله عليهم من الثبات على الحق والتمسك به والدفاع عنه بكل الوسائل، السائرين في نهج الله القويم وصراطه المستقيم، ولا علينا مع ذلك أن نسعى لصلاح ديانا للاكتفاء الذاتي والاستغناء عن أشرار الخلق، فالسعي إلى طلب الحلال مشروع ومرغب فيه، يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((اعمل

لدينا كَأَنْكَ تَعِيشُ أَبَدًا، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا^(١).
 صَدَقَ ﷺ فَإِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ جَانِبَيْنِ بَيْنَهُمَا تَدْعَمُ حَيَاتُهُ وَتَسْمُو صِفَاتُهُ:
 جَانِبٌ مَادِي يَشْتَرِكُ فِيهِ كُلُّ حَيْوَانٍ، وَجَانِبٌ رُوحِي يُخْتَصُّ بِهِ الْمَكْلُفُونَ مِنَ
 الْعِبَادِ، فَإِذَا أَعْطَاهُ الْإِنْسَانُ حَقَّهُ مِنَ الرِّعَايَةِ فَإِنَّهُ يَنْتَهِي بِهِ إِلَى السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ فِي
 الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَالسَّعِيدُ مَنْ اعْتَدَلَ لَدَيْهِ هَاتَانِ الْكَفْتَانِ، وَالْعَاقِلُ مَنْ أَمَكَّنَهُ السَّيْرَ بَيْنَهُمَا
 مَعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا فَيُعْطِي كُلَّ جَانِبٍ حَقَّهُ؛ لِأَنَّهَا إِنْ طَغَتْ الْجَنْبَةُ الْمَادِيَّةُ عَلَى
 الرُّوحِيَّةِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- فَإِنَّ صَاحِبَهَا يَهْوِي إِلَى مَنْخَفَضِ الْخَسَةِ وَالْهَلَكَةِ،
 وَيَتَدَهَوَّرُ إِلَى ظُلُمَاتِ الْغَوَايَةِ، وَإِذَا رَعَى الْجَانِبَ الرُّوحِيَّ فِي كَيَانِهِ وَلَمْ تَتَغَلَّبْ عَلَيْهِ
 الْمَغْرِيَّاتُ الْمَادِيَّةُ فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَسَعَدَتْ حَيَاتُهُ وَرَغَدَ عَيْشُهُ فِي
 النَّشْأَتَيْنِ.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، وَمَنْ
 يُوَثِّرُ الْحَقَّ فَيَعْتَمِدَهُ، وَيُرِيدُ الصَّدَقَ فَيَقْصِدُهُ إِنَّهُ سَمِيعٌ مَجِيبٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
 إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.
 أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا
 تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ
 فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١﴾ [فاطر].



(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن ابن عمر.

خطبة فيها ضرورة الإيمان بالمعاد وأنه السبيل لالتزام الإنسان بمنهج الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القادر العليم، الحمد لله الفاطر الحي القديم، الذي خلق ما خلق بغير تعليم وسلك به في منهج الحكمة المستقيم، الذي لا يعرفه المكلفون بالعيان، وإنما يعرفه أهل الإيمان بما ابتدعه من خلقه وأبان، وجعله على ذاته أعظم برهان، الغني الذي لا تجوز عليه الحاجة والفاقة، والمكلف لعباده دون الطاقة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً عدلاً حكيماً لا يجور، ولا يقضي بالفساد في أمر من الأمور.

وأشهد أن سيدنا ومولانا وحبيبنا وعظيمنا محمداً عبده ورسوله، المبعوث على حين فترة من الرسل وانقطاع من السبل، وطموس من الهدى وظهور من الكفر والردى، فقام بنصر الحق وحزبه، وأعلن بإهانة الباطل وسبه، وجاهد في الله حق الجهاد، وبلغ ما أمره الله بتبليغه إلى العباد ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال]، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام.

أما بعد، **عباد الله**، فإن الله تعالى خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته، وقرن الإيمان بالبعث وما يتفرع منه بالإيمان به عز وجل وبملائكته وكتبه ورسله، فيقول جل وعلا في معرض الشاء على المتقين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة]، ويقول في مدح فريق من الأعراب: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ [التوبة]، وقال عز من قائل في التنديد بالمنافقين والمخادعين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة].

فلولا الإيمان بالبعث بعد الموت وبالخسر والنشور وبالحساب على النقيير والقطمير، ولولا الخوف من الفضائح أمام الملائكة والأنبياء وأمام الخلائق أجمعين، ولولا الخوف من العذاب الأليم العظيم - لقل العاملون أو ندرؤا من بين أفراد البشر، ولسار الإنسان مع شهواته وأهوائه ونزواته، ولا أحسب أن في كلامي شيئاً من الغلو والمبالغة إذا قلت: إن الذين يعبدون الله لأنه أهل للعبادة لا يتعدون الأنبياء والأئمة الهداة والعلماء الصالحاء، كعلي عليه السلام الذي كان يقول: (والله ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني عرفت أنك أهل للعبادة فعبدتك).

وكحفيده زين العابدين السجاد، الذي كان يقول: «والله لو صمت نهاري وقمت ليلي وأفنيت عمري في عبادة الله لما قمت بشكر نعمة من نعم الله التي لا تحصى»، وأمثالهما من الصادقين، ولذلك فإن الإيمان بالبعث والجزاء هو السبيل إلى قيام المكلفين بما كلفوه من الواجبات، فإن العبد عند إيمانه بذلك يكون أقرب إلى فعل ما أمر به من الطاعات، وإلى ترك ما نهى عنه من المعاصي والسيئات، هذا معلوم عقلاً، فما بال الإنسان في هذه الحياة الزائلة نراه يجهد نفسه؟ ويتحمل المشاق في سبيل تحصيل شيء من حطام هذه الدنيا، مع أن النتيجة مجهولة، فلعل الأجل أو القضاء أو غيره يحول بينه وبين ذلك!!.

كما أنه قد يتجنب الإقدام على فائدة محققة، بمجرد أخبار تحمل الصدق والكذب تزعجه عن الإقدام على ذلك، هذا شيء محسوس ومشاهد، ففكروا وتعقلوا، فإن هذه المآسي والشرور والآثام التي يتخبط فيها الإنسان بما يقوله

وما يعمل له إرضاءً لشهواته ومطامعه، من تسلط على الضعفاء وقتل للأبرياء، وأخذ وأكل أموال الناس بالباطل، والتنكر للدين والعقيدة، والتهاون بالصلوات والصيام والزكاة والحج وجميع الفرائض، والإقدام على كل المحرمات والمظالم التي لا تحصى كثرة في كل عصر ومصر، فهل سيسدل الستار عليها إلى الأبد وكأنها لم تكن بدون أن يعوض الله من ناله من ذلك شيء؟ وهل يعيش الظالم والمفسد في الأرض يعبث في الأرض هل سيموت وينتهي كل شيء؟ وهل من تنكر لدينه وعقيدته، وأغوى الناس عن منهج الله وردهم إلى طريق الشيطان هل ستذهب هذه الأعمال سداً؟! كلا، إن هذا لا ينسجم مع عدل الله وحكمته وغايته من خلق الناس، إن الله تعالى خلق الإنسان ووهبه فأعظم هبته، وكلفه ليختبر طاعته ويقربه من كماله الذي أراده الله له؛ إعلاءً لشأن الإنسان وتكريماً لإنسانيته، وليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

فنظراً إلى ما أشرنا إليه من قلة المخلصين الذين عرفوا الله فقدره حق قدره، وعرفوا أنه أهل للعبادة فعبدوه، فإن السبيل إلى دفع الناس إلى تطبيق منهج السماء وقبول التعاليم الربانية والقوانين الإلهية - بدون مخالفة أو تهاون ولو كانت معارضة لشهواتهم وأهوائهم - هو الإيمان بالمعاد والبعث والحساب، فلا سبيل بدون حافز من الرغبة والطمع في التعويض العظيم على ذلكم التطبيق، أو الخوف والرهبة من العقاب الشديد الموعود به على المخالفة والاستهانة بالأوامر الإلهية، ويكون ذلكم الحافز كامناً في أعماقه ومصاحباً له في كل حالاته وفي سره وعلنه، ألا وهو الإيمان والعلم والعقيدة باليوم الآخر، بما يرمز إليه من ثواب وعقاب لا حدود لهما ولا نهاية، ذلكم اليوم الذي يثيب الله فيه المؤمن العامل بدار خلوده، ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ۝ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ۝﴾ [الواقعة] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ لَا

تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ ﴿١١﴾ [الغاشية] ((فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)).

ويعاقب الله فيه العصاة المجرمين بما أعده من أليم عقابه في نار الله الموقدة ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾ [الهمزة]، في نار تطلّى، حرها لا يطفى، وجديدها لا يبلى، وعطشائها لا يروى، ومسلوبها لا يكتسى، نار أسيرها لا يفادى، وجريحها لا يداوى، ومريضها لا يعافى. ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المنكبات]، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١١﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿١٣﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٤﴾ [الحج].

فهذه العقيدة إذا تمكنت في النفوس هي التي توجه الإنسان نحو الخير، هذه العقيدة التي قد أكدتها جميع الشرائع، والتي تقتضيها حكمة الله عز وجل ولا تحيلها العقول، والتي قد تناولها القرآن في الكثير من الآيات البينات بمختلف الأساليب التي تدحض جميع الشكوك حولها، بل تضعها بين أيدي المؤمنين بالله وكأنها من المحسوسات، هذه العقيدة إذا تمكنت في النفوس والقلوب هي التي تقود الإنسان لقيامه بجميع الواجبات والأعمال الصالحة، وهي التي تصرف الإنسان عن السوء والفحشاء والفساد وجميع المنكرات، وهي التي تهدد الجاحدين وتردهم إلى الصواب، هذه العقيدة هي التي تثير في الأعماق ذلکم الحافز من الرغبة في الثواب والأجور والتعويضات على الأعمال الصالحة، وهي التي تزرع في الأعماق الخوف من العقاب على السيئات، وتضع الإنسان أمام وازع ذاتي يرقب جميع تصرفات الإنسان وأعماله، ويقوده إلى الطريق الصحيح، طريق الخير والعدل والاستقامة.

أما اللجوء إلى توجيه الإنسان بمختلف الوسائل أو مناشدة المجرمين والطغاة بالكف عن الجرائم - فذلك لا يكفي لردع الإنسان عن أهوائه وميوله ما دامت تتعارض مع مصالحه وأهوائه ورغباته، وحتى القوانين التي تضعها الدول لمعاقبة المجرمين ليست بأوفر حظ في النجاح من التخويف بالمواعظ والنداءات المستمرة؛ لأنها وإن أفلحت أحياناً بالنسبة إلى المحكومين الضعفاء الذين لا مال لهم ولا عشيرة ولا جاه، فقد أخفقت بالنسبة إلى غيرهم من الحاكمين وذوي النفوذ والقوة.

فعلينا أن نبذل جهودنا لإرشاد أبنائنا وإخواننا، بعد إرشاد أنفسنا إلى هذه الطريق وهذا المنهاج ليسلكوه، فإننا إذا قمنا بهذا الواجب المقدس، وعلم كل بني إنسان أن الله تعالى يراقبهم في كل حركاتهم وسكناتهم وأقوالهم وأفعالهم ونواياهم، وسيحاسبون على كل صغيرة وكبيرة - إذا قمنا بذلك فإن تلکم الموجات العارمة من الشرور والفساد والجرائم والمنكرات تتلاشى وتنتهي بإذن الله، ويعود الخير والأمن والسعادة للبلاد والعباد، فميدان العمل مفتوح على مصراعيه في سبيل الخير والبر والصلاح والفلاح.

نسأل الله تعالى لنا ولكم التوفيق والنجاح، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعل خير أعمالنا أو آخرها وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم الوقوف بين يديه، وأن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ۖ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٨٦].



خطبة في فضل الصلاة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عزيمة وأزل^(١)، نحمده على عواطف كرمه وسوايح نعمه، ونؤمن به أولاً بادياً، ونستهديه قريباً هادياً، ونستعينه قاهراً قادراً، ونتوكل عليه ناصراً كافياً، عظم حلمه فعفاً، وعدل في كل ما قضى، وعلم بما يمضى وبما قد مضى، مبتدع الخلائق بعلمه، ومُشَيِّئهم بحكمه، بلا اقتداء ولا تعليم، ولا احتذاء لمثال صانع حكيم، ولا إصابة خطأ ولا حضرة ملاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله لإنفاذ أمره وإنهاء عذره، وتقديم نذره، صلى الله وسلم عليه وعلى آله سفن النجاة وهداة الأمم ومصايح الظلم، الذين من تمسك بهم نجا، ومن تخلف عنهم غرق وهوى.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله، واعلموا أن الله خلق الخلق وهو غني عن طاعتهم ولا تضره معصيتهم، أمرهم بعبادته ليكونوا أهلاً للقائه بقلوب سليمة، ويجازيهم على طاعته، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥١ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٢ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٣﴾ [الذاريات].

والعبادة أمور شتى، من أهمها وأعظمها الصلاة، وقد فرضها الله عز وجل على المسلمين للثناء عليه بما يستحقه من توحيد وتمجيد على نعمه التي لا تحصى، وفرضها عز وجل ليدكرهم بأوامره، وليستعينوا بها على تخفيف ما يلاقونه من أنواع المشقة والبلاء.

(١) بسكون الزاي: الضيق والشدة. (لسان العرب).

فنحن إذا نظرنا إلى الصلاة وجدنا أداها والأذان لها عملاً عقلياً، فالدعوة إلى الصلاة كلمات تفرع العقول وتوقظ القلوب: تكبير لله، وشهادة بتوحيده عز وجل، وأن سيدنا محمداً ﷺ عبده ورسوله الذي جاءنا بالصلاة من عند الله، وفيها الحث على الفلاح والنجاح وعلى خير العمل.

هذا هو الأذان، أما الصلاة نفسها فأيات تتلى من كتاب جامع لعزائم الخير ودلائل الرشد، وتكبيرٌ وتسبيحٌ وتحميد، وتعظيمٌ وتمجيد. ومدى قبولها مصحوب بصحو الفكر في إقامتها وتدبر العقل لمعانيها، فرضها الله تعالى ليظهر بها عباده عما اقترفوه بين أوقاتها من الذنوب.

فهي العبادة الأولى في الإسلام ومنزلتها عظيمة، وهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، يفسق تاركها تمرداً، ويكفر تاركها مستحلاً، وهي مفتاح الجنة، فمن أتى بها وإلا فهو من أهل النار، يقول ربنا عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء، ١١٣] أي: فرضاً مفروضاً، وحباً لازماً، ووقفت بأوقات مكتوبة لا تتغير.

ويقول الله عز وجل: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، فاشتراط الله في الدخول في الإسلام ثلاثة شروط: التوبة من الكفر، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة. فمن فرط في واحدة من هذه الشرائط فليس من الإسلام في شيء.

وقال رسول الله ﷺ: ((بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً))^(١)، وعنه ﷺ أنه قال: ((بين العبد

(١) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام في كتاب الصلاة ج ١ / ورواه العنسي في كتاب الإرشاد إلى نجات العباد، من دون ((وأن محمداً رسول الله ﷺ)) والإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بسنده عن ابن عمرو، قوله: ((وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه

وبين الكفر ترك الصلاة))^(١).

واعلموا يا عباد الله، أن الخشوع في الصلاة شيء لازم، فمن صلى بخشوع كانت صلاته تامة، والخاشع فهو الذي يخضع قلبه لله عز وجل وتسيطر عليه الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظته جلال الله وعظمته، وعلى المسلم أن يؤدب جوارحه عند تأديته للصلاة فلا التفات ولا حركة غير ما تفرضه أعمال الصلاة من ركوع وسجود وقيام؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ عندما رأى رجلاً يعبت في الصلاة: ((لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه))^(٢).

ومن الخشوع تدبر آيات الله التي تتلى في الصلاة والاتعاظ بها يقول الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝﴾ [المؤمنون]، وقال عز من قائل: ﴿وَأَنهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝﴾ [البقرة]، معناه: إن الصلاة ثقيلة على النفوس باستثناء الذين خشعت قلوبهم لله عز وجل وحرصت على القرب منه.

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو بأنس بن مالك يصلي، فقال: ((يا أنس، صل صلاة مودع، ترى أنك لا تصلي بعدها أبداً، واضرب ببصرك موضع سجودك، حتى لا تعرف من عن يمينك

سبيلاً)) في أمالي المرشد: ((وصوم رمضان، وحج البيت)) وقريباً منه أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه بسنده عن ابن عمر أيضاً بلفظ: ((بني الإسلام على خمس: توحيد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج)) فقال رجل: الحج وصيام رمضان؟ قال: لا، صيام شهر رمضان، والحج، هكذا سمعته من رسول الله ﷺ.

(١) رواه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي ورواه العنسي في كتابه الإرشاد إلى نجاة العباد بزيادة ((فمن تركها فقد أشرك)) ورواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه بلفظ ((ما بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة)).

(٢) رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب الأحكام، ورواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه بلفظ ((أما هذا فلو خشع)) وكذا في المجموع الحديثي والفقهي للإمام زيد عليه السلام.

ولا من عن يسارك، واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه))^(١). ونحن نعلم أنا لا نُنْقِصُ من ركوعها ولا من سجودها فعلمنا أن النقص يكون بسبب عدم الخشوع لله عز وجل وعدم تدبر آيات الله التي تتلى فيها. فعلى العبد أن يعرف أنه يناجي الله عز وجل، فلا بد حينئذ أن يكون خاضعاً ذليلاً لا يغفل عنه لحظة.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن العبد إذا توضأ فأبلغ في الوضوء، ثم قام إلى الصلاة، فأحسن القراءة فيها، وأتم ركوعها وسجودها حتى ينصرف منها، قالت له الصلاة: حفظك الله كما حفظتني، وصعد بها الملك إلى الرب تبارك وتعالى ولها ضوء فتشفع لصاحبها، وإذا أساء وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت له الصلاة: ضيَّعك الله كما ضيَّعتني، وصعد بها الملك، وعليها ظلم تغلق دونها أبواب السماء، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق، ويضرب بها وجهه))^(٢).

فالصلاة بما تحويه من مراقبة الله عز وجل، وقيام وركوع وسجود له سبحانه، وما تشتمل عليه من معاني القربى له عز وجل، تربط المصلي بخالقه، وتشعره بعلو مكانته فيرى من آثار ذلك ما يردعه عن إتيان القبائح، فيعلم أن الله هو المنعم عليه بالوجود وبالنعم الوافرة والهداية المثمرة، وشرفه تعالى بالتقرب إليه بالصلاة، فكيف بعد أن يعرف هذا كله، كيف به يطاوع نفسه على المعصية؟ وقد عرّفنا القرآن ذلك بقوله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت]، فالله تعالى أمرنا بإقامة الصلاة حيث يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ ولم يقل: صلوا؛ لأن الإقامة هي الإتيان بها كاملة بالتوجه إلى الله والخشوع وتمثل عظمة الله ورحمته. فإذا أدى المصلي

(١) رواه الإمام أبو طالب الهاروني في أماليه.

(٢) رواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه.

صلاته على وجهها الحقيقي صغرت في عينيه الدنيا، ولم يتجرأ على الله تعالى بالمعصية؛ فكانت الصلاة ناهية له عن الفحشاء كما أنبأنا الله، أما إذا لم تكن كذلك فليست من إقامتها في شيء، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يا علي، مثل الذي لا يتم صلاته كحبل حبلى، فلما دنى نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد.

ومثل المصلي مثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، كذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة))^(١).

فعلى العبد إذا أراد الصلاة أن يطهر ظاهره وباطنه من النجاسات والأحقاد والكبر والرياء والسمعة، وإلا فلا قبول لها من الله، روي في حديث قدسي: ((إن الله عز وجل يقول: إنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وقطع نهاره في ذكري، ولم يَتِ مُصِرّاً على خطيئة، ولم يتعاضم على خلقي))^(٢).

فعلى كل مكلف أن يتوجه إلى الله وقلبه حاضر، ويدافع الشيطان ما استطاع، وأن يأتي بصلاته تامة قيامها وقراءتها وركوعها وسجودها واعتدالها.

واعلموا عباد الله، أن عقاب تارك الصلاة شديد، فقد قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾^(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ [الدثر]، وقال رسول الله ﷺ: ((حافظوا على الصلوات الخمس، فإن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة يدعو بالعبد، فأول ما يسأله عن الصلاة، فإن جاء بها تامة وإلا زخ في النار))^(٣).

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

(٢) رواه شيخ الإسلام محمد بن منصور المراتي في كتاب الذكر.

(٣) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام، وروي في كتاب المواظ على الشافية للإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي، وروي في كتاب الإرشاد للعنبي إلا أن بدل ((ولا زخ)) فيها ((ولا زج)).

ويترتب على ترك الصلاة أمور كثيرة، منها ما يحصل في الدنيا، ومنها ما يكون في الآخرة، فإضاعة الصلاة سبب للارتقاء في الشهوات، فالله يقول في قوم ضيعوا الصلاة بعد أن كان آباؤهم متمسكين بهدي الله، قال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ [مريم]، فقد جعل الله ترك الصلاة سبباً للفساد واتباع الشهوات، واتباع الشهوات تُضعف العقول والأجسام وتؤدي بصاحبها إلى الهاوية، فلا يفكر إلا في الدنيا وما فيها فقط، وتصرفه عن الآخرة.

وقد جاءنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من تهاون بالصلاة من الرجال والنساء عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة: ست في الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث في القبر، وثلاث في القيامة، فأما اللواتي في الدنيا: فيرفع الله من حياته البركة، ويرفع الله عن وجهه سيئات الصالحين، ولا يأجره الله على شيء من طاعته، ولا يجعل له نصيباً في دعاء الصالحين، ولا يسمع له دعاء، ولا يمنع منه البلاء والمهالك.

وأما اللاتي عند الموت: فينزل عليه داء وشدة كأنها وضعت على صدره السماوات والأرض، ولو سقي ماء البحر لمات عطشاً، ولو أطمع ما في الأرض لمات جائعاً.

وأما اللاتي في القبر: فيقع في غم طويل، ويخرج من قبره يمشي في ظلمات لا يبصر، ويضيق عليه لحده حتى تختلف أضلاعه.

وأما اللاتي في القيامة: شدة الحساب، وغضب الجبار، والخلود في النار^(١).
وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وجعلنا من الخاشعين في صلاتنا نفلاً وفرضاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا

(١) رواه الأمير الحسين في الشفاء.

محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ
اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿٧٩﴾ [الإسراء].



[في آخر خطبة للنبي ﷺ خطبها في المدينة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، والحمد لله اصطفي محمداً صلى الله عليه وآله برسالته، وارتضاه لنفسه، واتممته على وحيه، وابتعثه إلى خلقه رحمة للعالمين، يبشر بالجنة من أطاعه، وينذر بالنار من عصاه، إعداراً وإنذاراً، وأنزل عليه كتاباً عزيزاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ احتجاجاً على خلقه بتبليغ حجته وأداء رسالته، وإنفاذ حكمه وإقامة شريعته، وتحليل حلاله وتحريم حرامه.

أمراً بطاعته ناهياً عن معصيته، قد أكمل له دينه، وهده إلى رشد، وبصره من العمى، وعصمه من الضلالة والردى، وأقامه على المحجة البيضاء، ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ملاذ اللائذين، ومعاذ العائذين، محجب المضطرين، وكثر المفتقرين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأنه بلغ رسالات ربه، وصدع بأمره وصبر على حكمه، وأوذى في جنبه، وجاهد في سبيله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، تتواصى بتقوى الله وطاعته، ثم بطاعة رسوله صلى الله عليه وآله الطاهرين، الذي طاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله، الله جل شأنه يقول: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيطًا﴾ [النساء].

أيها المؤمنون، إن الله تعالى لم يخلقنا عبثاً، ولن يتركنا سدىً، فهو تعالى لم يخلقنا إلا لعبادته وطاعته، يقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، ولم يكن ذلك لحاجة منه إلى الطاعة منا، وإنما ليختبرنا

ويبلونا أننا أحسن عملاً، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم]، وبين لنا الحرام والحلال، وهدانا النجدين، وأوضح لنا السبيلين.

وهذا رسول البشرية ومنقذها الحكيم يعظنا ويبين لنا ما أعد الله للمطيعين من الثواب، وما توعده به المخالفين والعاصين من أليم العقاب، فقد روى ابن عباس وأبو هريرة قالا: خطبنا رسول الله ﷺ قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها في المدينة حتى لحق بالله عز وجل، فوعظ بمواعظ ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، واقتشعت منها الجلود، وتقلقلت منها الأحشاء.

أقول: وهي حقاً كما وصفها كيف لا وأقواله القيمة أعظم رصيد ورثته الإنسانية من مصادر الفكر والإلهام، بحيث لو تمزقت دونه الستائر لشع حتى لم يبق على الأرض قطعة من ظلام، فرسالة السماء تنطلق على لسانه، وصوته يكرس كل ما في السماء من خير ونور.

فقد كانت تنفجر الآداب والأحكام من نفسه الجياشة ومن قلبه الحنون؛ ليقود أمته إلى الخير الدائم والنعيم المقيم، وينكبها عن هوة المهالك والمزالق الوعرة، ويوقظها من سِنَّة الغفلة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأففال].

أيها المؤمنون، لقد اقتطفتم من تلكم الخطبة الجليلة ما يناسب المقام وإلا فهي خطبة طويلة - بعضها لثلاً أطيل عليكم.

فما قال ﷺ فيها: ((من تولى خصومة ظالم أو أعانه عليها نزل به ملك الموت بالبشرى بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير، ومن ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرّم عليه ريح الجنة، وريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام، ومن خان جاره شبراً من الأرض طوقه الله يوم القيامة إلى سبع أرضين، ومن تعلم القرآن فلم يعمل به وآثر عليه حب الدنيا وزينتها استوجب سخط الله وكان في الدرجة مع اليهود والنصارى الذين ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم، ومن رجع

عن شهادته وكتمها أطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق ويدخل النار وهو يلوك لسانه، ومن كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما في القسّم من نفسه وماله جاء يوم القيامة مغلولاً مائلاً شقه حتى يدخل النار، ومن نكح امرأة حراماً في دبرها أو رجلاً أو غلاماً حشره الله يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخل جهنم ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، وأحبط الله عمله، ويدعه في تابوت مشدوداً بمسامير من حديد، ويضرب عليه في التابوت بصفائح حتى يشتبك في تلك المسامير، فلو وضع عرق من عروقه على أربعائة أمة لمتوا جميعاً، وهو من أشد الناس عذاباً. ومن زنى بامرأة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو مسلمة حرة أو أمة أو من كانت من الناس، فتح الله عليه في قبره ثلاثمائة باب من النار تخرج منها حيات وعقارب وشهب من نار فهو يحترق إلى يوم القيامة، ويتأذى الناس من نتن فرجه فيعرف به إلى يوم القيامة حتى يؤمر به إلى النار فيتأذى به أهل النار مع ما هم فيه من شدة العذاب؛ لأن الله حرم المحارم وما أحدٌ أغير من الله تعالى، ومن غيرته أنه حرم الفواحش وحد الحدود، ومن كان مؤذياً لجاره من غير حق حرمه الله ريح الجنة ومأواه النار.

ألا وإن الله عز وجل يسأل الرجل عن حق جاره، ومن ضيع حق جاره فليس منا، ومن أهان فقيراً من أجل فقره واستخف به فقد استخف بحق الله ولم يزل في مقت الله وسخطه حتى يرضيه، ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختر الدنيا على الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله عز وجل يوم القيامة وهو راض عنه، ومن اكتسب مالاً حراماً لم يقبل الله منه صدقة ولا عتقاً ولا حجاً ولا اعتماً وكتب الله عز وجل بعدد أجر ذلك أوزاراً وما بقي منه بعد موته كان زاده إلى النار، ومن قدر عليها وتركها مخافة الله كان في محبة الله ورحمته ويؤمر به إلى الجنة، ومن اغتاب أخاه المسلم بطل صومه وانتقص وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله، ومن مشى في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً محرقة إلى يوم القيامة، وإذا

خرج من قبره سلط الله عليه تيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار، ومن كظم غيظه وعفا عن أخيه المسلم وحلم عنه أعطاه الله تعالى أجر شهيد.

ومن غش مسلماً في بيع أو شراء فليس منا ويحشر مع اليهود يوم القيامة؛ لأنه من غش الناس فليس بمسلم، ومن شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الأفاعي ومن سم العقارب شربة يتساقط لحم وجهه في الإناء قبل أن يشربها، فإذا شربها تفسخ لحمه وبقي جلده كالجيفة يتأذى به أهل الجمع حتى يؤمر به إلى النار، وشاربها وعاصرها ومعتصرها في النار، وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه، وآكل ثمنها سواء في عارها وإثمها.

ألا ومن سقاه يهودياً أو نصرانياً أو صابئاً أو من كان من الناس فعليه كوزر من شربها، ألا ومن باعها أو اشتراها لغيره لم يقبل الله منه صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا اعتماراً حتى يتوب منها، وإن مات قبل أن يتوب كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه بكل جرعة شرب منها في الدنيا شربة من صديد جهنم)).

ثم قال ﷺ: ((ألا وإن الله حرم الخمر بعينها والمسكر من كل شراب، ألا وكل مسكر حرام)).

ثم قال ﷺ: ((ومن أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لا يقبل الله تعالى منه شيئاً من عمله ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده منه قيراط واحد، ومن شهد شهادة زور على رجل مسلم أو ذمي أو من كان من الناس علق بلسانه يوم القيامة وهو مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ومن لم يحكم بما أنزل الله كان كمن شهد شهادة زور، ويقذف به في النار ويعذب بعذاب شاهد الزور، ومن مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن قاد ضريراً إلى المسجد أو إلى منزله أو لحاجة من حوائجه كتب الله له بكل قدم رفعها ووضعها عتق رقبة وصلت عليه الملائكة حتى يفارقه، ومن سعى لمريض في حاجته فقضاها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ومن أعظم الناس أجراً من سعى في حاجة أهله، ومن أقرض ملهوفاً فأحسن طلبته استأنف العمل -

ومعناه غفر الله له ما تقدم من ذنوبه - وقال: وأعطاه الله بكل درهم ألف قنطار من الجنة، ومن فرج عن أخيه كربة من كرب الدنيا نظر الله إليه برحمته فنال بها الجنة وفرج الله عنه كربه في الدنيا والآخرة، ومن مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات وتمحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات))^(١).

فهذا ما اخترته لي ولكم من تلكم الخطبة الجليلة والموعظة الحسنة. وعلينا أن نرجع إلى الله بالتوبة والإنابة والاستسلام ولنتق الله حق تقاته ليغفر الله لنا، لنقي أنفسنا من نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة. وأسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا لما فيه خير الدنيا ونعيم الآخرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور].



[في التحذير من الدنيا]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أعز من أطاعه واتقاه، الذي أذل من خالف أمره وعصاه، الحمد لله الذي يجيب الداعي إذا دعا، الحمد لله الذي من لاذ به حماه ووقاه، ومن توكل عليه كفاه، أحمده حمداً جزيلاً طيباً يملأ أرضه وسماه، وأشكره على سوابغ نعماه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه، صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً. **عباد الله**، أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون، واتقوا الله فيما أنتم إليه صائرون فإن الله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر]، ويقول عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران]، ويقول سبحانه: ﴿قَوِّرِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾ [الحج].

فعلينا بتقوى الله فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها، ويُدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا ونعيم الآخرة، اسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل]، ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿[الطلاق]، وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق].

أيها الناس، إن المتقين ذهبوا بعاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، إن المتقين سكنوا الدنيا بأحسن ما سُكنت، وأكلوها بأحسن ما أُكِلَت.

واعلموا أيها المؤمنون، أنكم إذا اتقيتم الله حق تقاته بأن أدبتم ما به أمرتم، وتركتم ما عنه نهيتم فقد عبدتموه بأفضل عبادته وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكركموه بأحسن ما شكر، وقد أخذتم بأفضل الصبر والشكر.

عباد الله، احذروا الموت وقُربَه وكُربَه وسُكراتِه، وأعدوا له عدته، فإن الموت يأتي بأمر عظيم، إما خيرٌ لا يكون معه شرٌّ أبداً، وإما شر لا يكون معه خيرٌ أبداً، فمن أقرب إلى الجنة من عاملها، ومن أقرب إلى النار من أهلها، فأكثرُوا ذكر الموت عندما تنازعكم إليه أنفسكم.

ثم إني أوصيكم ونفسي بالحدز من الدنيا وغرورها فإنما هي كما وصفها الله ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝﴾ [الكهف]، ويقول: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِيبٌ وَلَهُوَ وَزِينَتُهُ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

فكم ذو أبهة قد صيرته حقيراً، وذو نخوة قد أردته جائعاً فقيراً، مُلكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وأمنها منكوب، ودارها مخروب، ومن وراء ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطلع والوقوف بين يدي الحاكم العدل ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝﴾ [النجم].

ألستم في مساكن الذين كانوا أطول منكم أعماراً، وأبين آثاراً، الذين تعبدوا للدنيا أي تعبد، وآثروها أي إيثار، ثم ارتحلوا عنها بالصغار، وبالذنوب والأوزار، أفهذه الدنيا الدنية تؤثرن؟ أم على هذه الزائلة تحرصون؟ أم إلى هذه الخادعة تطمئنون؟ يقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝﴾ [هود]، فبئست هذه الدار لمن لا يكون منها على حذر.

فاتقوا الله عباد الله وتذكروا من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون

الخالية، واتعظوا بالذين كانوا بكل ريع يعبثون، ثم بالذين قالوا: من أشد منا قوة، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ ٦ ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ٧ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ ٨ ﴿وَتَمُودَ الَّذِي جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ٩ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ ١٠ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ ١١ ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ ١٢ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ١٣ ﴿[الفجر].

ثم اعتبروا بالذين رأيتهم من الآباء والإخوان، والأصدقاء والخلان، كيف وافتهم المنون، ولم يمنعها عنهم الأقربون والأبعدون، فحملوا إلى قبورهم وأنزلوا في لحودهم، استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسعة ضيقاً وبالأهل غربة، وبالنور ظلمة جاءوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا منها بأعمالهم إلى الحياة الدائمة وإلى خلود أبداً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ١٤ ﴿[الأنبياء]، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُمْسِكْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ ١٥﴾ [القصص].

جعلنا الله وإياكم من المتقين ومن أوليائه المؤمنين ومن أحبائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ ١٦ ﴿[آل عمران].



فضل النصيحة وحسن المعاملة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله مسخر الكواكب جارية في بروج أفلاكها، ومظهر السماوات بتقديس وتسبيح أملاكها، وميسر أنفوس المطيعين للسعي في فكاكها، وممهل العاصين حليماً منه وثقة بإدراكها.

أحمده على نعمه وآلائه التي أكملها، حمداً يكون إليه واصلًا، وبها وعد عليه كافلاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يألق في القلب كوكبها، ويعلق بالملكوت سببها.

وأشهد أن مولانا محمداً عبده ورسوله أرسله للرسول عاقباً وللملك غالباً، وللحقوق طالباً، وعلى الفسوق ناكباً، فلم يزل ﷺ لأمتة ناصحاً، وللظلم والظالمين وأهل البغي والعدوان مكافحاً، حتى أظهر الله كعبه وأسر قلبه، وأعزه ونصره وأيد حزبه، وأثر قربه، ثم قضى بعد ذلك نحبه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها الناس: الزموا التقوى يلزمكم وقارها، وأموا سبيل الهدى فقد توضح لكم منارها، وانظروا بعيون الهمم في مصارع الأمم الذين عرّفهم الزمان عاقبة أمره، فعمروا الدنيا عمارة آمين من غدرها، ونفذ أمرهم في برها وبحرها، حتى إذا اقتعدوا منها مقاعد الشرف، وبلغوا غاية السرور والترف، وصدقوا كواذب أمانيتها، حين ذاك قلبت لهم عين فراتها العذب أجاجاً، وأمّرتهم على آفاتها أفواجاً، أخرست ألسنتهم بعد إفصاحها، وطمست آثارهم بعد اتضاحها.

فيا أيها القاطنون في منازل الراحلين، ويا أيها الواردون مناهل الأولين، لقد هتف بكم هادم اللذات فأسمع، وجاءكم عارض الشتات فما أقلع، وسل فيكم سيف الممات فأوجع، وسعى إليكم بقلق الآفات فأسرع، وأنتم معتمون بعمائم الآمال الحائلة بينكم وبين خواتم الآجال، فكأن الموت على غيركم كتب، وكأن الحق على غيركم وجب.

فيا أيها المؤمنون لنقف خاشعين ولنستمع هذه الوصية العظيمة التي من أمير المؤمنين علي عليه السلام.

أيها المؤمنون، لقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه صلوات رب العالمين أنه قال من وصية له إلى ولده الحسن بن علي عليه السلام وهي في الواقع وصية لعامة البشر، فإن من عمل بوصاياه نال سعادة الدنيا والآخرة.

قال عليه السلام: (محض أخاك النصيحة حسنة كانت أم قبيحة) ثم يقول له: (وتجزع الغيض فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد مغبة).

نصيحتان مختصرتان، ولكنهما عظيمتان، الأولى قوله: «محض أخاك النصيحة حسنة كانت أو قبيحة» نعم، لقد كان للنصيحة قيمتها وأهميتها يوم كان الود بين المسلمين قائماً، والتحابب بينهم سارياً، وكلمتهم واحدة على الحق، عرفوا الحق فاتبعوه، وأحبوا الحق وحرسوه ونشروه، واستمسكوا بالحق وعاشوا عليه وماتوا في سبيله، يوم كان المسلم يلتقي مع أخيه المسلم ليقدم له النصيحة التي يراها لنفسه، حيث كانت الروح الإيجابية تتفاعل فيما بين الأخوين المسلمين وكانوا يعيشون كالجسد الواحد، كان كل واحد من المسلمين يحسب كل مسلم صادق في إسلامه يحسبه أخاه بل بنفسه، يندفع كل واحد في سبيل بذل النصيحة لأخيه؛ لأنها تحمل الود والخير وتوجه المنصوح للصلاح والفلاح والسعادة.

وكان المتوجه إليه النصيحة كان يتقبلها برحابة صدر ووعي كامل، ويصغي إليها ويعطيها أهمية كبرى، يحرك فكره فيها ويأخذها بعين الاعتبار.

هكذا كان المسلمون وهكذا كانت النصيحة مقبولة، أما في زمننا هذا الذي تفرقت فيه القلوب وكثر فيه الاختلاف وصار أهل الحق فئة قليلة، فكثيراً ما يتجنب الناصح ولا يجروء على بذل نصيحته؛ لأنه يعلم أنها سوف ترفض أو تأتي بشر قبيح على الناصح.

وهذا يعود تارة للناصح للشك في إخلاصه، أو لنفس المنصوح حيث يجد

نفسه أكبر من النصيحة والناصح، دون أن ينظر إلى النصيحة نفسها ويحلل معناها ويدرسها بجد وواقعية.

ففي الوقت الذي سلك المسلمون خلاف دينهم يؤكد الإسلام ويكرر الطلب من المسلمين أن يبذلوا النصيحة لبعضهم البعض، وليست التي يكتسب بها الناصح ود المنصوح، أو التي توافق مزاجه وتوفر له الرضا والارتياح، بل يجب أن تكون النصيحة حتى فيما كان ثقیلاً عليه وقاسياً على سمعه وقلبه، إذا كانت النصيحة صحيحة وسليمة ولها حقيقتها وواقعيتها، يجب أن تكون النصيحة من المسلم لأخيه المسلم مطلقة فيما أحب وفيما كره؛ لأن النصيحة في الحالتين معاً تعود عليه بالنفع والصلاح.

وهذه هي غاية الأخوة، وهذا هو هدفها البعيد، يقول الإمام الصادق عليه السلام ما معناه: «عليكم بالنصح لله في خلق الله، فإنكم لا تلقون عملاً أفضل منه».

هذه هي الفقرة الأولى من الوصية، ثم يقول عليه السلام: (وتجزع الغيظ فإني لم أر جرعة أحلى منها عاقبة ولا ألد منها مغبة) هكذا يقول الإمام عليه السلام وهو الوحيد في الشجاعة المتمكن من أخذ حقه من أي فرد كان، إنه يفضل كظم الغيظ على الانتقام.

ما أجمل هذا الإنسان وما أعظمه عندما يعلو على غضبه، ويرتفع عن تفجير ضربة قاصمة أو كلمة قاسية أو صرخة!! ما أروع الإنسان عندما يتسم ثغره وجوفه يغلي، ويضحك سنه وقلبه يكاد ينفجر من الغضب، هذا هو الحلم الممدوح، حينما يقابل الإنسان الإساءة بالإحسان: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ [فصلت].

يحل من جهل عليه، ويحاور بالكلمة الطيبة مقابل الكلمة المؤذية من خصمه، وبالنظرة العظوفة دون أن يثار أو ينفجر في وجه خصمه.

كظم الغيظ أن تحبس غضبك مها كانت أسبابه، وتعيش مع من أثارك باللين

والوعي، ففتح له باب الحوار الأخوي، وتحلم عنه حتى يعود عن غضبه ويرتدع عن تصرفه.

إن الإنسان إذا امتلك غضبه واستولى على أعصابه لإنسان عظيم، ومع ذلك فإن في وسعه إذا تمتع بهذا الخلق أن يعيش في راحة واطمئنان وهدوء بال، وكم نرى من أولئك الحمقى، الذين يثورون لأتفه الأسباب وأحقرها، ولكم رأينا من المشاكل التي كانت يمكن أن تُحلَّ بابتسامة أو كلمة طيبة، كان يمكن أن تُحلَّ مشكلة كبيرة بتجاوز عن أمر حقير لا يستحق الوقوف عنده.

إن كظم الغيظ عملية امتلاك لما يتحرك في الإنسان من إحساسات وانفعالات، إن كظم الغيظ سيطرة كاملة على ما يدور في خلده من حب الانتقام والثأر، وقد جاء في الآثار ما يبين فضيلة كظم الغيظ.

يقول الله عز وجل في معرض الثناء على المتقين حين يصفهم في قوله تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٢﴾ [آل عمران].

ويقول رسول الله ﷺ: ((ما جرع عبد قط جرعتين أفضل عند الله من جرعة غيظ يلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة يلقاها بصبر جميل))^(١).

ويقول علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «ما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة لا أكافئ بها صاحبها».

ويروى عن الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة».

ويقول عليه السلام: «ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله من جرعة غيظ

(١) رواه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في كتاب الديباج الوضي.

يتجرعها عند تردها في قلبه إما بصبر وإما بحلم».

ويقول أمير المؤمنين علي عليه صلوات رب العالمين: «لَنْ لِمَنْ غَالَطَكَ فَإِنَّهُ يَوْشَكَ أَنْ يَلِينَ لَكَ».

حقاً حقاً إن الله عز وجل مدح نبيّه محمداً ﷺ، وبين له فضيلة لينة وعطفه وحنانه حين قال عز من قائل: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فكما أن الغلظة والخشونة في الكلام تفرق وتنفرهم عند حصولها من أحد، فإن اللين والعطف والرأفة تورث المودة بين المتباغضين، وتجمع شمل المتفرقين، إنك إذا كنت مع الناس غليظاً حركت نفوسهم عليك حتى ولو كانوا أصدقاء أو قرابة، وإن كنت ليناً معهم سقتهم نحوك وقربتهم منك.

إن الإنسان إذا كان لين الجانب يتحبب إلى الناس ويتقرب منهم فإنهم كذلك يحبونه ويتقربون منه؛ لأن اللين نوع من الإحسان، والنفوس مطبوعة على حب من أحسن إليها، وهذا عكس الغلظة والجفاء فإنه منفر عن المرء ومبعد له عن إخوانه وأصدقائه.

فعليك باللين لمن غالطك في حديث أو نظرة أو غيرها، فإنه مع ذلك عن قريب يعود إليك ويقابلك بأفعالك خيراً ويجازيك بالإحسان إحصاناً.

أكرمنا الله وإياكم بلباس التقوى، ووفقنا جميعاً لطريق الهدى، ورحم الله امرأً نبّه من عزمه قليلاً واجتهد في خلاص نفسه قبل أن يأخذه الله أخذاً وبيلاً، فالعمر قصير والحساب عسير والناقد بصير، والناس آن ذاك فريقان: فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

جعلنا الله وإياكم من أسعد الفريقين، وحشرنا وإياكم في زمرة خاتم النبيين وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين، آمين رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا

مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ [الشورى].



[في بر الوالدين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين

الحمد لله على ما قضى من أمر، وعلى ما خص من فضل، الحمد لله على ما عم من خير، وعلى ما جلل من عافية، حمداً يتم علينا به نعمه، ونستوجب به رضوانه، حمداً لا ينتهي لحده ولا حساب لعدده، ولا انقطاع لأمدّه، حمداً يكون وصلة إلى طاعة الله وعفوه، وسبباً إلى رضوانه وذريعة إلى مغفرته، وطريقاً إلى جنته، وخفيراً من نقمته، وأمناً من غضبه، وظهيراً على طاعته، وحاجزاً عن معصيته، وعوناً على تأدية حقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله والوقوف عند نبيه وأمره.

أيها المؤمنون، إن حق الآباء على أولادهم من الحقوق المقدسة في الإسلام بل وفي جميع الشرائع السماوية السامية، وقد مضت الحياة من أولها وستبقى إلى أبدها تؤكد هذا الحق وتدعو إليه، وقد رفع الله عز وجل حق الوالدين وأعلى شأنه، وجعله في مستوى عبادته، وقرنه بطاعته وعبادته في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فقال عز وجل في آية الحقوق العشرة التي كلفنا بها وأمرنا بتطبيقها: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء].

ويقول في آية أخرى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء].

لقد أكد الله سبحانه وجوب احترام الوالدين، وقرن الإحسان إليهما بتوحيده، وضيق على الأولاد في مراعاة الوالدين إلى حد أنه لم يرخص في أدنى كلمة من التضجر حتى ولو كانت من نوع التأفف، وحث على استبدالها بالقول الكريم، المقرون بالاحترام والتصاغر والتواضع في مقابلتهما حيث يقول: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

وفي آية أخرى قرن شكره بشكرهما، فجعل الله شكر الشاكرين لأنعمه التي لا تحصى جعله مرتبطاً ومتمماً لشكر الوالدين، والوقوف بين أيديهما موقف الذليل فقال: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان].

أيها المؤمنون، إن هذا ليس بكثير في حقهما ولا بغريب، فلو فكر الإنسان ورجع إلى الوراء قليلاً ليستعيد تلك المواقف التي يقفونها لإسعاد أبنائهم، ويسهرون الليالي المتتابعة حول مهادهم، لا يجد النوم إلى جفونهم سبيلاً حتى تلين المضاجع لجنوب أبنائهم، وحتى يغلب الأبناء سلطان النوم، فحينذاك تطيب أنفوس الأبوين فيهجعون قليلاً، وكم جاع الآباء ليُشبعوا الأبناء، وكم كابد ولاقى الآباء من متاعب وآلام من أجل إسعاد الأبناء، وهذا شيء محسوس ملموس عند الناس.

ولكم جاد الآباء بأجود ما لديهم ليضاعفوا غبطة الأبناء وسرورهم، وكم لاقوا في سبيل تربية الأبناء على الوجه الأكمل ليشق الأبناء طريق السعادة في الدنيا والدين - فلذلك ولما هو أكبر من ذلك أوجب الله برّهما ومصاحبتهما بالمعروف حتى ولو كانا مشركين، فكيف بهما إذا كانا من المؤمنين العاملين بما أمر الله ورسوله؟

اسمعوا ما يقول الله في شأن الأبوين المشركين: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

فعلى الأولاد الرعاية الكاملة للأبوين، والقيام بحقوقهما أتم قيام، وسواء كان الأبوان على الحياة أم لا؛ إذ لا تنتهي حقوقهما بالموت، فقد جاء في بعض الروايات أن رجلاً من بني سلمة كان باراً بأبويه فلما ماتا جاء إلى النبي ﷺ فقال:

يا رسول الله، هل بقي علي من بر أبي شيء أبرهما به بعد وفاتهما؟ قال ﷺ: ((نعم، الصلاة عليهما والإستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقيهما))^(١).

كما روي أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ يستأذنه في الخروج مع المجاهدين في بعض الغزوات فقال له النبي ﷺ: ((هل من والديك أحد حي؟)) فقال: كلاهما في الأحياء، فقال ﷺ: ((ففيهما فجاهد))^(٢).

أفليس المعنى لهذا أنك إذا قمت ببذل الجهد في برهما فإن ذلك يكون لك عند الله بمنزلة الجهاد؟

وقد خص القرآن الأم في بعض آياته مذكراً بدورها العظيم الشاق في المراحل التي يمر بها الولد خلال حملها الذي يستمر في الغالب تسعة أشهر، يتقلب بين أحشائها في ظلمات ثلاث فيقول تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر].

والحديث المشهور عن النبي ﷺ: ((الجنة تحت أقدام الأمهات))^(٣) يلفت

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أبي أسد مالك بن ربيعة الساعدي.

(٢) روى قريباً منه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أنس بلفظ: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني أشتهي الجهاد ولا أقدر عليه؟ قال: هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: فابل الله في برها، فإذا فعلت ذلك فأنت حاج ومعتمر ومجاهد، فإذا رضيت عنك أملك فاتق الله وبرها». و عن أبي العباس، عن عبد الله بن عمرو بلفظ: «إن رجلاً أتى النبي ﷺ يوم الهجرة يريد الجهاد، وأخبره أن له أبوين، فقال النبي ﷺ: ففيهما فجاهد». ورواه الإمام أبو طالب في أماليه، عن عبد الله بن عمر، قال: «أتى النبي ﷺ رجل يستأذنه في الجهاد، فقال: ((أحبي أبوك؟)) قال: نعم. قال: ((ففيهما فجاهد))».

(٣) رواه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي، وله شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله في أماليه بسنده يبلغ به إلى محمد بن طلحة بن معاوية السلمى، عن أبيه، قال: «أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: أملك حية؟ فقلت: نعم، فقال النبي ﷺ: ((لزم رجلها فثم الجنة))».

الأنظار إلى صور رائعة تبرز في القرآن المزيـد مما نالت الأم من شـدائد ومشاق عظيمة، وما وهبت من عواطف كريـمة في مراحل حياة مولودها يقول الله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِيَّيَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأحاف]، وفي آية أخرى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ١٧﴾﴾ [لقمان].

فهذا يلفت أنظار الأولاد إلى ما تقدمه الأمهات من توضحيات براحتهن وصحتهن وسلامتهن في حالات حملهن وفي حالات وضعهن، وما ينلن من سهر وخدمات وقلق في سبيل راحة مواليدهن، حين الرضاع وبعدها. فهذه الآيات وهذه المرويات تؤكد حقوق الأمهات، وأنهن أقدم بالرعاية من الآباء، ولكل من الأبوين في حياة الأسرة توضحيات جسام، وجهود جبارة في سبيل إسعاد الأسرة وفي سبيل بنائها بناء سليماً في كل زمان ومكان.

وجاء في بعض المرويات أن واحداً شكى أباه إلى النبي ﷺ وقال له: إنه أخذ مالي، فاستدعاه النبي ﷺ فإذا هو شيخ يتوكأ على عصاه، وكان الرجل قد آلمته شكوى ابنه فخاطب نفسه بكلام لم تنفرج عنه شفتاه ولم تسمعه أذناه، فنزل جبريل عليه السلام يأمر النبي ﷺ أن يسأل الرجل عما حدث به نفسه قبل أن ينظر في شكوى ابنه، فلما سأل قال الرجل: والله يا رسول الله، لا يزيدنا الله بك إلا إيماناً وتصديقاً، لقد قلت في نفسي شيئاً من الشعر ولم أتفوه به، فيه معاتبه ولدي على تقديم الشكوى إليك وعلى سوء مكافأته إيائي، وقرأ ما كان أنشأه من الشعر ومنه قوله:

إذا ليلة صابتك بالسقم لم أبت لسقمك إلا ساهراً أتململ

فلما بلغت السن والغاية التي جعلت جزائي غلظة وفضاضة كأنك أنت المنعم المتفضل^(١) إليها مدئ ما كنت فيك أو مل

وأضاف الرجل قائلاً: يا رسول الله، إن ابني كان ضعيفاً وأنا قوي، وكان فقيراً وأنا غني، فكنت لا أمنعه عن شيء من مالي، واليوم أصبحت ضعيفاً وهو قوي، وصرت فقيراً وهو غني، فيبخل علي بهاله.

قال: فبكى رسول الله ﷺ وقال: ((ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى)) ثم التفت إلى الولد وأخذه بتلابيبه وقال له: ((أنت ومالك لأبيك))^(٢).

فالنصوص القرآنية والنبوية تؤكد أن الله لا يرضى عن الأبناء ولن يقبل من أعمالهم وعباداتهم شيئاً حتى يرتفعوا بأنفسهم عن مهاوي الجحود والقسوة، وعن الخلاف لأبائهم وأمهاتهم، فرضا الله في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما.

وفي سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أهل بيته الأطهار أئمة الهدى عشرات الشواهد على أن البر بالأبوين والإحسان إليهما من أجل الطاعات وأفضل العبادات، وأن عقوقهما من الكبائر التي لا يغفرها الله ولا يتساهل بها إلا لمن تاب وأناب وأقام حقوقهما واسترضاهما، وذلك تقديراً لجهودهما المضنية في سبيل الأبناء ووفاء لبعض ما قدما للبنين.

(١) والأبيات هي:

عَذْوْتُكَ مَوْلُوداً وَعُلْتُكَ يَافِعاً	تُعَلِّ بِمَا أَحْنِي عَلَيْكَ وَتَنْهَلْ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالسَّقَمِ لَمْ أَبْتَ	لَسَقَمِكَ إِلَّا سَاهَرًا أَتَمْلَمَلْ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي	طُرِقْتُ بِهِ دُونِي فَعَيْنَايَ تَهْمَلْ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّمَا	لَتَعْلَمَ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمًا مَوْجِلْ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَ وَالْغَايَةَ الَّتِي	إِلَيْهَا مَدَّي مَا كُنْتُ فِيكَ أَوْ مَلْ
جَعَلْتَ جَزَائِي غَلْظَةً وَفُضَاضَةً	كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُنْعَمُ الْمُتَفَضَّلْ
فَلَيْتَكَ إِذْ لَمْ تَرَعْ حَقَّ أَبَوَيْ	فَعَلْتَ كَمَا الْجَارُ الْمُجَاوِرُ يَفْعَلْ
فَأُولَيْتَنِي حَقَّ الْجَوَارِ وَلَمْ تَكُنْ	عَلَيَّ بِمَالِ دُونِ مَالِكَ تَبْخُلْ

(٢) ذكره الإمام الهادي عليه السلام باللفظ في كتاب الأحكام.

ويبدو أن تلكم التوصية الربانية والنبوية إيقاظ لضمايرنا وتحريك لشعورنا وأحاسيسنا، وحث لنا على تأدية الشكر لكل منعم، فالله تعالى هو المنعم الأول الذي أعطى كل نفس هداها، وغمرت أنعمه العباد من جميع نواحيهم، فحيثما اتجه الإنسان فهو يتقلب بنعم الله، فله علينا المنّة وله علينا الشكر العظيم والتقدير والتعظيم، والانصياع المطلق للقيام بما أمر وبالاتهاء عما نهى عنه، وهذا الشكر لا يستفيد الله منه شيئاً، وإنما آثاره وفوائده عائدة علينا، فإذا شكرناه حق شكره أثابنا وزادنا نعماً فوق ما قد أعطانا، فإنه يقول وهو أصدق القائلين: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، ويقول: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [١٥٥] [آل عمران].

ثم إن علينا كذلك أن نؤدي حقوق رسول الله ﷺ على ما قام به نحونا من إنقاذنا من هوة الشرك وظلماته، إلى نور الإسلام وتمييز الحلال من الحرام، وشكره هو أداء أجر رسالته وما لاقى من المتاعب والمشاق العظيمة في سبيل إخراجنا من الظلمات إلى النور، وقد بينها الله لنا في قرآنه حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

ثم إنها كذلك آثارها وفوائدها عائدة علينا بكل خير، فهو يقول بعد أن أبان ما هو الحق الذي علينا من مودة قرباه يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

ثم علينا مكافأة الآباء والقيام ببرهم والإحسان إليهم والدعاء والاستغفار لهم وإكرام أصدقائهم وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهم كما أمرنا الله ورسوله.

ونسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد، ويوفقنا لما يحبه ويرضيه، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء].



[خطبة فيما للأبناء على آبائهم]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أوضح سبيل الحق وأبانه، وأقام عليه
دليله وبرهانه، الذي جعل العقل في خليقته حجة وعياراً، ونصب الشرع لبريته
محجة ومناراً، حكمة منه وعدلاً، ورحمة من لدنه وفضلاً.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ربنا ورب آبائنا الأولين لا
معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة لعباد الله، المبلغ
حقيقة مراد الله، أرسله الله حجة على من بين السماء والأرض، وأميناً لله على
تأدية النفل والفرض، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأخيار الصادقين الأبرار
الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، الذين أوجب معرفتهم رب
العالمين، وفرض مودتهم وطاعتهم على الخلق أجمعين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فالله تعالى قد رغبنا في التقوى وحثنا عليها
فقال عز من قائل: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة: ١٩٧]، وأمرنا بها في كثير من
آياته يقول عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ
وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا
رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج]، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، صدق الله العظيم.

أيها المؤمنون، لقد أوجد الله الإنسان كغيره من الكائنات الحية، وجعله من
أفضلها وذلك بما وهب له من المواهب العظيمة، التي بها قوام إنسانيته، وأعظمها
وأجلها العقل، ثم سخر له ما في الكون من الموجودات، ولذلك كان هو المخلوق
المكرم الذي عناه الله بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

ولذلك أيضاً كان هو المؤهل لأن يكون خليفة لله في أرضه، وهو المعني بقول الله عز وجل: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ولكنه لا يتسنى له ذلك إلا إذا قام أبواه بتربيته تربية إسلامية صحيحة صادقة.

واعلموا أيها المؤمنون، أن أولادكم أمانة في أعناقكم، وسوف تسألون عنهم يوم القيامة؛ لأن الصبي مائل إلى ما يمال به، فإن عوده أبواه على الخير وعلماء آداب الإسلام وأحكام الإسلام وأخلاق المسلمين الصالحين نشأ على ذلك وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه، وإن عوداه على الشر وعلى الفحش في القول وبذاءة اللسان، أو أهمله دون تعليم ولا مراقبة فإنه يشقى ويهلك، وربما شاركه في أوزاره أبواه بسبب إهمالهم إياه، فإذا كان الأبوان شفيقين على أبنائهم من مصائب الدنيا والحريق والغرق، فصيانتهما لأبنائهما من نار الله الموقدة أولى وأحق.

فعلى جميع الآباء الاهتمام بتعليم أبنائهم معالم الدين الحنيف، وما أوجب الله عليهم من الفرائض وما نهاهم عنه من القبائح، وبوجوب طاعة الله وطاعة الوالدين وصلة الأرحام، والرحمة بالضعفاء والأيتام وما إلى ذلك من أعمال البر. فقد حث الإسلام الأبوين على رعاية أولادهم والمحافظة عليهم صغاراً وكباراً، وتربيتهم تربية سليمة صالحة، تهيئهم للعمل والمساهمة في بناء مجتمع مسلم سليم.

وقد حظ الإسلام على رعايتهم والتخطيط لحاضرهم ومستقبلهم، ومضاعفة الجهود بتثيت خطاهم على الصراط المستقيم، فبمقدار ما يقوم به الآباء من تربية أولادهم التربية السلمية وغرس الأخلاق الفاضلة في نفوسهم يكونون قد صنعوا لأولادهم مستقبلاً سعيداً لا يضيعون فيه لحظة من أعمارهم دون أن يؤديوا فيها عملاً كريماً يقربهم من الله ويوصلهم إلى الأهداف العالية والآمال الغالية.

ورسول الله ﷺ يقول: ((إن الله يسأل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته))^(١).

وهناك مرويات عديدة، كلها تؤكد حق الأبناء على الآباء في الرعاية والعناية، والبذل السخي والتأديب الصحيح، تؤكد حقوق الأبناء على الآباء في تربيتهم تربية إسلامية، وتهذيبهم وتلقينهم أصول الإسلام وأحكام الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يقول فيما يروى عنه: ((من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه وأدبه وكنيته))^(٢)، وأن يعلمه كتاب الله وأحكامه فإن ذلك أجدي للولد من المال المكنوز الذي يبده الحمقى من الأولاد في يوم أو بعض يوم.

واعلموا أيها المؤمنون، أن من التدليل الظالم والخطر الداهم هو الإهمال من الآباء لأبنائهم، وعدم البحث بدقة عما يقرأون وعما يعملون، ومن يصحبون وبمن يثقون، فالمرء على دين خليله كما روي ذلك عن رسول الله ﷺ.

وقد تعرض القرآن الكريم لما يجب للأبناء على آبائهم ولكنه لم يتوسع كما توسع فيما للآباء على الأولاد، وذلك لأن العقوق إنما يكون غالباً من الأبناء، ولذلك كان القرآن حريصاً على استئصال هذه الظاهرة بالترغيب والترهيب.

أما الآباء فإن عاطفتهم على الأبناء متأصلة وملازمة لطبائع الآباء، وسواء في ذلك الإنسان وغيره من الحيوانات، وما أكثر الآباء الذين تجرهم هذه العاطفة على الأبناء إلى معصية الله، بالتغاضي عن سيئاتهم، وقد تتحكم العاطفة على الآباء أحياناً حتى يصبح يرى سيئات أبنائه حسنات، وهذا شيء محسوس وملموس ومشاهد لدى كثير من الناس.

ولقد شاهدنا أناساً تجره عاطفته إلى إهمال أبنائه، وإلى عدم قبول نصيحة الناصحين، فسببت له عاطفته الخرقاء إلى تحمل المشاكل والمتاعب، وإلى تعريض

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أنس.

(٢) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أنس بلفظ: يا رسول الله، قد علمنا ما حق الوالد على الولد، فما حق الولد على الوالد؟ قال: ((أن يحسن اسمه ويحسن أدبه)) بدون ((وكنيته)).

نفسه للسب والسخرية والمخاوف.

ومن هنا فإن الرحمة الحقيقية بالأبناء هي المراقبة الدائمة، وهي استعمال القسوة معهم حيث لا يكون منها بدّ أو علاج بغيرها.

فالتوجيهات الدينية والرعاية الكاملة، هي أقوى سلاح لردع الفوضى الخلقية التي تجلبها التيارات المعادية للإسلام والمسلمين، الناتجة عن أفلام الفيديو أو الكتب المسمومة المزينة بالشعارات البراقة، والادعاءات الكاذبة، التي تنقل عدواها إلى الأبناء والبنات الذين أهمل آباؤهم مراقبتهم والتشدد عليهم، بوحى من طغيان العاطفة، التي تجر الأبناء إلى الاستهتار بالقيم والأخلاق المرضية.

فالنبي ﷺ يقول: ((مروا صبيانكم بالصلاة في سبع سنين، واضربوهم عليها في عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع))^(١).

فعلى جميع الآباء الحريصين على سعادتهم أسرهم وأولادهم والرحماء بهم أن يحسنوا مراقبتهم، وأن يجيبوا إلى أنفسهم كل الأعمال الصالحة، وأن يعودوهم عليها وعلى الأخلاق الفاضلة، حتى تصبح جزءاً من حياتهم، ومن أهمها الحياء والحشمة، فالحياء من الإيمان كما روي ذلك عن رسول الله ﷺ، وبالحياء سوف يتجنبون كل الرذائل، ويميلون إلى ما يشرف من الآداب والفضائل.

كما أن على جميع الآباء أن يسخروا ولو بعض أوقات أبنائهم لتعليم القرآن العظيم والصحيح من أحاديث الرسول الكريم، وتعليم أحاديث الأخيار وحكايات الصالحين الأبرار؛ ليغرسوا ويبدروا في نفوس أبنائهم حب الدين وحب أهل الدين.

وكذلك وكما ذكرنا على جميع الآباء أن يتحفظوا على أولادهم من مجالسة الفجرة الأشرار، فإنهم بمخالطتهم ومجالستهم إياهم سيصيرون مثلهم والعياذ بالله.

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه.

هذا، وإن علينا أولاً أن نعاتب ونحاسب أنفسنا وأن نتبصر لعيوبنا؛ لنستطيع بعد ذلك أن نحاسب ونعاتب ونراقب أولادنا، فلا يستقيم الظل والعود أعوج، وفي الأثر عن سيد البشر ﷺ أنه قال: ((إذا أراد الله بعبد خيراً بصره عيوب نفسه))^(١).

وعن بعض الحكماء: «من كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه، ومن عرف عيوب نفسه أمكنه معالجتها».

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يعرفنا جميعاً رشدنا، وأن يؤيدنا بتأييده، وأن يثبتنا على الحق، وأن يوفقنا لأداء شكره وذكره وحسن عبادته، وأن يصلحنا ويصلح بنا ويصلح ذرياتنا، ويهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالْعَصْرِ﴾^١
 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ
 وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٢﴾.



(١) رواه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي.

[خطبة في التعريف بالحق]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق العباد لغير خوف من نازلة، ولا لفاقة إلى فائدة، وإنما خلق ما خلق إظهاراً للقدرة ودلالة على الوحدانية، وإظهاراً وإبانة للقوة القوية والعز والمجد والربوبية، خلق ما خلق وجعلها دلائل تدل عليه، وتهدي من أناب من خلقه إليه؛ إذ لا تراه عيون الناظرين، ولا تبلغه أوهام المتوهمين؛ إذ لا سبيل إلى ما يستدل به عليه جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، إلا بآثار صنعه ومصابيح دلائله، فسبحانه من إله حكيم لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وأشهد أنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، اصطفاه الله وارتضاه واثمنه على وحيه، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الغمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار الصادقين الأطهار، الطيبين الأخيار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وإيثار الحق على الباطل، واعلموا أن الحق طريق الجنة وأن الباطل طريق النار، وعلى كل طريق داع يدعو إليه، فمن أجاب داعي الحق قاده إلى الجنة، ومن أجاب داعي الباطل ساقه إلى النار.

ألا وإن داعي الحق كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وقرناؤه عترة خاتم المرسلين أئمة الهدى والدعاة إلى الخير؛ لأن رسول الله ﷺ قال: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعتري أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(١).

(١) رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب الأحكام.

وإن الداعي إلى الباطل هو الشيطان وأعوانه وزبانيته فهو كما قال الله ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر].

أيها المؤمنون، إن الله جل وعلا أودع الفطرة البشرية حب الحق وطلبه والتوجه إليه، ثم بين للناس الوسيلة المضمونة لمعرفة الحق والاهتداء إليه، ألا وهو القرآن العظيم الذي ميزه الله بالوضوح والشمول والخلود.

واعلموا أن الحقيقة الناصعة التي تشهد بها الفطرة ويشهد بها العقل ويشهد بها القرآن الكريم - هي أن الله هو الحق، وهذا ما أعلن عنه كتاب الله في عدد من سوره، قال الله جل وعلا: ﴿قَدْ لَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج]، وقال عز وجل: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج]، ويقول: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج].

أما المؤمنون فيهتدون بهدي الله تعالى للعمل بالحق والاهتداء إليه يقول تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة].

ومن ضل عن هذه الحقيقة اليوم فسيعرفها غداً عند كشف الغطاء، فيرى المعرض عن الحق ويشاهد الحقائق جليلة مجردة عن الأقنعة الزائفة ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور]، ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص].

ثم إن الأمر يكتسب صفة الحق بقدر اتصاله بالله الذي هو الحق، وبقدر انتسابه إليه، كما أن الأمر يكتسب صفة الباطل بقدر بعده عن الله وانقطاعه عنه.

فإذا عرفنا أن الله هو الحق، فقولهُ حق وفعلهُ حق، ولهذا رد الله على من يقول: إن خلق الله لمخلوقاته ليس لحكمة وأن ليس وراء هذه الحياة غاية، فقال عز من قائل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿[المؤمنون]، وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (١١٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿[الدخان]، ٣٦﴾.

فما شرعه الله في كتابه وعلى السنة رسله فهو حق، وكل ما أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ عن عوالم الغيب ونهاية الحياة وحقائق الآخرة فهو حق يجب الإيمان به، فوعد الله حق، والموت حق، والبعث حق، والحساب حق، والجنة حق، والنار حق، يقول الله في قرآنه: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (١١٨) ﴿لَكِهْف]، ويقول: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق]، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (١٧) يُسْتَعْجَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴿[الشورى]، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا﴾ [الأحقاف: ٣٤]، ويقول: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١١٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[الجن: ١٨]،

فكل ما شرعه الله لعباده من أحكام تنظم علاقتهم بالله، أو علاقتهم بالكون والحياة، أو علاقتهم ببعض البعض أفراداً وأسراراً وجماعات، فهو حق يجب الاحتكام إليه والإذعان له والتسليم بعدالته.

فالحق كما ترون في غاية من الوضوح، ولكن يا ترى ما بال الناس يختلفون في تحديد الحق؟ بل ما بال أكثر الناس عن الحق معرضون؟ وقد منحهم الله العقول التي تدلهم على الحق وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب التي تهدي إلى الحق، سيما القرآن العظيم الذي شهد على دلالته وهدايته إلى الحق كل ذي فطرة

سليمة، وكل ذي بصيرة.

كما شهد بحقية هذا الكتاب أولو العلم والإنصاف كما بين الله ذلك حيث يقول: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبا].

كما شهد بحقيقته النصارى الذين حدّث الله عنهم فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [٨٣] [المائدة].

وشهد الجن بحقية القرآن حين استمعوه فولوا إلى قومهم منذرين: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٣] [الأحقاف].

وشهد المشركون أيضاً رغم عنادهم وكفرهم بالقرآن وبمن أنزل عليه، فقالوا: إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه ليس من كلام الجن والإنس وإنه يعلو ولا يعلو عليه.

نعم، إن هذا القرآن حق لأنه كلام الله الحق، فهو حق لأنه باق لا يزول ولا يتبدل، وهو حق لأنه يهدي إلى الحق المطلق؛ لأنه يهدي إلى الله وإلى صراط مستقيم، وهو حق لأنه يهدي إلى الحقائق الثابتة التي تبين للإنسان مبدأه ومصيره، ويهدي إلى أفضل الغايات، ويهدي إلى القيم الخالدة والفضائل الأصلية، ويهدي إلى العدل فيما للإنسان على غيره وفيما عليه لغيره دون غلو ولا تقصير، وصدق الله القائل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

نعم، نقول: ما بال المسلمين قد ضلوا وتفرقوا وأصبحوا في مؤخرة الأمم علماً وحضارة وتقدماً، والحال أنهم أهل القرآن وأهل الحق؟! يبدو أن أسباب ذلك هو أولاً: انحرافهم عن الحق الذي جاء به القرآن؛ لأن ما وافق أهواءهم أخذوا به وما خالفها نبذوه وراء ظهورهم، وهذه ظاهرة سيئة، وقد ذم الله بني

إسرائيل وعدَّ هذا العمل من الرذائل التي ارتكبوها حيث قال: ﴿أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥].

ثانياً: أنهم قلدوا في دينهم وأخذوه عن أفواه الرجال، ونسوا أو تناسوا أن الكتاب وتراجته أصل يرد إليه غيره كما قال الله: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

ثالثاً: أنهم جهلوا أو تغافلوا عن أن الخير كل الخير في اتباعه والعمل بتعاليمه السامية، كما قال ربنا تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام].

فتعاليم القرآن يجب أن تؤخذ جملة سواء منها ما يتعلق بالفرد أم بالمجتمع، إن هذا الكتاب يمنحنا نظاماً مستقلاً للحياة ذا صبغة ووجهة خاصة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ومن أصدق من الله قيلاً.

فيا ترى ما بال أكثر الناس قد أعرضوا عن الحق وضلوا عن سبيله ضلالاً بعيداً ولم يكتفوا بذلك بل عادوه وحاربوه وحاربوا أهله، فهذا أمر مؤسف.

نعم، قد أكد القرآن هذه الحقيقة المؤلمة وهي أن أكثر الناس يكرهون الحق مما يفضي بهم إلى سخط الله وعذاب جهنم، فاسمعوا معي إلى ما يقول القرآن في هذا الشأن قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٧٤ لَا يُقْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ٧٦ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُورُونَ ٧٧ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ٧٨﴾ [الزخرف].

لقد جهل الناس بالحق فعادوه وقديماً قيل: «الناس أعداء ما جهلوا»، وفي الأثر: «من جهل شيئاً عاداه»، قال الله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء]، وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس: ٣٩].

ثم إن اتباع الهوى هو من أهم الأسباب الصادة عن الحق، فالهوى يعبد

الأغبياء، من جعل إلهه هواه فهيها أن يذعن للحق، ومن هنا قال الله تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات].

فتواصى أيها المؤمنون بالرجوع إلى الله والتمسك بكتاب الله وقرنائه الذين يهدون بالحق وبه يعدلون، وأن ننبد الهوى جانباً ولا نتأثر بأهواء النفس وعواطفها ونزواتها ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١١٩]، ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

اللهم فصل وسلم على محمد وآله، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، واجعلنا ممن يعرف الحق ويتبعه، ومن الذين يحبون الحق ويحرسونه وينشرونه ويدعون إليه ويستمسكون بحبله ويعيشون على الحق ويموتون في سبيله، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وثبتنا على الحق ما أحييتنا إله الحق آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٤﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء].

في ذكر الموت وفي الحث على الاستقامة على النهج القويم والصراط المستقيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي قدر الموت والفناء على جميع العالمين، الحمد لله الذي تفرد بالبقاء على الدوام وهو أحكم الحاكمين، الحمد لله القائل في كتابه المبين وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت]، نحمده ونشكره على كل حال وفي كل حين، ونستغفره من جميع الذنوب ونتوب إليه وهو خير التوابين.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له خير الناصرين وأسرع الحاسبين، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين. أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فإن التقوى وصية الله في خلقه الأولين منهم والآخرين، يقول الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

واعلموا أن من أعظم المواعظ الذي تُثبَّتُ الناس على التقوى والطاعات هو ذكر الموت، الذي قد حكم الله به على جميع البرية، ولا مفر لأحد من تجرع كأس المنية، ولا طمع لأحد في البقاء للاختصاص بفضل أو مزية، فقد قال ربنا عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص].

ولو جعل الله الخلود لأحد من الأنام لكان ذلك لأنبيائه المطهرين ورسله الكرام، وكان أولاهم بذلك صفوة أصفياه سيد الأنام محمد عليه وعلى آله الكرام أفضل الصلاة وأزكى السلام، ومع ذلك فقد نعاه رب العالمين بقوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر].

فالموت حتم ولا محيص عنه وإن تطاولت الآجال، ولا مفر منه فسواء من كان منا في الحصون المنيعَة أو القلاع المتينة أو في بطون الأودية أو الشواحق من الجبال، قال الله عز وجل: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس].

ولو نجا أحد من الموت لبسطة في جسمه أو قوة في بدنه أو وفرة في ماله أو سعة في ملكه - لنجا كثير من الجبابرة من ذوق الموت ومحِنه، ولكن الذي تفرد بالبقاء إنما هو الله الواحد الأحد الديان، وإلا فأين كنعان وفرعون وهامان؟ أين من ملكوا الدنيا وظنوا أنهم خالدون؟ أين من قال الله فيهم: ﴿وَمَكَّرُوا مَكْرًا وَمَكَّرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل]؟ هجم على الكل منهم الموت فهم في بطن الأرض موسودون، ولم يرحلوا منها لِتُخَلَّدُوا، ولم تهدم حصونهم لِتُشِيدُوا، بل هم السابقون وأنتم بهم لاحقون، بل أنتم أقصر منهم أعماراً، وربما أكثر أوزاراً وأضعف قوة، فتيقضوا رحمكم الله.

واعلموا أن متاع الدنيا قليل، وأنكم ستحاسبون وتحاكمون على الكثير والقليل وعلى النقيير والفتيل، وأنكم ستجدون ما قدمتم في كتاب مسطور ورق منشور، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون.

فكونوا من الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وكونوا من الذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً، وكونوا من الذين يبيتون لرَبِّهم سجداً وقياماً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن علينا أن نصلح أعمالنا وأن نجعلها خالصة لوجه الله، وأن نأمر بالمعروف الأكبر، وأن نتناهى عن الفحشاء والمنكر، ونقوم بأداء ما أوجب الله وفرض علينا وأن نتجنب ما نهانا الله عنه؛ لنسعد في الدنيا وفي الآخرة، وقد رسم الله لنا منهجاً نسير عليه، وخطة نلتزمها في سلوكنا مع الله عز وجل ومع الناس ومع أنفسنا، وهذا المنهج يتلخص في صحة العقيدة من الإيمان بالله

وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالغيب كله، فالالتزام بهذا المنهج وهذه الخطة الإلهية هو المعبر عنها بالاستقامة، وقد أشار تعالى إلى ذلك حيث يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام]، أخبرنا أن صراطه تعالى الذي جعله منهجاً للسالكين مستقيم لا عوج فيه، وأن علينا أن نتبعه فإننا إذا اتبعناه وسرنا عليه - لا نحيد عنه قيد أنملة، ويكون ذلكم السلوك باقتناع - فإننا نأمن إن شاء الله في الدنيا من الزيف والضلال، ونسعد بنعيم الله ورضوانه في الآخرة.

وإذا انحرف الناس عن صراط الله واتخذوا طرقاً أخرى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم، تفرقوا عن سبيل الله وحادوا عنه، واستحقوا الضلال، وتعرضوا للنكال، وسبب ذلك إعراضهم عن هداية الله.

فالاستقامة على هذا المنهج من شأنها أن ترقى بالإنسان وتصل به إلى الذروة من الكمال، وتحفظ عقل الإنسان وقلبه من أن يتطرق إليهما الفساد، وتحفظ نفسه عن التردى في مهاوي الرذيلة، ولهذا اهتم الإسلام بها اهتماماً بالغاً، وأولاها عناية خاصة، فقد دعانا إلى الاستقامة وجعلها أعلى المقامات، والأسلوب في الدعوة إلى الاستقامة أسلوب عظيم يستهوي الأفتدة ويؤثر في النفوس، ويحملها على التزام الاستقامة والتعلق بأهدابها، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نُزِّلَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [نصلت].

فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم والمستقيمون على هذه الطريقة القويمة والخط الذي رسمه الله لعباده، تنزل عليهم الملائكة الكرام عند الموت وتقول لهم: لا تخافوا مما أمامكم من الأهوال والأفراع ومن عذاب الآخرة، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد، وأبشروا بالجنة التي وعدكم الله بها.

وأن هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يتولاهم الله برحمته ورضوانه، كمَّا التزموا الاستقامة وساروا على الجادة، ولهم عند الله جميع الرغبات التي تشتهيها أنفسهم وما يطلبون.

أعد الله لهم ذلك وغفر لهم وتجاوز عن سيئاتهم، وأدخلهم برحمته في عباده الصالحين،

قال لرسول الله ﷺ بعض أصحابه: أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدًا بعدك، فقال: ((قل آمنت بالله ثم استقم)) قال: فما أتقي؟ فأوماً بيده إلى لسانه^(١).

والله جل وعلا يقول لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود]، أبان الله هنا أن الاستقامة لا تتحقق إلا إذا التزم العبد بما أمره الله به، وأن النبي ﷺ مطالب من الله بأن يلتزم الاستقامة هو ومن تاب ورجع إلى الله واتبع الرسول ﷺ وأن المؤمنين لا يحل ولا يجوز لهم أن يتجاوزوا ما أمرهم الله به أو يتعدوا حدوده.

والاستقامة لها فوائد عاجلة في هذه الدنيا، اسمعوا ماذا يقول ربنا عز وجل، إنه يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، بركات السماء هي الأمطار الهنية التي تحيي الأرض بعد موتها، وبركات الأرض هي ثمارها الطيبة المباركة من أنواع الطعام وأنواع الفواكه، والأعشاب التي يتخذونها علاجاً لأمراضهم، وطعام الدواب وغير ذلك مما لا نعلمه، يقول عز وجل: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن]، صدق الله العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

(١) رواه أحمد بن قاسم الشمط المعمرى في الثمار المجتناة عن الإمام علي عليه السلام بلفظ قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: ((قل ربى الله ثم استقم)) قلت: ربى الله عليه توكلت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢﴾ [فصلت].



خطبة الحقوق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله العدل الحكيم السميع العليم، اللهم لك الحمد بجميع محامدك كلها لدى جميع خلقك كلهم، حمداً لا منتهى لحده ولا حساب لعدده ولا انقطاع لأمدّه.

حمداً يكون وصلة إلى طاعة الله وعفوه، وسبباً إلى رضوانه، وذريعة إلى مغفرته، وطريقاً إلى جنته، وخفيراً من نقمته، وأمنأ من غضبه، وظهيراً على طاعته، وحاجزاً عن معصيته، وعوناً على تأدية حقه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وإيثار طاعته، واعلموا أن على كل مسلم حقوقاً كثيرة: حقوق لله، وحقوق لنفس المسلم وجوارحه وحقوق لأعماله، وحقوق لمعلمه، وحقوق لمن استرعاه الله، وحقوق لقرباته وذوي رحمه، وحقوق للمسلمين على بعضهم الآخر.

وقد اخترنا أن يكون موضوع خطبة اليوم في هذا الشأن، وقد اقتطفنا من رسالة الحقوق المروية عن زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد روي عنه أنه قال ما معناه: «حق الله عليك: أن تعبدّه لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك تعالى عليه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة. وحق نفسك عليك: أن تستعملها بطاعة الله.

وحق اللسان: أن تكرمه عن الخنا، وأن تعودّه الخير وترك الفضول التي لا فائدة فيها، وعلى البر بالناس وحسن القول فيهم.

وحق سمعك: أن تنزهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل سماعه.

وحق البصر: أن تغضه عما لا يحل لك، وأن تعتبر بالنظر به.
 وحق اليد: أن لا تبسطها إلى ما لا يحل لك.
 وحق الرجل: أن لا تمشي بها إلى ما لا يحل لك.
 وحق البطن: أن لا تجعله وعاء للحرام.
 وحق فرجك: أن تحصنه عن الحرام.
 أما الأعمال: فحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل، وأنت قائم فيها بين يدي الله، وإذا علمت ذلك فعليك أن تقوم مقام العبد الذليل الحقير، الراغب الراهب، الراجي الخائف، المستكين المتضرع، المعظم لمن أنت بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وأن تقيمها بحقوقها وحدودها.
 وحق الحج: أن تعلم أنه كذلك وفادة إلى الله تعالى وفرار إليه من الذنوب، وفيه قبول التوبة وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.
 وحق الصوم: أن تعلم أنه حجاب ضربه الله عز وجل على لسانك وسمعك وبصرك ليسترك به من النار، فإذا تركت الصوم خرقت ستر الله عز وجل عليك.
 وحق الصدقة: أن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت لما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية، وأن تعلم أنها تدفع عنك البلايا والأسقام في الدنيا والنار في الآخرة.
 وحق الأعمال كلها أن تكون خالصة لله.
 (وحق السلطان: أن تعلم أنك جُعلت له فتنة وأنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان، وتعلم أن عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء).
 وحق معلمك: أن تعظمه وتوقر مجلسه، وأن تحسن الاستماع إليه والإقبال عليه، وأن تخفض صوتك ولا تحجب أحداً يسأله، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر

مناقبه، وأن لا تجالس عدواً له، ولا تعادي له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه الله لا غيره.

وأما حق رعيّتك عليك فعليك أن تعلم أن الله تعالى إنما جعلك قيماً لهم فيما آتاك من العلم وفتح لك من خزائنه، فإذا أحسنت في تعليمهم وقمت بما عليك لهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعتهم ومنعت الناس علمك، كان حقاً على الله أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلك.

وأما حق الزوجة فعليك أن تعلم أن الله جعلها لك سكناً وأنساً، وأن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حَقُّك عليها أوجب فإن لها أن ترحمها لأنها أسيرك، وتطعمها وتكسوها وإذا جَهِلَتْ أن تغفو عنها.

وأما حق أمك عليك فإن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع هي وتطعمك، وتعطش هي وتسقيك، وتعري هي وتكسوك، وتضحى هي وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، وَوَقَّتْكَ الحر والبرد، ولا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك فعليك أن تعلم أنه أصلك فإنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فأطعه وأد حقوقه كاملة غير منقوصة، واحذر أن تعقه فإن الجنة محرمة على العاق لوالديه.

وأما حق ولدك فعليك أن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنت مسؤول عما وُلِّيته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه.

وأما حقوق قرابتك فإن تعلم أنهم عزك وقوتك فلا تتخذهم سلاحاً على معصية الله، ولا عدة على الظلم لخلق الله، ولا تدع نصرتهم على الحق والنصيحة

لهم ما أطاعوا الله، وإلا فليكن الله أكرم عليك منهم ولا قوة إلا بالله.
 وحق ذي المعروف عليك: أن تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة
 الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته
 سرّاً وعلانية، ثم إن قدرت على مكافأته يوماً ما كافيته.
 وأما حق الجار فإن تحفظه غائباً وأن تكرمه شاهداً، وأن تنصره مظلوماً وأن
 لا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل
 نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة.
 وأما حقوق المسلمين فعليك أن تضمّر السلامة والرحمة لهم، وأن ترفق
 بمسيئهم وأن تتألفهم وتستصلحهم، وتشكر محسنهم، وعليك أن تكف عنهم
 الأذى، وأن تحب لهم ما تحبه لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تجعل
 الكبير منهم بمنزلة أبيك، وشبانهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك،
 وصغارهم بمنزلة أولادك».

فهذا أيها المؤمنون ما تيسر جمعه من رسالة الحقوق فعليكم رعايتها والقيام بها
 تضمنت من الحقوق لتكونوا من الفائزين.
 وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرتضيه، ونسأله أن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة
 لوجهه الكريم، آمين اللهم آمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله.
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾:
 ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.



[في التقوى]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، وبالتوكل عليه
الكفاية من كل محذور، نحمده ونشكره على جميع الآلاء والأدواء، ونستعينه على
دفع البأساء والضراء، ونرغب إليه في حالتي الشدة والرخاء.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي يؤتي الملك من يشاء وينزعه
عمن يشاء، خالق السماوات والأرضين، ذلكم الله رب العالمين.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، المبعوث رحمة
للعالمين، الداعي إلى النهج القويم والصراط المستقيم، صلى الله وسلم عليه
وعلى آله الطاهرين، كهوف الأنام ومصابيح الظلام، الذين من آوى إليهم فقد
بلغ المرام، ومن استشفع بهم فقد نال خير الدنيا والآخرة على الدوام.
عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها من أهم الأمور وأوجبها على
الإنسان، والتقوى هي القيام بجميع الواجبات والانتها عن جميع المحرمات
والإخلاص في الأقوال والأعمال.

قال الصادق عليه السلام لما سئل عن التقوى ما هي؟ فقال: «أن لا يفقدك الله حيث
أمرك ولا يراك حيث نهاك» يقول ربنا عز وجل في معرض الثناء على المتقين:
﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ١٣٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٣﴾ [آل عمران، ١٣٢]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ٥٤
فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ٥٥﴾ [القمر، ٥٤]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَغُيُونٍ ٥٦
وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٥٦﴾ [المرسلات، ٥٦]، ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَائِقٍ وَأَعْنَابًا ٣٢
وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ٣٣ وَكَأْسًا دِهَاقًا ٣٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ٣٥ جَزَاءً مِنْ
رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ٣٦﴾ [النبا، ٣٦].

وقد أمر الله عباده بالتقوى في عشرات الآيات من القرآن العظيم فيقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة، ١٩٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران، ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾﴾ [الأحزاب، ١٠٦].

أيها المؤمنون، احذروا هذه الدنيا فبغرورها ضل من ضل، وبمكرها زل من الخليقة من زل، فحبها رأس الخطايا والسيئات، وبغضها واحتقارها أم الطاعات وأسس القربات، فلا تركنوا إليها ولا تعتمدوا عليها، أما رأيتم من كان من ذوي الأخطار وأرباب الأقدار كيف ذهبت أيامهم وبقيت آثامهم، فحسراتهم تتجدد وأسفهم لا ينفد، ولن يغني الأسف وقد أسلمتهم أعمالهم إلى موضع الانتقام ودار المصائب والآلام، قد خدد الدموع خدودهم، ومزقت النار جلودهم، لا يرجون انتهاء ما هم فيه فيهن، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون!!.

فيا أيها المغرورون عن النظر في هذه الأمور، كيف بكم إذا وافاكم الموت في غير استعداد للقاء الملك العلام؟ فترعُتم من الدنيا بكره وأخرجتم منها برغم، لا يصحبكم منها إلا ما قدمتم، ولا يغني أحدكم إلا العمل الصالح، فربّ ذي ملك أثقب نظره واستعمل فكره، فرفض مملكته الطويلة العريضة، وترك رياضه الجميلة الأريضة، وتفرغ لخدمة مولاه وأعرض عن دنياه، فكان في الدنيا كمن لم يكن منها، عمل فيها بما يبصر، وبادر فيها ما يحذر، يقلب بدنه بين ظهري أهل الآخرة، يرى الناس يعظمون موت أجسادهم وهو أشد إغظاماً لموت قلبه.

فيا عباد الله اتقوا الله حق تقاته، وحاسبوا أنفسكم قبل فوات الأوان، فمن حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر.

يا ابن آدم، ما لك ترجو الآخرة بغير عمل؟! وتسوف التوبة بطول الأمل؟! تقول في الدنيا بقول الزاهدين، وتعمل فيها بعمل الراغبين، إن أعطيت منها لم تشبع، وإن منعت منها لم تقنع، تعجز عن شكر ما أوتيت، وتبتغي الزيادة فيما بقي.

تنهى ولا تنتهي، وتأمر بما لا تأتي، تحب الصالحين ولا تعمل عملهم، وتبغض المذنبين وأنت تعمل ما يعملون، تكره الموت لكثرة ذنوبك وتقيم على ما تكره الموت من أجله، إذا حف بك البلاء ظللت نادماً، وإن عوفيت أمنت لاهياً، تعجب بنفسك إذا عوفيت، وتقنط من رحمة الله إذا ابتليت، إن أصابك البلاء دعوت مضطراً، وإن نالك رخاء وخير أعرضت مغترأ، تغلبك نفسك على ما تظن، ولا تغلبها على ما تستيقن، تخاف على غيرك بأدنى من ذنبك، وترجو لنفسك بأكثر من عملك.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾، ما لكم هكذا إن استغنيتم بطرتم وفتنتم؟ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ [الفلق].

ما لكم تقصرون إذا عملتم، وتبالغون إذا سألتكم؟ إن عرضت لكم الشهوات أسلفتم المعصية وأجلتم التوبة.

يا ابن آدم، مالك تخشى الموت ولا تبادر الفوت؟! مالك تستعظم من معصية غيرك ما تستقل أكثر منه من نفسك؟! وتستكثر من طاعتك ما تحقره من طاعة غيرك؟! فأنت على الناس طاعن ولنفسك مداهن، اللغو مع الأغنياء أحب إليك من الذكر مع الفقراء، تحكم لنفسك على غيرك، ولا تحكم عليها لغيرك.

فاتق الله وقل بالحق واعمل للأجر، واحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه، فاستبدلوا القول الفاحش بالقول الكريم، فإن الله يبغض الفاحش المتفحش، واحذروا سوء المجاورة لجيرانكم، واحذروا قطيعة الرحم فالنبي ﷺ يقول: ((والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وسوء المجاورة وقطيعة الرحم وحتى يؤتمن الخائن ويخون الأمين))^(١).

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن عبد الله بن عمرو.

وعنه عليه السلام أنه قال: ((إن بين يدي الساعة أياماً ينزل فيها الجهل ويرفع العلم ويكثر فيها الهرج ^(١))). ^(٢).

فيا أيها التائب، إلى متى تؤخر التوبة؟! إن لم تتب في أيام المهلة فلعلك بما كسبت يداك لا تتوب، ويا أيها المقصر في صلاته أقصر عن ذلك وشمر لاستيفائها واصبر على ذلك، فإن الصلاة عماد الدين لا يقبل شيء من الأعمال إلا إذا تقبلت، الرسول عليه السلام يقول: ((الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين)) ^(٣)، ويقول: ((صلوا الصلاة لوقتها، فإن ترك الصلاة عن وقتها كفر)) ^(٤). وقال عليه السلام: ((بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة)) ^(٥) وقال عليه السلام: ((صل خمسك وصم شهرك وحج بيتك وأخرج زكاة مالك طيبة بها نفسك تدخل جنة ربك)) ^(٦).

عن النبي عليه السلام أنه قال: ((مثل الصلاة المكتوبة مثل الميزان من أوفى استوفى)) ^(٧) وروى عنه عليه السلام أنه قال: ((يا علي، مثل الذي لا يتم صلاته كحبل حبلى، فلما دنى نفاسها أسقطت، فلا هي ذات حمل، ولا هي ذات ولد)) ^(٨).

(١) أي: القتل.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن شقيق.

(٣) رواه العنسي في كتاب الإرشاد.

(٤) رواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه عن علي عليه السلام.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام، ورواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أبي الدرداء بلفظ: أن رجلاً أتى رسول الله عليه السلام، فقال: يا رسول الله، ما عصمة هذا الأمر وعراه ووثائقه؟ فقال رسول الله عليه السلام - وعقد يمينه - : ((اخلصوا عبادة ربكم، وأقيموا خمسكم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم، وصوموا شهركم، وحجوا بيتكم تدخلوا الجنة)) ورواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام بدون [اخلصوا عبادة ربكم] وفيه بدل [تدخلوا الجنة] [تدخلوا جنة ربكم].

(٧) رواه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في كتاب الجواهر الدرية.

(٨) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

ومثل المصلي مثل التاجر لا يخلص له ربحه حتى يأخذ رأس ماله، كذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة))^(١).

وقال ﷺ: ((لا صلاة لمثلقت))^(٢)، وعنه ﷺ: ((لا يزال الله عز وجل مقبلاً على عبده في صلاته ما لم يتلفت))^(٣).

فالله الله عباد الله قوموا بحقوق الله عليكم، وأدوا واجب فرائضه عليكم، قبل أن تعاینوا من الأهوال أفضع مما تخافون وأعظم مما تقدرون.

ختم الله لنا ولكم بالحسنی، وأمننا وإياكم من أهوال عرصات الأخرى حتى يدخلنا برحمته جنة المأوى، بحرمة الكتاب المبين ورسول رب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف].



(١) تقدم تحريجه.

(٢) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام.

(٣) المصدر السابق.

[في صفات المتقين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الأول ولم يزل، الحمد لله الباقي بلا أجل، خرت له الجباه، ووحدته الشفاء، خلق ما خلق فأقام حده، وصور ما صور فأحسن صورته، ليس شيء منه امتناع، ولا له بطاعة مطيع انتفاع، نحمده على كل حال وفي كل حال. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

واشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، ابتعثه بالنور المضيء والبرهان الجلي، مولده بمكة، وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فإنها النجاة غداً والمنجاة أبداً، واحذروا الدنيا حذر الشفيق الناصح، واعتبروا بما قد رأيتم أو سمعتم من مصارع الأمم قبلكم، تزايلت أوصالهم، وزالت أبصارهم وأسماعهم، وانقطع سرورهم ونعيمهم.

وسابقوا إلى الدار التي دُعِيتُم إليها، واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعته، وبالمحافظة على ما استحفظكم من كتابه، فلا يضركم ما ضاع من دنياكم بعد حفظكم لدينكم، ولا ينفعكم ما حفظتم من دنياكم وقد ضيعتم دينكم. فاتقوا الله وأحسنوا فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فالمتقون هم الفائزون، وقد أثنى الله على المتقين ووعدهم بكل خير في الدنيا والآخرة.

واسمعوا إلى هذا الوصف البليغ الذي وصفهم به أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لما سئل عن ذلك، فمما قال عليه السلام: (المتقون هم أهل الفضائل، منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيههم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم).

وأطنب ﷺ في وصفهم إلى أن قال: (فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عباده، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرّجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر، يمزج العلم بالحلم والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زكّله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، ميتة شهوته، مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول والشر منه مأمون، يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره، في الزلازل وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، لا يحيف على من يبغض، ولا يائثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يُشهدَ عليه).

ومما قال ﷺ في وصفهم: (قلوبهم محزونة، وشروهم مأمونة، أجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة فأعقبتهم راحة طويلة، تجارة مربحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها، أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون تترتيلاً، يحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا أنها نصب أعينهم، وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حازمون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون من الله فكاً رقابهم، أولئك حزب الله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة].

فهل سمعتم أيها الناس ما جاء في وصفهم؟ ولكننا نتساءل فهل يا ترى من أحد في عصرنا هذا الملوث بالآثام من يتحلّى بمعشار هذه الصفات العظيمة للمتقين؟ كلا وألف كلا!!

إننا في زمن ترى أغلبية أهله كذاب في جلود الضأن كما يقال، إننا في زمن كثرت فيه الفتن، وأحييت فيه البدع وأميتت فيه السنن، إننا في زمن كثر فيه المنافقون الضالون المضلون، ترونها يعمدونكم بكل عماد، بينما هم يرصدونكم بكل مرصاد، يمشون الخفاء ويدبون الضراء، وصفهم دواء وفعلهم الداء العياء، إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا أكشفوا، وإن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً.

قد أعدوا لكل باب مفتاحاً ولكل ظلمة مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس؛ ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلامهم، يتظاهرون بالتقوى وهم عنها بعيدون، ويتحلون بحسن الأخلاق وفي قلوبهم غير ما يظهرون، وإنما يريدون بهذا وذلك كسب الثقة من الأغبياء ليتمكنوا من بث سمومهم ونشر عقائدهم، دأبهم اتباع متشابه القرآن ابتغاء الفتنة لما بهم من الزيغ ومرض القلوب، يتلقون المال من أعداء الإسلام ثمناً لضمائرهم ودينهم.

فتتواصى جميعاً بتقوى الله ومراقبته، فإنه تعالى رقيب علينا وقريب منا، يعلم أفعالنا ويرى حركاتنا ويسمع أقوالنا، ويطلع على أسرارنا وما تكنه نفوسنا، فنحن في قبضته وقلوبنا ونواصينا بيده، لا طاقة لنا عن التستر عنه بأي حال، ولا على الخروج من سلطانه في حل أو ترحال، لننجوا من عذابه ونأمن من الأفراع والأهوال، اسمعوا ما يقول الله ذو الجلال: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرِنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ [إبراهيم: ٤٤].

ثم اسمعوا ماذا سيكون الجواب عليهم؟ إنه يقول: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ ۚ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُم كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۚ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

فمن علامة القبول للطاعات تعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله، والرجاء

والخوف ومراقبة الله، فرجاء الله يحث على طاعته، وخوف الله يبعدنا عن معصيته، والمراقبة تسلك بنا طريق الجنة، فلنعد إلى رشدنا ونستيقظ من سباتنا ولنبادر بالتوبة والرجوع إلى الله فإنه كريم عظيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات.

ونسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه جواد كريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ عَاذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات].



[خطبة في الإخلاص وترك الرياء]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المنان بفوائده النعم، الذي خلق الخلائق وضمن أرزاقهم وقدر أقواتهم، الذي أوضح سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه، الذي أَرَانَا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطق به آثار حكمته ما يدلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه، نحمده بجميع المحامد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته، نتواصى بالصدق مع الله ومع أنفسنا ومع الناس فإن الله تعالى مع الصادقين، ومن كان الله معه فلن تمسه النار، ونتواصى بالإخلاص في الأقوال والأفعال، فربنا عز وجل يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ويقول عز من قائل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

واعلموا عباد الله بأن للصادق المخلص مكانة عظيمة عند الله، وهيبة وجلالاً عند الناس، وهي الحصن الحصين؛ لأنها تحصن المتحلي بها من تهم المفترين ونيل المجرمين، ثم اعلّموا أنه لا سبيل إلى الوقاية من سوء العاقبة إلا اتباع الهدى والحق قولاً وعملاً وصدقاً وإخلاصاً، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (أيها الناس احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال، ويكبر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال) إن هذا الكلام يدلنا دلالة واضحة بأنها سوف تنكشف الحقائق، وسوف يتميز الصادق من الكاذب والمخلص من المرائي، رضي الناس أم أبوا، وهذا اليوم الموعود لا شك في قدومه، ومن شك فيه أو تنكر له فإنه يعلم بفطرته أن الحق أحق أن يتبع، ويعلم أن المحبة خير من الحقد والعداوة، ويعلم بفطرته أيضاً أن الإخلاص والاستقامة أفضل من الانحراف والخيانة.

ويعرف أيضاً أن الاستقامة على الحق هي طريق السعادة والنجاة عند الله، وأن الجنة مأواهم، وأن الله تعالى وليهم، يقول الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

ولا يظن المخادعون الذين يتظاهرون بالصلاح والصدق والإخلاص وهم عن ذلك بعيدون - فلا يظنون بأنهم قد فازوا وانتصروا، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور].

يقول أمير المؤمنين علي عليه صلوات رب العالمين يقول: (واعلموا عباد الله بأن عليكم رصداً من أنفسكم وعيوناً من جوارحكم وحفاظ صدق يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، ولا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذورتاج).

واعملوا عباد الله في غير رياء ولا سمعة، فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له، ومن عمل لله مخلصاً تولى الله ثوابه.

واعلموا أن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه خلق خلقه فألزمهم عبادته وكلفهم طاعته، وقسم بينهم معاشهم ووضعهم في الدنيا بحيث وضعهم، وهو في ذلك غني عنهم، لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين، لكنه تعالى علم قصورهم عما تصلح عليه شؤونهم وتستقيم به دماؤهم في عاجلهم وآجلهم، فارتبطهم بإذنه في أمره ونهيه، فأمرهم بخيراً، وكلفهم يسيراً، وأثابهم على ذلك كثيراً، وميز سبحانه بعدل حكمه وحكمته بين الموفق من عبيده إلى مرضاته ومحبته، وبين المبطل عنها والمستظهر على نعمته منهم بمعصيته، فذلك

قول الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية].

أيها المؤمنون، إن الإنسان بغريزته هلوع وهو من أنواع الشرور جزوع، وللخيرات منوع، وإن النفس ذات شغف بالدنيا وولوع، فلا تؤثر ما يفنى على ما يدوم، فما بلغت رتبة في الغناء إلا ابتغيت إليها مراتباً، فوقفوا أنفسكم على مقدار، وعرفوها عواقب هذه الدار، وأمسكوها بزمام القناعة كيلا تتقحم بكم في النار، فحسبها من المال ما أحله الواحد الأحد، وحضها من كل ما في الأرض ما به قوام الجسد.

فيا أيها الحاضرون في الجامع، الملقون السمع وأكثرهم غير سامع، ما لي أرى قلوباً قد غابت عن القوالب، ونفوساً قد تفرقت بها المذاهب، تركن إلى المخلوق وتستترزق المرزوق، ضعف المطلوب والطالب.

فالله تعال قد ضمن الأرزاق وحثكم على العمل، وزجركم عن اقتراف المآثم ونهاكم عن تطويل الأمل، وزهدكم في العاجل ووعدكم بمضاعفة الأجور والله لا يضيع عمل عامل، وكفى بالله وكيلاً وكفياً، ويكتبه هادياً ودليلاً، تبصرة لذوي البصائر، وهداية إلى الحق لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، فلا يلفينكم الله حيث نهاكم، ولا يغلبنكم على طاعة أوامره هواكم، ولا تقربوا الشهوات فتبيعوا آخرتكم بدنياكم وتكونوا عن طريق الله مائلين، ولسخطه متعرضين، وارفضوا الدنيا فهي عند الله مرفوضة، كيف لا وهي لا تزن عنده جناح بعوضة، أما رأيتم كيف بسطها لأعدائه وقبضها عن خلاصة أوليائه، ونعتها على لسان خاتم أنبيائه فقال في كتابه الذي تدرسون: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾ [هود].

وقال تذكيراً لكل عبد منيب: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء].

فنازعوا النفوس قيادها وذكروها مردها إلى الله ومعادها، فمن الذي يؤمنكم على ارتكاب الجرائر وأنتم تعلمون أنكم محاسبون على الصغائر والكبائر، ومع ذلك فالحاكم العدل هو رقيب عليكم ولما اقترفتموه مشاهد حاضر، ثم ما الذي أطمعكم في الإقامة والأيام بكم تسافر.

ألا وإنكم في مبدأ سفر قد استقلت ركائبه، وفي منتهى وقوف قد قُرِبَتْ خيامه ونجائبه، فعليكم أن تعطوا الحزم حقه، وأن تتزودوا للآخرة فقد علمتم بُعْدَ الشقة، وتحففوا فقد جاوزتكم الرفقة، فإنكم إنما مشيتم في آثار قوم قد عمروا هذه المعاني، وتمتعوا بقلكم هذا المتاع الفاني، طولوا كما طولتم الآمال، وغرتم كما غرتكم الأمانى والإمهال، ثم أخذوا من هذه الدنيا على غفلة، وأبدلوا عن الحلول فيها بالسفر والرحلة، فانقلبوا إلى قبور شديدة الظلم، وبُذِلُوا بالمسرات أهوالاً لا أستطيع التعبير عنها مهما بالغت في الكلم، وخلت عنهم الديار وعفت معالمهم والآثار، كأن لم يلبثوا فيها إلا ساعة من نهار.

وهكذا تنقضي الأعوام والأحقاب، وتذهب الأعقاب بعد الأعقاب، حتى يلحق الباقي من قد تلف، ويمضي التالي على أثر من قد سلف، فيا خلائف الرفات، ويا أيها الأجساد الذين هم عن قريب أموات، إنما هذه الدنيا خيال كاذب، وإنما المرء فيها عرضة للنوائب فبينما يكون العبد ساهياً في نشوته ولاهياً في قضاء شهوته، مغتبطاً بهاله ومبتهجاً مختالاً بهيئته وجماله، راکضاً في ميادين حرصه وآماله؛ إذ دهمته مجامع الآلام وطرقته طرائق الأوجاع والأسقام، وجاءه الموت وسكراته، وتغرغرت بالماء لهاته، وعرق للغصص جبينه، ثم انقطع بعد ذلك نفسه وأنيته، وأدرج ملفوفاً في أكفانه، وحجب عن أحبته وخلانه، وجفاه الأصدقاء والأحباب، وافترش في قبره الجنادل والتراب.

فتداركوا عباد الله ما قد سلف منكم من التقصير والتفريط، وعاتبوا أنفسكم على ما استحلّت من التخليط، وجدوا في طاعة الله بامثال أوامره ونواهيه، وقوموا بأداء الواجبات وترك المحرمات.

ولا تركنوا أبداً إلى الدنيا فإنها هي كأضغاث أحلام، إن أقبلت فلا يؤمن شرها ووبالها، وإن أحسنت مرة أساءت عدة مرات، فكل متعزز بالدنيا فلإلى الذل مصيره، وكل متكثّر بها فلإلى التحسر مصيره، شأنها الهرب من طالبها والطلب لهاربها، من خدمها فاتته، ومن أعرض عنها أتته، لا يخلو صفوها عن شوائب المكدرات، ولا ينفك سرورها عن المنغصات، سلامتها تعقب السقم، وشبابها يسوق إلى الهرم، فاحذروها فإنها خداعة صرّاعة، وتزودوا إلى الله في حياتكم بالأعمال الصالحات فهي -والله- خير بضاعة.

روي أن سليمان بن داود عليه السلام مر في موكبه العظيم، الطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن شماله، مر بعابد من العباد فقال: يا ابن داود، لقد آتاك الله ملكاً عظيماً، فأجابه نبي الله سليمان عليه السلام قائلاً: «لتسيّحة مؤمن خير مما أعطي ابن داود».

وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى، وختم لي وإياكم بالحسن، إنه سميع مجيب، ومن دعاه وناجاه قريب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.



خطبة في محاسن الأخلاق نفع الله بها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على ما عرفنا به من نفسه، وعلى ما ألهمنا به من شكره، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته، والحمد لله على ما دلنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنبنا الإلحاد والشك في أمره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحكيم العليم، ما كان ليخلق الناس عبثاً ولا أن يتركهم في هذه الأرض سداً، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، خيرته من خلقه وصفوته من عباده، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، اعلّموا أن الإيمان والإخلاص قوة عظيمة يعصم بها الإنسان نفسه عن ارتكاب المحارم وعن التماذي في المآثم والجرائم، والإيمان أيضاً يدفع صاحبه إلى أعمال البر وإلى القيام بالطاعات والتحلي بالأخلاق الحسنة، فالعبادات التي شرعها الله وجعلها أركاناً في الإيمان، هي مفروضة على العبد لتعويده على الاستقامة، ولأن تكون حياته كلها حياة كريمة مملوءة بالأخلاق النبيلة الصحيحة، وأن يتمسك بها مهما تغيرت الظروف والأوقات؛ لئلا يكون من الذين يقول الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج].

والقرآن الكريم والسنة الشريفة يبينان لنا هذه الحقيقة، فالصلاة المفروضة أبان الله الحكمة في إقامتها حين يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فالابتعاد عن الرذائل والتزهد والتطهير من سوء الأقوال والأعمال هو حقيقة الصلاة، روي في حديث قدسي: ((إن الله عز

وجل يقول: إنما أقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وقطع نهاره في ذكرى، ولم يَبِثْ مُصِراً على خطيئة، ولم يتعاضم على خلقي^(١). كذلك الزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الغني إلى الفقير فقط، بل هي غرس للرحمة في قلوب الناس، رحمة من الأغنياء بالفقراء لضعف حالهم، ومحبة من الفقراء للأغنياء لأداء حقوقهم وعطفهم ومحبتهم لهم، وتوطين لنفوس الأغنياء للتآخي والإحساس بالفقراء حتى لا يضيعوا بينهم، ولتطهير المزكين وتركية نفوسهم ونمو أموالهم.

وقد نص القرآن على معنى الزكاة في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، وقال في آية أخرى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لَتُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٦].

وتطهير النفس من أدران النقص، ورفع المجتمع إلى أعلى المستويات هو الحكمة الأولى من فرض الزكاة، ومن أجل ذلك جعلت الصدقة باباً واسعاً يرده الضعيف والقوي والغني والفقير، وقد قال رسول الله ﷺ فيما يروى عنه: ((تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة))^(٢).

وكذلك شرع الإسلام الصوم فلم ينظر إليه على أنه حرمان بعض الوقت للنفس عن الأطعمة والأشربة فقط، بل جعله حرماناً للنفس طول حياتها عن الشهوات المحرمة، ومن شواهد ذلك قول رسول الله ﷺ: ((من لم يدع

(١) رواه شيخ الإسلام محمد بن منصور المرامي في كتاب الذكر.

(٢) ذكره الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في حياة القلوب.

الحنأ^(١) ولا الكذب فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه^(٢).
 وقال ﷺ: ((ليس الصيام من الأكل والشرب، إنما الصيام من اللغو والرفث، فإن سابك أحد أو جهل عليك فقل: إني صائم))^(٣).
 والقرآن الكريم يبين لنا منافع الصوم بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لأن الصيام أمنع لنفسه وأردع لها من مواجهة السوء.

أما الحج فقد يعتبره الإنسان رحلة خالية عن المعاني الخلقية، ولكنه حاصل بالعكس فله فوائد ومنافع عظيمة، فالحج ترك الرفث والفسوق والجدال والباطل، وهو حامل لنا على فعل كل خير، وكذلك على تقوى الله عز وجل وعلى التزود منها، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].
 فهذا العرض لما ذكرنا من العبادات التي تعرف بأنها أركان الإسلام؛ ليستين منه الروابط المتينة بين الدين والخلق، فهي عبادات مختلفة في ظاهرها ولكنها تلتقي عند الغاية التي وضعها الإسلام وبينها رسول الله ﷺ حين يقول: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^(٤).

فهذه العبادات المذكورة وغيرها من العبادات هي مدارج الكمال المنشود، وروافد التطهير الذي يصون الحياة ويرفع شأنها، ومن أجل ما يرتبط بها أو ينتج

(١) (الْحَنَاءُ) الْفُحْشُ فِي الْكَلَامِ. (المعجم الوسيط).

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أنس.

(٣) ذكره الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في حياة القلوب.

(٤) رواه الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي في كتابه آداب العلماء والمتعلمين، وروى الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الإمام علي عليه السلام ((بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها)).

عنها من أخلاق جعلت أركاناً هامة للدين، فإذا لم يستفد الإنسان من هذه العبادات ما يزكي بها قلبه ويحسن بها صلته بالله عز وجل وبالناس فقد هوى، وقد وضح الرسول ﷺ أن الإيمان القوي يولد الخلق القوي حتماً، وأن عدم وجود الأخلاق حاصل من ضعف الإيمان أو فقدته، فالإنسان الذي يعمل الرذائل غير آبه بأحد، وبلا حياء ولا حشمة يعتبر قليل الإيمان أو عديمه، يقول رسول الله ﷺ: ((الحياء من الايمان ولا ايمان لمن لا حياء له))^(١).

والإنسان الذي يؤدي جيرانه ويرميهم بالسوء يحكم عليه الدين حكماً قاسياً، يقول الرسول الكريم محمد ﷺ: ((ما آمن)) قيل: من يا رسول الله؟ قال: ((من لم يأمن جاره غشمه وظلمه))^(٢)، وهكذا يمضي ﷺ في غرس الفضائل في قلوب أمته، معتمداً على صدق الإيمان وكماله، على أن بعض المتسبين إلى الإسلام قد يستسهلون أداء العبادات، ويظهرون الحرص على إقامتها، بينما هم في الوقت نفسه يرتكبون أعمالاً فاحشة يأبأها الخلق الكريم والدين القويم، والإيمان المستقيم.

فرسول الله ﷺ حذر الناس من هؤلاء وأمثالهم، قال له رجل يا رسول الله، فلانة ... وذكر من كثر صلاتها، ولكن تؤذي جيرانها بلسانها، قال: فقال ﷺ: ((هي في النار))^(٣) لم تنفعها كثرة الصلاة والصيام والصدقات؛ لارتكابها هذه المعصية العظيمة، وهي الأذى لجيرانها.

فجعل الخلق أساس الإصلاح في الدنيا والآخرة.

إن الإيمان والصلاح والأخلاق متلازمة متماسكة، لا يستطيع أحد تمزيق عرافها، فالمتدين الذي يعمل العبادات ولكنه يعمل أعمالاً إجرامية عدوانية

(١) رواه الإمام الهادي في الأحكام.

(٢) رواه الإمام الهادي في الأحكام.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

كيف يكون من المتقين؟ كلا ولا كرامة، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن الخلق الحسن ليذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل))^(١).

فإذا نمت الرذائل من عبْدٍ وظهرت وفشا ضررها وعظم خطرهما، وانسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زوراً فما قيمة دين بلا خلق؟ وتقريراً لهذه المبادئ الواضحة في صلة الإيمان بالخلق القويم يقول رسول الله ﷺ: ((ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، مَنْ إذا حدث كذب، وإذا أُوْعد أخلف، وإذا أُوْتُمِن خان))^(٢).

وإذا عرفنا أن أوامر الله بالأفعال الحسنة وأن نواهيهِ عن الأمور القبيحة تدعو إلى الخلق الحسن، وتوصل المتمسك بها إلى أحسن الأخلاق - لأنها في ذاتها حسنة - عرفنا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسن في ذاته، وأن صاحبه من أحسن الناس أخلاقاً، قال أمير المؤمنين علي عليه صلوات رب العالمين: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللَّهِ سبحانه).

ولأنه أصل من أصول الدين ومدعاة لبقاء الدين واستمراره، وأن من تركه وجامل الناس فإنه لا يكون من ذوي الأخلاق الحسنة، بل العكس من ذلك؛ ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٣) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة]، سباهم الله تعالى عصاة ومعتدين، واستحقوا المقت من

(١) ذكره القاضي الحسين بن ناصر النيسائي الشرفي المعروف بالمهلا في كتاب مطمح الآمال وفيه بدل [تذيب الشمس] [تذهب الشمس] ورواه السيد العلامة محمد بن يحيى المطهر في كتابه المختار نقلاً من صحيفة علي بن موسى الرضا عليه السلام عن علي عليه السلام بلفظ: قال رسول الله ﷺ: ((الخلق السيئ يفسد العمل، كما يفسد الخل العسل)).

(٢) رواه العنسي في كتاب الإرشاد إلى نجات العباد، ورواه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين.

الله والطررد من رحمته.

ولا بد أن يكون الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أسوة وقدوة في العمل والترك؛ لتقبل منه هذه الفضيلة، وأن يكون على دراية ومعرفة بالأثر المترتب على أمره ونهيه من الظن أو العلم بالسلب أو الإيجاب، فيتعامل بالطرق السليمة الناجحة، وذلك على حسب المراتب المعروفة بين الأمة والتي تتناسب مع الدين القويم والفطر السليمة .

جعلنا الله وإياكم من الأمرين بالمعروف الفاعلين له، والناهين عن المنكر التاركين له، ومن المتحليين بأخلاق الأنبياء والمرسلين، آمين اللهم آمين .
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان].



[خطبة حول العقل]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله فاتح أبواب رحمته لمن طرقها، الحمد لله موضح منهاج السعادة لقلوبٍ وفقَّها، الحمد لله قابل الحمد من السنة بحمده أنطقها، الحمد لله شاكر البذل من أيدي هو الذي أعطاها ورزقها، نحمده على ما أنعم، ونشكره على ما ألهم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الأعظم، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الأكرم، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وبارك وترحم وتحنن وسلم.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته، أيها الناس، عجباً لابن آدم زخرت له الجنة فأبعده عنها كسله، وسعرت له النار فأوقعه فيها زكُّه، ناداه الرحمن فكأنه لندائه لم يسمع، وناجاه الشيطان فلبى دعوته وأسرع؛ وذلك لأنه لم يستعمل عقله لما خلق له.

إن الإنسان تفوّق على كل من شاركه في الحياة بهذه الهبة العظيمة، التي منحه الله بها، وهي العقل، فامتاز به على سائر الحيوانات، وقد كان في أول حياته ضعيفاً لا يعلم شيئاً ولا يقوى على شيء، ولا يستطيع ما يستطيعه بعض الحيوانات.

نعم، هذا الإنسان وهكذا خلق، ولكنه بهذه النعمة العظمى والهبة الكبرى خرج من مصاف الحيوانات وارتقى إلى قمة الإنسانية، فبهذا العقل العظيم يستطيع أن يفكر في ملكوت السماوات والأرض وفي نفسه وما حوله؛ ليحصل على معرفة الله حق المعرفة، وليدرك وجود صانعه، وليعرف المنعم المتفضل فيؤدي شكره.

ثم إن الإنسان بواسطة هذا العقل العظيم يستطيع أن يتبع ويستقرئ أسرار الطبيعة، ويستخرج الكنوز والمعادن فيستفيد منها كما أراد الله له ذلك، فالله تعالى إنما خلقها للإنسان فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

ويستطيع هذا العقل العجيب أن يعرف واجبه الإنساني من استعمال العدل مع سائر أبناء جنسه وغيرهم، حيث أرشده العقل إلى معرفة قبح الظلم وحسن العدل، وإلى أن السعادة الحقيقية لا تحصل ولن تحصل إلا بالعدل في معاملة الآخرين، وإلى تجنب الظلم والجور على الإطلاق.

ويستطيع الإنسان هذا العقل أيضاً أن يعرف كافة الواجبات العقلية، كشكر المنعم وبر الوالدين وصلة الأرحام وتجنب الآثام، وأن يعرف ويتقبل الواجبات الشرعية، وأن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنه لا يصحبه إلى الآخرة إلا عمله الذي قدمه، والعمل لذلك المنزل ولما بعده من الأهوال التي ذكرها فضلاً عن مشاهدتها مذهل، يوم يبرز ذلكم الجد الصارم والهول القاسم، يوم يتنزل غضب الله الجبار الحاكم، وأخذة الشديد الحاسم، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، حين يعرض أولياء الله والفرحة تملأ جوانحهم، والسرور قد غشيهم، فيهتفون أمام الجموع العظيمة المحتشدة في يوم العرض الأكبر، حين يؤتون كتبهم بأيمانهم يهتفون قائلين: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةٖ﴾ ١١ إِنْى ظَنَنْتُ أَنى مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٖ ١٢ فَهَؤِى عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ١٣ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ١٤ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ١٥ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِى الْآيَّامِ الْخَالِيَةِ ١٦﴾ [الحاقة].

أما المجرمون العصاة الذين لم يستعملوا عقولهم لما خلقت له، فإنهم حينما يعرضون أمام هذا الحشد العظيم، بل أمام الله وأمام ملائكته وأمام أنبيائه ورسله، وأمام أهل الجمع - يعرضون حينئذ مكشوفة أسرارهم، مهتوكة أستارهم، ظاهرة سرائرهم، بادية عيوبهم، لا يملكون أي حيلة، ولا يجدون سبيلاً إلى التخلص من هذه الفضائح، ولا لما بعدها من العذاب المهيّن، لا مكر يومئذ ينفعهم، ولا حيلة تجديهم، ولا صديق ولا حميم يرق لهم، فيا لها من فضيحة ما أخزاها، ويا لها من ندامة ما أتعسها وأقساها، حينما ينكشف ما كانوا حريصين على ستره حتى من أنفسهم ومن أقرب قريب لهم، حينما تظهر المعائب

والفضائح على المستوى البشري بأكمله، ثم حين يؤتى كتابه بشماله فيقول والحسرة تغمره والحياء يعلوه والخوف قد أحاط به، يتمنى ولكن حين لا ينفعه التمني فيقول: ﴿يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ ۖ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهِ ۖ يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة]، ثم يتحسر حين لا ينفعه ماله ولا سلطانه، ويقول بحزن لا ينتهي وأسف دائم وندامة غير منقطعة يقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ۖ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ [الحاقة]، وهناك يُعلن الأمر الجازم الصارم من العزيز الجبار القاصم إلى زبانية جهنم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۚ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۚ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۚ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۚ فَلَئَسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۚ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۚ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة].

فاهتموا عباد الله بتحصيل ذخائر العقبي، وقدموا من أعمال البر ما يزيدكم إلى الله قربا، واعملوا ما دام العمل ينفع وفي العمر متسع ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون]، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۚ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتًا عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر].

قبل الحسرة والندامة، والوقوف على عرصات القيامة، حينما تُسأل عن سمعك الذي تعرف به نداء الحق من تلكؤ الباطل ولحنه، وعن بصرك الذي تدرك به سبيل الهدى ومنار التقوى، وتشاهد به جيئات الأباطيل وعاقبة المبطلين، وعن عقلك الذي هو حجة لك أو عليك وميزك به على كثير من الخلق تكريماً منه سبحانه وتعالى، وهو المعبر عنه بالفؤاد من باب تسمية الحال باسم محله في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء].

وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وختم لنا بالحسنى إنه سميع مجيب، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج].



خطبة في فضل الدعاء وأهميته نفع الله بها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله ولي الحمد ومتهى الكرم، الحمد لله المتفضل على خلقه بجزيل النعم، الحمد لله أهل الحمد ومأواه، فله منا أوكد الحمد وأعلاه، وله منا أظهر الحمد وأكرمه وأولاه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا تدركه الصفات ولا يحد باللغات ولا يعرف بالغايات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، نبي الهدى وموضع التقوى ورسول العلي الأعلى، جاء بالحق من عند الله لينذر بالقرآن المنير والبرهان المستنير، فصعد بالكتاب المبين، ومضى على ما مضت عليه الرسل الأولون صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، واعلموا أن الله تعالى حد لنا حدوداً فلا تعتدوها، وفرض فروضاً فلا تنقصوها، وأمسك عن أشياء رحمة منه بعباده فاقبلوها، الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهة، فمن ترك ما اشتبه عليه فهو لما استبان له أترك.

فاتقوا الله عباد الله وكونوا من أمره على وجل، ولا تغتروا بالآمال وبطول الأجل، فجدوا في طلب الجنة ولن يُنال ذلك إلا بالعمل، ولا تركنوا إلى الدنيا فإنها خداعة غرارة، فكم عالٍ أنزلت، ووالٍ عزلت، وحليم زلزلت.

فاتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. أيها المؤمنون، ولما للدعاء من أهمية عظيمة فإننا نعيش وإياكم فترة من الوقت مع فصل من فصول وصايا أمير المؤمنين علي عليه صلوات رب العالمين، الذي خَبَرَ الحياةَ ووقف على أسرارها، وذاق حلوها ومرها، وعاش آلامها ومصائبها، الذي نصر الحق وجاهد الباطل ونبذه، ووقف عند كل منعطف في الحياة يدرس ظواهره وبواطنه، ليستخلص العبر والحكم؛ ليقدمها إلى أمة محمد ﷺ وصايا نافعة، فيقول في هذا الفصل:

(إن الذي بيده خزائن السماوات والأرض قد أذن لك في الدعاء وتكفل لك بالإجابة، أملك أن تسأله ليعطيك، وأن تسترحمه ليرحمك، ولم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه، ولم يلجئك إلى شفيع يشفع لك لديه).

هذا فصل من فصول تلکم الوصية العظيمة، وكما ترون فقد طرح أمامنا مسألة هامة هي من صلب الإيمان ومن أهم الواجبات في الإسلام، فالدعاء هو تعبير عن لقاء بين الإنسان وبين الله القريب المجيب تعالى.

وأهمية الدعاء عظيمة وفوائده في حياتنا جلية، فالدعاء والتوسل إلى الله تعالى يجعل الإنسان المؤمن يحس بالراحة النفسية والاطمئنان التام، والدعاء إذا كان بخضوع وخشوع وإخلاص يعين الداعي على الابتعاد عن معاصي الله، ويضاعف نشاطه إلى فعل الطاعات التي تزيد في الحسنات، وبالتالي تقوده إلى جنة الخلد حيث النعيم الدائم والسعادة السرمدية، إلى جوار الله وإلى مرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

فإذا توجه العبد إلى الله بقلب خاشع أقبل الله تعالى عليه فاستجاب له دعاءه، فالله جل وعلا ومن رحمته بعبده هو الذي يحثهم على الدعاء ويرغبهم فيه، بل هو الذي يلزمهم به ويأمرهم ويعددهم بالاستجابة لهم.

فعلى العبد إن أراد إجابة دعائه أن يتوجه إلى الله بإخلاص وصفاء ونزاهة، وأن يحقق العبودية الكاملة باللجوء إلى الله، والاستغناء به عن سواه، لقد أكد القرآن على التزام الدعاء والتعبد به والحث عليه والاعتناء به، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة].

بل قد أمرنا بالدعاء وسماه عبادة وجعل تركه استكباراً وتوعد على تركه بدخول جهنم داخرين، يقول عز من قائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر]، ويقول عز وجل:

﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ١٤]، ويقول تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧].

وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ فيما يروى عنه: ((الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض))^(١)، ويقول ﷺ: ((ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء))^(٢).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: (أحب الأعمال إلى الله سبحانه في الأرض الدعاء، وأفضل العبادة العفاف).

نعم، أيها الأحبة في الله، الله تعالى أمرنا بالدعاء ووعدنا بالاستجابة، ولكنه عز وجل جعل لقبول الدعاء شروطاً نستوحيها من الآيات القرآنية التي تحتنا عليه، فأولاً الإخلاص في الدعاء، ومعناه أن يكون من القلب مع اللسان، وأن يستشعر الداعي عظمة الله ويستحضر حاله وقوفه بين يدي الله، وأن يناجي الله بصدق ويقين وثقة بالله تامة، وأن يذكر أنه أمام الخالق القادر العظيم، فعليه أن يكون خاضعاً خاشعاً خائفاً مستكيناً، متوجهاً إلى الله بجوارحه وجوانحه بقلبه ولسانه، وهذا ما تعبر عنه الآية الكريمة، وهي قول الله: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ومن الشروط الأساسية لقبول الدعاء هي التقوى، وهي أن يكون الداعي ملتزماً، ومعناه: أن لا يترك واجباً ولا يرتكب محرماً، بل يكون مستقيماً في سلوكه وسائراً في طريق الله التي رسمها لعباده، نستوحي ذلك من قول الله عز وجل: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أما إذا كان الداعي يعج بالمعاصي ويتقلب في الحرام ويسبح في بحار الرذيلة،

(١) رواه العنسي في كتابه الإرشاد ورواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام وبديل قوله: [ونور السماوات والأرض] [وزين ما بين السماوات والأرض].

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي هريرة.

فإنه بعيد عن الاستجابة، فلا ولا كرامة، فإنها يتقبل الله من المتقين، وكذلك العبد الذي لا يذكر الله ولا يدعو إلا عند الشدة والآلام والمصائب والنكسات، وإذا كان في صحة ورخاء وأمن واستقرار نسي الله عز وجل فلم يذكره.

وقد أخبر الله بهؤلاء وأمثالهم وكشف لنا حقيقتهم حين يقول: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت]، ويقول: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس].

فعلينا إذا أردنا أن ينقذنا الله تعالى من الشدائد أن نذكر الله تعالى ونلجأ إليه في كل الحالات، ففي الأثر: ((تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة))^(١).

وبما أن الإنسان يجهل الكثير من المصالح، فإنه قد يدعو أحياناً بما فيه ضرر وهو يظن أنه في صالحه أو في الصالح العام، كما قد أنبأنا الله حيث يقول: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾ [الإسراء]، فإن الله تعالى قد لا يستجيب هذا الدعاء لعلمه بعواقب الأمور، بل ينظر لنا ما فيه الخير لعاجلنا وآجلنا وديننا ودياننا، كما جاء ذلك في حديث قدسي يقول الله تعالى على لسان رسوله ﷺ: ((يعبادي، سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لأخرتكم إلا أعطيتكم، ولا لديناكم إلا نظرت لكم))^(٢) فسبحانه وتعالى من إله ما أكرمه!!

وهنالك أسباب أخرى قد تمنع إجابة الدعاء، ومنها: أن يكون الإنسان متواكلاً كسولاً، يعتمد على الدعاء من دون الأخذ بالأسباب والمقدمات التي أمرنا الله بالأخذ بها، فمن أراد الرزق فإن عليه أن يتسبب بأي نوع من الأسباب ثم يدعو الله تعالى أن يرزقه، ومن مرض فليذهب إلى الطبيب ويستعمل العلاج، ومع ذلك يتوجه إلى الله بطلب الشفاء والعافية، ومن أراد النصر على الأعداء

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أنس عن رسول الله ﷺ.

(٢) رواه العنسي في كتابه الإرشاد.

فإن عليه أن يبيئ له أسبابه، وهي إعداد العدة والقوة كما يقول الله عز وجل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، ثم يتوجه بالدعاء إلى الله بالنصر والظفر.

وهكذا فالرجوع إلى الأسباب هو رجوع إلى الله؛ وقد ورد أحاديث في الحث على الدعاء من المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب، وهذه النظرة الإسلامية العظيمة تعكس صورة التعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي، فإن كل فرد يشعر في قرارة نفسه أن الناس كلهم معه بشعورهم وعواطفهم، فإنهم إذا لم يستطيعوا إنقاذه مما حل به فإنهم يعيشون معه آلامه ومشاكله، يدعون الله تعالى لتخفيف آلامه ولتحقيق آماله وحل مشاكله.

فليكن الدعاء هو الوسيلة التعبيرية عن الرصيد الداخلي لهذا الإنسان تجاه أخيه الإنسان، والأدعية تطهر النفوس من كل خبث وزيف.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من الشاكرين الذاكرين، وأن يعيننا على أداء شكره وذكره وحسن عبادته إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله، آمين رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].



في التوبة وصية أمير المؤمنين عليه صلوات الله وسلامه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الواحد ذي البرهان والأول ذي السلطان، الحمد لله الكائن قبل السماوات والأقطار، وقبل الليل والنهار، وقبل الظلم والأنوار، فهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم.

نحمده حمداً لا يحيط به إلا هو ولا يسعه إلا علمه ولا يحصيه أحد غيره. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي خلق الخلق فأرشدهم وهداهم، وبالنعم العظيمة الجليلة ابتدأهم، ولم يصدهم عن رشدهم، ولم يحل بينهم وبين نجاتهم.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، أرسله إلى الناس بالإعذار والإنذار، والترغيب في الجنة والتحذير من النار؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله وآمنوا به، فمن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْثَوْرَ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [التغابن].

أيها الناس، أما أن لنا أن نصطليح مع الله؟ أما أن لنا أن نعود إلى الله؟ أما أن لنا أن نتمسك بمن أمرنا بالتمسك به للنجاة ونأمن من الضلال؟ أما أن لنا أن نوطن أنفسنا على التزام الحق وأن نربي أولادنا على ذلك؟

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٥٢ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ

قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥١﴾ [الزمر].

إن المعصية وكما تعلمون تمرد على الله، وطغيان على أحكام الله، فهي أحياناً تشكل الوقوف في وجه الحق والتحدي له، كما أنها أحياناً أخرى تشكل ضعفاً في الإيثار وضعفاً في اليقين، يتغلب فيها جانب النفس والشهوة على جانب الأوامر الإلهية والأحكام الشرعية، المعصية عملية اجتياز للقانون السماوي ومخالفة له، فبمقدار احترام الله ومعرفته ونفوذ كلمته لدى الإنسان، فإنه يحاول السير على منهاجه كما يحاول ترك مخالفته، بل يسعى بكل طاقاته أن يقترب منه بإظهار طاعته وحصول أكبر مقدار من الامتثال لأوامره وأحكامه، فإذا كانت المعصية تشكل التمرد والطغيان وخرقاً للقوانين الربانية، فإن التوبة تشكل الرجوع والإنابة وتشكل الندم والاعتذار، وتشكل التصميم على السير وفق نهجه الذي رسمه والخطة التي يرتبها.

إن التوبة تتمثل بلوعة في قلب العبد التائب، وبحرقه إثم المعصية السابقة ودمعة في العين يسكبها التائب، كما أن التوبة تتمثل أيضاً في التصميم على عمل الخير والبر فيما بقي من أيام عمر التائب.

إن التوبة عودة إلى رحاب الله الواسعة، عودة إلى الطاعات والأعمال الصالحة، رجوع إلى كنف جبار السماوات والأرض الملك القدوس العزيز الحكيم، إن التوبة عودة إلى القوة المطلقة المهيمنة على الكون والوجود، عودة إلى مُصْدِرِ النعم ومفيضها على الكائنات بأسرها.

واسمعوا ثم انظروا كم هو الفارق بين النظرة الإسلامية والنظرة المسيحية بشأن التوبة؟ يحكى أن التوبة عند المسيحيين هي أن يقف النصراني العاصي أمام القسيس ليعترف بكل جرائمه وانحرافاته، ظناً منه أن هذا الاعتراف يمحو عنه السيئات ويكفر الخطيئات؛ لأن في نظرهم أن هناك طبقة الكهنة وأنها تمتلك حق المغفرة للذنوب، وأن بيدها الحل والعقد دون سائر الناس.

وهذا خلاف النظرة الإسلامية، فهي ترى أنه لا يمتلك حق المغفرة للذنوب إلا الله وحده، ففي حين يقف المسلم أمام الله الذي عصاه وقفة عودة إليه ورجوع إلى رحابه، يناجيه بلسانه ويتوجه إليه بقلبه دون واسطة ولا شفيع، يقف المسيحي أمام إنسان مثله ليفضح نفسه ويهتك ستره ويبيدي معائبه، يقف أمام إنسان خطاءً مثله، وقد يكون أحياناً أسوأ حالاً من صاحب الاعتراف.

فما أجمل وأروع الوقفة أمام الله الذي يملك الحكم والأمر والنهي، وما أقبح الوقفة من الإنسان أمام إنسان لا يملك من أمر نفسه شيئاً، إن الوقفة أمام الله عزة ورفعة وشموخ ورجوع إلى مالك الإنسان ومالك السماوات والأرض، وإن الوقفة إلى القسيس أو الراهب وقفة مخزية مضحكة.

أيها المؤمنون، لقد أكد القرآن على وجوب التوبة والرجوع إلى الله في كثير من الآيات المجيدة يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ويقول: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١]، ويقول تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، والآيات القرآنية كثيرة في هذا المجال.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)) (١).

والتوبة النصوح ليست نطقاً باللسان فقط، بل لا بد مع ذلك من ترك المعاصي على الإطلاق، ومن الندم الصحيح على ما قد مضى والعزم على عدم العودة أبداً، كما أن على التائب أن يقوم بما يملي عليه الله من الإصلاح والتدارك

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن عبد الله بن مسعود.

لما فات، والتبين لما يجب تبيينه، فمن ترك فريضة من فرائض الله كالصلاة والزكاة والصيام ونحوها، فإن عليه إذا أراد أن تتحقق توبته أن يقضيها كلها، ومن عمل عملاً فيه التغرير والتليس على العامة، فإن عليه أن يبين لهم خطأه في ذلك ورجوعه عنه، ومن ارتكب شيئاً من المحرمات كالزنا وشرب المسكرات فعليه أن يندم على ما قد فعل، وأن ينوي ويعزم على عدم العودة لمثل ذلك أبداً.

ومن ارتكب أمراً بينه وبين العباد كالسرقة والغصب والرياء ونحو ذلك فإن عليه أن يرد حقوق الناس كاملة غير منقوصة إن كان قادراً وكان صاحبها موجوداً، وإلا وجب الاستحلال منهم والمساخطة منه، وإن كان لا يعرفه أو لا يعرف موضعه فإن عليه أن يستغفر الله ويتصدق بمثل ذلك عن صاحبها، وإن كانت المعصية قتل نفس، فإن كان خطأ فعليه أن يوصل الدية إلى أهله مع أداء الكفارة، وإن كان عمداً فعليه أن يعترف أمام أولياء دمه، ويخبرهم بمقتضى الشرع بين الأمور المذكورة في كتب الفقه، وهي: قبول الدية أو العفو أو القصاص، وهكذا في سائر المعاصي.

فليست التوبة لقلقة لسان، وإنما هي حرقه في الجحان، وكما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لمن قال بحضرته: «أستغفر الله» قال له: (ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟! إن الاستغفار درجة العليين، وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى، الثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله وليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدي حقها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ منهما لحم جديد، السادس: أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله).

اللهم وفقنا لتوبة صادقة وخاتمة حسنة، وعملاً متقبلاً، اغفر ذنوبنا، وتجاوز

عن سيئاتنا، بحق محمد وآله صلواتك عليهم أجمعين.
 أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا
 عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران].



خطبة في فوائد نعمة الحفظ والنسيان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي ارتفعت عن مطارح الفكر جلالته، وجلت عن مطامح الهمم عزته، وتعالى عن مشابهة الأنام صفته، الحمد لله الذي أعجزت مدارك الأفهام حكمته، وفاقت مبالغ الأوهام عظمتة، الذي له آيات واضحة ودلالات ناطقة فيما رأت الأبصار وذكرت الألسن وبلغته العقول وعرفته القلوب، تدل على تفرد بالوحدانية، وعلى تفرد به علم وحكمة وقدرة غير متناهية. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، سيد الأنبياء والمرسلين، وخير الأولين والآخرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله فربنا يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد].

أيها الناس، إن الخاسر حقاً من أخرجته الله من رحمته التي وسعت كل شيء، ومن جنته التي عرضها السماوات والأرض بسوء عمله، فتزودوا لآخرتكم فإن خير الزاد التقوى، كونوا كمن عاين ما أعد الله له من ثواب أو عقاب لترغبوا في طاعة الله وتتجنبوا معاصيه، وأديموا ذكر الله لتطمئن به قلوبكم فالله يقول: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد]، ويقول جل شأنه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة]، فإذا جاء الليل فعليكم بتلاوة القرآن في صدره، وبالتضرع والاستغفار في آخره، وإذا ورد النهار فأحسنوا مصاحبته بفعل الخيرات وترك المنكرات، وتجنب ما يردكم من محقرات الذنوب فإنها مشرفة بكم على قبائح العيوب، واحذروا ندامة التفريط حيث لا تنفع الندامة إذا زلت الأقدام، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى اختص الإنسان من بين مخلوقاته بالتكريم فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومن هذا التكريم أن أودع الله فيه جوهرة ثمينة أضاءت جسمه الكثيف حتى جعلته يشع في هذا الكون المليء بالمخلوقات غيره، منحه عقلاً جباراً، وجعل في خزائنه أسراراً كامنة كمون النار في الزناد، تزيد وتنقص وتظهر وتختفي حسب احتياجه لاستعمالها في أمور معاشه ومعاده، وفي تدبير وسائل حياته، من جلب المنافع ودفع المضار وتسهيل سبل السعادة في الدنيا والآخرة، كما أنه تعالى منحه القدرة على النطق للنفاهم مع غيره، وللتعبير والإعراب عما في ضميره، وعلمه البيان وهداه إلى كوامن الأسرار ومستودعات الحكم، ومنحه كذلك بالقوة المدركة والقوة الحافظة، قوة عظيمة تحفظ للإنسان جميع المعاني المحسوسة بأي نوع من أنواع الحس، ثم تبديها وتظهرها له عند حاجته لها، هذه بمفردها نعمة عظيمة، بل من أكبر نعم الله على الإنسان وأنفعها في سير حياته العملية، ونعم الله لا تحصى فكيف لو نقصت هذه القوة من الإنسان؟ وكان لا يحفظ ما يمر على ذهنه من المعاني المحسوسة - لو فقدت الحافظة من الإنسان - لاختلت أحواله وأعماله، ولدخل التشويش والاضطراب على أمور معاشه وعلى أوضاعه الاجتماعية، بل وعلى معاملاته مع أهله وأولاده وصحبه ومجتمعه، إذا صار لا يدري بما جرى عليه من الأمور وما يجري، وإذا لم يتذكر ما أخذ وما أخذ منه، وما أعطى غيره وما أعطى، وإذا لم يسترجع ما سمع وما رأى ولا ما قال وما قيل له، وكان ينسى إحسان من أحسن إليه وإساءة من أساء إليه.

ولو فقد هذه النعمة العظيمة لما اهتدى إلى طريق كان قد سلكه، ولا أن يحفظ علماً تعلمه، ولا أن يتعلم درساً وإن قرأه طول عمره، وفوق هذا لا يكاد يستطيع أن يعتقد ديناً ولا يعرف مذهباً؛ لأن ذلك يحتاج إلى أن يحفظ ما يسمع ولا ينسى ما يقرأ، وهذه كلها لا ترسخ في ذهن عديم الحافظة، فالحافظة من أجل نعم الله.

فإذا فقدت هذه النعمة فقدت الإنسانية من صاحبها، فيبقى كأبي حيوان آخر لا يعرف سوى ما يراه بعينه، فإذا زالت صورته زال من ذهنه، فسبحان المنعم المتفضل، فليس لنعمه حصر ولا لآلائه عدٌّ ولا حساب.

ثم إن ضد هذه النعمة الجلييلة هو النسيان، والنسيان أيضاً من أكبر نعم الله على الإنسان، فقد جمع الله في الإنسان بين الحفظ والنسيان، خلتان متناقضتان ومتضادتان، جمعها الله في مخلوق واحد وجسم واحد على ما فيه صلاح ومنفعة الإنسان، فكما أن الواحد منا مضطر إلى الحفظ فهو كذلك مضطر في بعض حالاته إلى النسيان، فالنسيان من أهم ضروريات البشر اللازمة، بل هو أقوى سلاح لحماية الأذهان من التلف، وهو أضمن كفيل لبقاء الحافظة سليمة صحيحة، وهو أيضاً أقوى مساعد يدرأ عن الحافظة أخطار المتناقضات التي قد تؤدي أحياناً إلى انحلالها واختلالها؛ لأن هذه الحافظة التي تعمل دائماً لا بد لها أن تعتمد أحياناً على النسيان لتستريح من كثرة أعمالها وحركاتها.

فالحافظة الخالية عن هذا المساعد الذي هو النسيان، شبيهة بمكيئة تعمل دون أن يكون لها القدر الكافي من الدهن فإنها لا تلبث أن تنطفئ أو تحترق، وكذلك الذهن فإنه عند تلقيه للأفكار المزعجة أو الحوادث الرهيبة، والأفكار المنهكة والمشوشة أو الأنباء المحزنة، واستمرت على الذهن دون نسيان فإن الذهن حينئذ يصبح معرضاً لخطر التلف، ولكن الله جلت قدرته يزيل هذه الأفكار السقيمة والصور الذهنية المقلقة، ويخرجها عن المخيلة بواسطة النسيان، فلولا النسيان لما سلى أحد عن مصيئته، وكيف يسلو عنها وهو ما دام يتذكرها ويتصورها، ولولا النسيان لما انقضت لمصاب حسرة ما دام شبح المصيبة عالماً بذهنه، فلا هو ينساها ليسلى، ولا هو غافل عنها فيستريح من وخزها وألمها، طبعاً إن ذلك مما يكدر العيش ويضعف القوى ويفسد الحياة.

ولولا النسيان لما انتهى لحاقد حقد؛ لأنه إذا لم ينسه ولم يشغله شيء عن تذكره فإن نار الحقد تبقى مؤججة على الدوام، وكان أواره في قوة وتزايد حتى يحترق قلبه ويذوب روحه وخزاً وألماً، وأصبحت حياته جحيماً لا يطاق وشقاء لا سعادة معه، ولكن نعمة النسيان تमित ذلكم الحقد فلا يبقى له أثر يذكر.

ولولا النسيان لما استمتع أحد بشيء من متاع الدنيا ولذائذها مع تذكر الآفات والنوائب والبلايا التي تمر بالإنسان في حياته، إنها لو لم تنس وتذهب عن مخيلته لما كان لمتاع الدنيا ومغرياتها أي قيمة أصلاً، وكذا لو كان الإنسان مهتداً من سلطان بالعقاب، أو محكوماً عليه بقتل أو صلب أو حبس، وكان لم يؤمل غفلة السلطان أو نسيانه، ولا إعراض الواتر وعدم تذكره، لو كان الأمر كذلك لأصبح ميتاً من هلعه قبل موته، وهالكاً من جزعه قبل أوان هلاكه، ولكن الأمل بغفلة السلطان ونسيان الواتر قد يخفف من سورة الخوف، ومن غلواء الجزع، وحيث أن النسيان نعمة من أكبر النعم الإلهية، بها يطيب العيش وتستقيم الحياة، وتُنسى المصائب ويخف الجزع ويُؤمَّن من حسد الحاسد.

فسبحان من جعل في الإنسان هاتين الخلتين، وأنعم عليه بتلكم نعمتين، وأودع فيهما مع تباينهما وتضادهما -أودع فيهما- ضرباً من المصالح العظيمة التي لا يستطيع الإنسان أن يؤدي بعض شكرها.

فتتواصى عباد الله بتقوى الله وبالقيام بأداء شكره حق القيام، وبالمحافظة على ما فرض علينا من الطاعات، واجتناب ما نهانا عنه من السيئات لنفوز مع الفائزين، ونحظى بالسعادة في الدارين.

جعلنا الله وإياكم من الشاكرين الذاكرين المخبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، وأن يعيننا على أداء شكره وذكره وحسن عبادته إنه سميع مجيب، آمين اللهم آمين، ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم].



[في مكارم الأخلاق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الكريم الذي لا يبخل في عطائه، العدل الحكيم الذي لا يجور في قضائه، الحمد لله الغني الذي لا تجوز عليه الفاقة، والمكلف لعباده دون الطاقة، عدل حكيم لا يظلم ولا يجور، ولا يقضي بالفساد في أمر من الأمور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ركب العقول في قلوب المكلفين لإقامة حججه، وأرسل الرسل لإيضاح الدين ومنهجه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين. **عباد الله،** نتواصى بتقوى الله الذي لا تنفد منه نعمة، ولا تفقد له رحمة، الذي رغب في التقوى وزهد في الدنيا وحذر من المعاصي، الذي تعزز بالبقاء وذل خلقه بالموت والفناء، فالموت غاية المخلوقين وسبيل العالمين، ومعقود لنواصي الباقين.

فزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق، وانقادوا إلى الطاعات قبل عنف السياق، وقبل أن تبلغ الروح التراقي وقيل من راق، وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق. وخذوا بشرائع الدين فمن أخذ بها لحق وغنم، ومن وقف عنها ضل وندم، واعملوا ليوم تدخر له الدخائر وتبلى فيه السرائر، واتقوا ناراً حرها شديد وقعرها بعيد، وحلية أهلها فيها حديد، وشرابهم صديد.

واعملوا للجنة عملها، فإن الدنيا لم تخلق لكم دار مقام، بل خلقت لكم مجازاً لتزودوا فيها الأعمال إلى دار القرار، فأين العقول المستصبحة بمصاييح الهدى؟ وأين الأبصار اللامحة إلى منار التقوى؟ وأين القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله؟

ارحموا أنفسكم، وتعرضوا لرحمة الله قبل أن يحال بينكم وبينها، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن الإسلام يعتبر الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن جزءاً لا يتجزأ من الإيمان والعقيدة، فإننا نرى في بعض سور القرآن التأكيد الشديد على السلوك الخلقي إلى جانب التأكيد على الإيمان والعبادة، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝﴾ [الفجر، ١٦]، ثم يقول بعدها: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لَّمَّا ۝ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝﴾ [الفجر، ١٨].

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةً ۝ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۝ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَاطِئِينَ ۝﴾ [الشر، ١٤].

وهكذا فإن الإيمان يجري جنباً إلى جنب مع السلوك؛ لأنه قضية واحدة لها جانبان: فكري وعملي، فإذا وجدنا من يدعي الإيمان بينما نرى سلوكه غير حسن فسوف نشك في صدق إيمانه؛ إذ قد قال رسول الله ﷺ: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه))^(١)، ويقول ﷺ: ((والذي نفس محمد بيده لا يؤمن الرجل حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))^(٢).

ويقول ﷺ: ((لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من

(١) ذكره الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى ﷺ في تكملة الأحكام بلفظ: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى لأخيه المؤمن ما يرى لنفسه، ويكره له ما يكره لها).

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أنس بن مالك.

ذاته))^(١)، وكقوله: ((والذي نفس محمد بيده لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه))^(٢)، ونحو ذلك كثير. وكقوله ﷺ: ((من غشنا فليس منا))^(٣).

إن الإيمان: هو القول باللسان، والاعتقاد بالجنان، والعمل بالأركان، فالهدف من الإيمان هو العمل، ولذلك أصبحت علامة الإيمان في الإنسان هي مواقفه العملية وسلوكه الأخلاقي، يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضررك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك فضل عن عملك، وأن تتقي الله في حديث غيرك).

ومن هنا كان المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومعنى ذلك أن من أطلق لسانه على الآخرين بالسب وهتك الأعراض، أو بسط يده لقتل الآخرين أو النزو على حرمتهم أو على أموالهم فإنه يكون غريباً وبعيداً عن المسلمين، فالمسلم هو من يلتزم السلوك الطيب مع الأعمال الصالحة.

فإذا أردت أن تعرف صدق عبادة المرء من زيفها، فعليك أن تبحث عن صدقه في عمله. يقول رسول الله ﷺ: ((إن أقربكم مني غداً، وأوجبكم علي شفاعاً أصدقكم لساناً، وأداكم لأمانته، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس))^(٤)، وفي حديث آخر يقول ﷺ: ((أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، وألطفهم بأهله، وأنا ألطفكم بأهلي))^(٥) فالسلوك الطيب هدف من

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى.
(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية بسنده من حديث عن الحسن البصري. ومن حديث عن قريش التميمي عن عبد الله.

(٣) رواه الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي عليه السلام.

(٤) رواه الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي عليه السلام.

(٥) رواه السيد العلامة محمد بن يحيى المطهر في كتابه المختار، ورواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية من حديث أبي ذر بلفظ: ((أي المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: أحسنهم خلقاً)) وعن سعيد بن مسعود بلفظ: إن النبي ﷺ سئل: ((أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خلقاً)).

أهداف بعثة الأنبياء ﷺ؛ لأنها أثقل ما يوضع في ميزان العبد كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ، وأصبح حسن الخلق سبباً من أسباب إزابة المعصية كما ورد في الأثر: ((إن الخلق الحسن ليذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد^(١))، والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل^(٢))، فيصبح سوء الخلق بالعكس يكون مفسداً للعمل، ومن هنا يقول رسول الله ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق^(٣))).

ومن مكارم الأخلاق أن يعفو المرء عمن ظلمه، ويعطي من حرمه ومن قطعه، ويعود من لا يعود، هكذا يطالبنا الإسلام.

ويقول الإمام علي عليه السلام: (الإيمان والعمل أخوان توأمان ورفيقان لا يفترقان، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه)، فهاتان الخصلتان أصبحتا أهم ما في هذه الحياة ففي الأثر: «أسرع الخير ثواباً البر، وأكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق، وإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وإن أول أهل الجنة دخولاً هم أهل المعروف، وكل عملٍ خَيْرٍ ونفع للناس لا يُقصدُ من ورائه سوى رضا الله وتحقيق الإيمان الصادق هو المطلوب من كل فرد».

الإسلام يعترف بالإنسان الذي يتجسد فيه قيمته الخلقية، ومبادئ السلوكية كلمة كلمة وحرفاً حرفاً.

فالمقياس ليس هو معرفة الإسلام فقط، وإنما هو العمل مع المعرفة، وإذا كنا نريد إيجاد أجيال مؤمنة صادقة الإيمان، فلا بد أن نطبق في أنفسنا متطلبات الإيمان الصادق، ونحمل معنا كفاءة هذا العمل، يقول الإمام علي عليه السلام: (من

(١) الجليد: ما ينزل بالليل مما يشبه الثلج.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الحسين بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي في كتابه آداب العلماء والمتعلمين وروى الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الإمام علي عليه السلام ((بعثت بمكارم الأخلاق ومحاسنها)).

نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه).

فالمؤمن هو الذي يعرف بأعماله ومواقفه، المؤمن لا يحيف على من يبغض، ولا يتأثم فيمن يحب، ولا يضيع ما استودع، المؤمن في الصلاة متخشع وإلى الزكاة مسرع، في الزلازل وقور، وفي حالات الرخاء شكور، المؤمن لا يغلبه الشح عن معروف يريده، يخالط الناس ليعلم، ويناطقهم ليفهم.

المؤمنون أناس يلتزمون بروابط الإسلام في علاقاتهم مع الله ومع أنفسهم ومع الناس، ينبذون القيم الجاهلية ويستبدلونها بقيم الإسلام، ولا يسمحون لأنفسهم بالهبوط إلى مستوى عبادة الراحة والتعالي وعبادة المادة والأهواء.

نسأل الله أن يجعل خير أعمالنا وأواخرها، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاه إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل].



[اهتمام الإسلام بمكانة المرأة]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي دلنا على معرفته بما أولانا من عجائب
مصنوعاته، وألهمنا الانقياد لربوبيته بما ركب فينا من العقول التي جعلها من
أقوى حججه وآياته، وعلمنا ما يحق علينا في تعظيمه وتقديسه من أسمائه
وصفاته، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديان، المتفضل على
خليقته بكل نعمة وإحسان.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالكتاب المبين،
وأوجب طاعته على الخلق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.
أما بعد،

فيا عباد الله نتواصى بتقوى الله وطاعته، فاتقوا الله حق تقواه، وراقبوه
مراقبة مَنْ يعلم أنه يراه، فتزودوا في هذه الدنيا بما تحصنون به أنفسكم غداً من
العذاب الأليم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فاتقوا الله
الذي أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.
أيها المؤمنون، نتحدث هذا اليوم عن عظمة الإسلام، نتحدث عن عظمة هذا
الدين الحنيف القيم، هذا الدين الذي أنقذنا الله به من كل هلكة، وأخرج به عباده
من الظلمات إلى النور ولكنه وكما يقال: «إنما يعرف الشيء بضده»، فقد لا تعرف
عظمة هذا الدين العظيم إلا بمعرفة ما كان الناس عليه في الجاهلية، وقد لا يعرف
الحق إلا عند حصول الباطل، وقد لا تُعرف نعمة العافية إلا عند حدوث الأسقام.
ولذلك فسنبداً بذكر قضية واحدة من مظاهر الحياة الجاهلية السيئة عند
العرب قبل انتشار الإسلام وظهوره؛ لأننا ستتعرف من خلالها على عدل
الإسلام وكماله وفضله، فلنذكر ما كانت عليه المرأة عند العرب وغيرهم من

الاحتقار والامتهان في العصور المظلمة، لندرك ما آلت إليه في ظل الإسلام العادل من الاحترام والعزة، وندرك ما فرض لها الإسلام من الحقوق الإنسانية. وقف الإسلام بجانب المرأة في أقسى مراحل حياتها، فأعاد إليها حقوقها السلبية منها فهي كانت تعيش أوضاعاً قاسية، ليس لها قيمة ولا كرامة في معظم شعوب العالم، كانت تباع وتشتري، وكانوا يلصقون إليها كل رذيلة.

أما حالتها في الحياة الجاهلية عند الغالبية من العرب فكانوا يعتبرونها عامل يؤس ووافد شقاء ووصمة عار، فكان مشكلة وجود البنت عندهم هي أم المشاكل، وولادتها نكبة كبرى وحادثاً أليماً في حياة أبيها، يسود وجهه لسوء ما بشر به، ويأتيه الناس للتسلية والتعزية، وليخففوا عنه قسوة الحادث وهول المصاب، ولذلك أقدمت جل القبائل العربية على جريمة من أبشع الجرائم وهي وأد البنات ودفنهن أحياء، وقد تحدث القرآن الكريم بالاستياء والتذمر عن هاتين الظاهرتين القاسيتين، مندداً ومنكراً تلكم العادات البشعة، محرماً الوأد ومشنعاً عليه، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٠ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ١١﴾ [النحل]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ١٢ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ١٣﴾ [التكوير].

فما أفحش هذا الجهل! وما أفظع هذا الظلم! وكان لهم في قتلها صور مختلفة، فمنهم من كان يتركها حتى تبلغ السادسة من عمرها، وعندها يقول لأُمها: طيبيها وزينيها، يأخذها وهي كذلك إلى الصحراء ويحفر لها حفرة فإذا أتمها قال لها: انظري إليها، فإذا نظرت ألقاها فيها وأهال عليها التراب حتى يدفنها وتموت.

ومنهم من كان يتركها حتى يتم رضاعها، وعند ذلك يدسها في التراب دونها رحمة تشملها أو عاطفة أبوة تسعها، ومنهم من كان يذبحها ساعة ولادتها، ومنهم من كان يصعد بها إلى جبل شاهق ثم يلقيها منه فتموت، ومنهم من

يلقيها في الماء فتموت غرقاً، ومن النساء من كانت إذا أتاها الطلق عمدت إلى جنب حفيرة قد أعدتها، فإن كانت أنثى ألقتها في الحفيرة وطمتها، وإن كان ذكراً حملته إلى أبيه قريرة العين وكأنها هي التي خلقتة ذكراً كما يشاء أبوه.

عادات قبيحة وجرائم بشعة، وكان عند بعضهم عادات أفظع وأقبح يندى لها جبين التاريخ، وهي أن من سلمت من الوأد فإن آباءهن كانوا يتاجرون بعفاف كرائمهن وبناتهن، وسيلة لجمع المال من طريق البغاء، وقد تعرض القرآن الكريم لذكر هذه الجريمة الشنعاء ونهى عنها، حيث يقول: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣].

أيها المؤمنون، إن من الحق أن نقف خاشعين أمام عظمة الإسلام، وأن نقيم وجوهنا لهذا الدين الحنيف القيم الذي فطرنا الله عليه، وأن نُقِيِّمَ هذه النعمة الكبرى ونؤدي شكرها فهي أعظم النعم، فهذا الدين الإسلامي هو الذي أنقذ الإنسان من كل شر، وارتفع به عن كل هوان وساقه إلى كل فضيلة، وتصدى لكل مشكلة من مشاكله بأعدل الحلول.

فلما جاء الإسلام وحالة المرأة هكذا وأد وحرق واستعباد، ينالها الأذى والإهانة والاحتقار والتعذيب - انتصر لها وانتشلها من هوانها، وصيرها الدعامة الثانية للإنسانية كما أراد الله أن تكون، ومنحها أعلى القيم وأسمى الكرامات، وحقق لها من العزة والكرامة والحرية ما لم تحصل عليه في غير دين الإسلام ودولة الإسلام، فهي في ظل الإسلام الوارف مثال للنبيل والكرامة، ولكن إذا انصهرت لتعاليم الإسلام، وجسدت في سلوكها نصائح هذا الدين وآدابه وأخلاقه، والإسلام قد أفهم الناس أن المرأة كالرجل نواة للبشرية، وأن لها روحاً إنسانية كروحه، قال الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

كما ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في أمور وفرق بينهما في أمور أخرى، حسبما تقتضيه حكمة الله وعدله ومصلحة الإنسان، فسوى بينهما أولاً في الإنسانية والحرية، ثم في جواز وصحة التملك والكسب والمعاملات، وفي الحقوق والواجبات وفي الآداب والأحكام، ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، كما قرر الإسلام أن الفضائل والصفات الخيرة العالية مطلوبة من المرأة كما هي مطلوبة من الرجل على حد سواء، وأن لكل منهما الجزء الأوفى يوم تجزى كل نفس ما عملت، فهما متساويان في العلاقة بالله وفي الجزاء على الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ثم انظروا أيها المؤمنون كيف قرن الله بين الرجل والمرأة في عشر صفات هي صفات المؤمن الحق، التي يجب أن يستهدفها كل فرد في حياته ويجسدها في سلوكه، يقول الله العظيم في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

هكذا يقرر الإسلام أهلية المرأة للتدين والعبادة، وقابليتها للفوز بالنعيم ودخول الجنة إن هي آمنت وأحسنت وعملت الأعمال الصالحة كالرجل تماماً قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

وبينما كانت المرأة في نظر الجاهلية وسائر الأديان غير الإسلام تُملك وتباع وتشترى، فقد قرر الإسلام لها حق الكسب والملكية مثل الرجال، فقال الله تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

وأما الأمور التي فرق الإسلام بين الرجل والمرأة فيها، فمنها أن جعل الله

الرجال قوامين على النساء، ومنها أن للرجال عليهن درجة، ومنها نقص الإرث ونصاب الشهادة ونحو ذلك، ولكنه لم يكن قائماً على انتقاص المرأة وخفض قدرها، وإنما ذلك قائم على ما تدعو إليه حكمة الله وعدله فشرائع الله مصالح، وهو تعالى أعرف بمصالح العباد من أنفسهم، كما أن الإسلام قد خفف المرأة دون الرجل من بعض الأعمال كالجهاد والقضاء ونحو ذلك، وذلك للاختلاف بينهما من الناحية التكوينية والنفسية، فخفف عنها الأعمال التي لا تتناسب وطباعها وسلوكياتها، بينما كلفها الله بأمور بسيطة، فإذا قامت بها حق القيام أعطيت أجر ما فات عليها من العبادات التي خففها الشرع عنها، مع أن في تكليفها بذلك سعادتها. يروى أن أسماء بنت يزيد دخلت على النبي ﷺ وهو جالس بين أصحابه وقالت: أنا موفدة إليك يا رسول الله من قبل النساء. فقال ﷺ: ((وماذا تريد النساء؟)) قالت: إن الله بعثك إلى الرجال والنساء فآمننا بك واتبعناك، ونحن معشر النساء محصورات مفصولات، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعيادة المرضى وشهادة الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟

فالتفت الرسول ﷺ إلى أصحابه قائلاً: ((هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينه من هذه؟)) قالوا: لا يا رسول الله، فقال ﷺ: ((انصرفي يا أسماء، واعلمي أن معاشره إحدان لزوجها وطلبها لمرضاها، واتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت))^(١)، فانصرفت وملء قلبها طمأنينة الرضا، وعلى ثغرها ابتسامة البشرى.

(١) ذكرها الشرفي في السيرة النبوية باختلاف يسير في اللفظ.

فهذه أيها المؤمنون هي المرأة في ظل الإسلام، موضوع يشغل جانباً كبيراً في التشريع، إنسان له حقوق وعليه واجبات، مثال العزة والنبل والكرامة، وهكذا صاغ الإسلام المرأة المسلمة المؤمنة، زوجة تفيض عفة وإخلاصاً للزوج، وأماً تغرس المثل العليا في نفوس الأولاد، وأخيراً صانعة مجتمع كريم وأمة فاضلة. فلتسعد المرأة المسلمة المؤمنة بهذا التشريع الحكيم، ولتعش في ظله إنسانة طاهرة نبيلة، ولتفتخر على جميع نساء العالم، بحضارة الإسلام التي سبقت جميع الحضارات إلى تقرير حقوقها وتأكيد كرامتها، ولتسخر من كل حضارة جديدة بما فيها من فتنة وزخرفة.

وأخيراً نسأل الله أن يوزعنا شكر نعمائه، وأن يحيينا ويتوفانا على ملة الإسلام آمين اللهم آمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ ١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١٢﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَانِنِينَ ١٣﴾ [التحریم].



[في السؤال عن النعيم يوم الحساب]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل الموت راحة للصالحين الأبرار لينقلهم به من دار الأحزان والهموم والأكدار، ويستقبلهم في دار الرحمة والسعادة والاستبشار، وليريحهم بالموت من البأساء والضراء والآلام والأخطار، يأخذهم تعالى من دار البوار ليتمتعوا لديه بالنعيم العظيمة في دار البهجة والقرار في دار الخلد والسعادة بجوار العزيز الغفار، في دار دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحييتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، ونحمد الله حمداً كثيراً على ما أعطانا من سوايغ نعمه وعواطف كرمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي تفرد بالبقاء والاقتراء، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله النبي المختار صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار الصادقين الأخيار الطيبين الأطهار.

أما بعد،

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، والاستعداد لحكمه الماضي على كافة خلقه الشقي منهم والسعيد، واتعظوا عباد الله بمواعظه في كتابه فقد قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق]، فتواصى بالتدبر للقرآن المجيد فقد أبان الله لنا فيه كل أمر رشيد، وتواصى بتسليم أمورنا لله فهو الفعال لما يريد، وعلينا جميعاً أن نحذر سخط الله وانتقامه وسطوته يوم الوعيد، فاعملوا بما أمركم الله به من الطاعات واجتنبوا ما قد نهاكم عنه من السيئات فهذا شأن العبيد.

وتذكروا من قد مضى من الأمم الخالية فكم قصم الله فيها من كل جبار عنيد وذلك لما تهاونوا بأوامره وكذبوا رسله فحق منه الوعيد، وتذكروا أين صار من بنى وشيد وطول، وأين من ساد الناس وتأمر عليهم في الزمن الأول، وظن جهالة بل جرأة منه أنه لا يتحول، فعاد عليه الزمان سالباً ما خول، وسقامهم لما كفروا كأساً على هلاكهم عول، ﴿أَفَعَيِّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق].

فيا من أُنذره بالعبر يومه وأمسّه، وحادثته بالتغيرات قمره وشمسه، واستلب منه ولده وآبائه وعمره، وهو يسعى في ارتكاب الخطايا مشمراً جاهلاً أو متجاهلاً أنه قد دنا حبسه، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق].

أما علمت أيها الغافل أنك مسؤول أمام الملك الديان، وأنه مشهود عليك بما قدمت حين تنطق عنك الأركان، وأنه محفوظ عليك ما علمته ولم تعد في زمن الإمكان؛ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق].

فليبادر العاصي بالتوبة الصادقة فهي محتمة عليه، وليعمل الصالحات ويحْتَبِ ما نهي عنه فإن الله رقيب ومطلع عليه، وليؤد شكر الله على ما أنعم به عليه وليتكر المنكر ويقم بما يكتب له لا عليه، وليعلم أنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، فكأنك بالموت وقد اختطفك اختطاف البرق ولم تقدر على دفعه بملك الغرب والشرق، وتب إلى الله وأد ما عليك من المظالم فقد اتسع الخرق ولا تأسف على مفارقة الحطام الزائل ففوات الجنة بالأسف أحق ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق].

وتذكر النزوح والابتعاد عن مشيدات القصور حين تحمل على أعواد المنايا وتساق إلى القبور، وتبقى هنالك وحيداً كالأسير المحصور حتى إذا بعثر ما في القبور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق].

وحينئذ أعاد الأجسام من أنشأها أولاً وصنعها ولف أشتاتها بقدرته وجمعها، ونادها بارئها فأسمعها، ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق].

وتنسى أخاك ويعرض عنك صاحبك ويحجد آلاءك، وتنسى أبويك وأولادك ونساءك ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق].

وتذكر حين تجري دموع الأسف وابلاً ورذاذاً وتسقط الأكباد من الحسرات أفلاذاً واندلع لهب النار على المجرمين فجعلهم جذاذاً، ولا يجد العاصي من النار

ملجأً ولا معاذاً، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق].

يومها لا يجد المجرم محالاً للإنكار فيقول: هذا حقاً أهنته، وهذا غدرت به وختته، وهذا ظلمته، وهذا أكلت أمواله باطلاً، وهذا عن حقه زحزحته، وهذا خشيت ضره أو منافسته لي فقتلته، وهذه الفاحشة عملتها، وهذا المنكر ارتكبته، ويحاول التخلص فيقول: إن لي قريناً أضلني لأني صدقته، ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [ق].

أَوْ مَا تَحْجَلُوا حِينَ يَنَادِي مَنَادُ الْحَقِّ: أَمَا تَفَضَّلْتُ عَلَيْكُمْ بِكُلِّ نِعْمَةٍ وَلِي الْمَنَّةُ؟! أَمَا أَكْمَلْتُ الْحُجَّةَ وَأَوْضَحْتُ الْمَحْجَةَ لِكُلِّ مَنْ كَلَفْتَهُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّةِ؟! أَمَا مَنَحْتُمْ الْعُقُولَ وَالْقُوَى الْكَامِلَةَ وَهَدَيْتُمْ النُّجْدِينَ وَأَطْلَقْتُمْ لَكُمْ الْأَعْنَةَ؟! فَلَمْ أَجْبِرْكُمْ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ عَلَى عَصْيَانٍ، بَلْ عَرَفْتُمْ السَّبِيلِينَ وَأَمَرْتُمْ بِالْإِعْتِمَادِ عَلَى مُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَالصَّحِيحِ مِنَ السَّنَةِ.

أَمَا قَدْ زَجَرْتُمْ عَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ؟ وَأَخْبَرْتُمْ أَنَّهُ عَدُوُّكُمْ فَقَدْ أَخْرَجَ أَبْوِيَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَدْ تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ بِإِغْوَائِكُمْ فِإِذَا ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ [ق].

أَمَا أَنبَأْتُ لَكُمْ الْحَالَ وَأَبَحْتُهُ لَكُمْ وَنَهَيْتُمْ عَنْ الْحَرَامِ؟ أَمَا أَنْزَلْتُ إِلَيْكُمْ الْكُتُبَ الْمُقَدَّسَةَ وَأَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ الرُّسُلَ الْكَرَامَ؟ أَمَا خَلَقْتُ لَكُمْ وَمِنْ أَجْلِكُمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرْتُ لَكُمْ الْبَحَارَ وَذَلَّلْتُ لَكُمْ الْأَنْعَامَ؟ أَمَا أَنْبَأْتُكُمْ بِمَا عَلَيْكُمْ مِنَ التَّكَالِيفِ وَأَقْدَرْتُكُمْ عَلَيْهَا وَتَحَبَّبْتُ إِلَيْكُمْ بِكُلِّ إِنْعَامٍ؟ أَمَا أَنْبَأْتُكُمْ بِهَذَا الْيَوْمِ وَشِدَائِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ؟ ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق].

ثُمَّ اذْكُرُوا النِّهَايَةَ الْمُحْتَوَمَةَ لِمَنْ عِنْدَ وَكَابِرٍ، يَوْمَ تَقُومُ الزَّبَانِيَةُ إِلَى الْمَجْرِمِينَ الْعِصَاةِ وَتَتَبَادَرُ، يَسُوقُونَهُمْ إِلَى الْهَابِيَةِ وَدَمُوعُهُمْ عَلَى أَوْجَانِهِمْ تَتَحَادَرُ وَتَثْبُ النَّارُ إِلَيْهِمْ كَوُثُوبُ الْأَسَدِ إِذَا تَأَخَّرَ، فَيَذَلُ مِنْ زَفِيرِهَا كُلِّ مَنْ عَزَّ وَفَاخَرَ، ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ [ق].

أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمَهُولِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ عَظِيمٌ يَحَارُ فِيهِ كُلُّ غَافِلٍ

وجھول، ویدھل لشدته وکرباته أولو الألباب والعقول، وأجارنا وإياكم من ذلك وما بعده، ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق].

ونسأله الفوز بالرضا والرضوان، يوم يخسر العاصي صفقته، حينما لا تجد نفسه ما كان في الدنيا يمنيها، يوم يندم الظالمون ندامة لا يمكن تلافيتها، ويربح المؤمنون وينالون السعادة بكل معانيها، لا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة ببشارة تكامل صافيتها، ويدخلونهم الجنة فإن لهم فيها ما يشاءون ولديه مزيد.

فاهتموا بما تسعدون به وتنجون به من شدائد الكرب، وانظروا كيف تفتنى لذات المعاصي بينما يبقى العار والذنب، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق].

أكرمنا الله وإياكم بلباس التقوى، ووفقنا وإياكم لطريق الهدى، ورزقنا وإياكم نفوساً قانعة بعطائه، راضية بقضائه، صابرة على بلائه، موقنة ببلقائه، وشاكرة لنعمائه، محبة لأوليائه، ومبغضة لأعدائه، ونسأله أن يجعلنا وإياكم ووالدينا من أسعد الناس ببلقائه، وحشرنا جميعاً في زمرة خاتم أنبيائه وسيد المرسلين محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ ٣٨ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ ٣٩ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف].

وحشرنا وإياكم في زمرة سيد رسله وخاتم أنبيائه صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأوليائه وأصفيائه إنه سميع مجيب، آمين اللهم آمين.



[دور المال والعمل والكسب المشروع]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الكبير المتعال، ذي العظمة والجلال والمن والإفضال، الحمد لله سريع الحساب شديد المحال، الذي أنعم علينا بأبلغ النعم والفضائل، وأكد حجته علينا بالكتاب النازل والرسول الفاضل والعقل الكامل، ودلنا على معرفته وعبادته بالبراهين والدلائل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبد عامل، وعن أمر الله غير مائل ولا عادل.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي العلم والفضائل.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وملازمة الطاعات، واعلموا أن أول ما فرض الله على عباده هو الإيمان، فالإيمان هو الركن الأول للإسلام، وآيات القرآن الكثيرة تدلنا على أن أساس الإيمان في الإسلام هو الاطمئنان إلى الله، والاعتراف بكل ما تحمله كلمة الإيمان من المعاني التي تتسع لكل جوانب قدرة الله وعظمته، وما جاءت به رسله من كتب وتشريعات، والإسلام هو مظهر ذلك الإيمان، وهو أعظم من أن يكون نطقاً بالألسنة دون أن يُقدَّم عليه الإنسان دليلاً من أعماله؛ لأنه إذعان لله ويقين تنشرح به الصدور، ونور تنفسح له النفوس، ثم لا تلبث الجوارح أن تنطلق به إلى الخير الذي رسمه الله لها، وجاء في بعض المرويات: «وليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل».

ولقد قرن الله في عشرات الآيات من كتابه الدعوة إليه بالدعوة إلى العمل، واعتبره بمنزلة الثمرة التي يكون الإيمان بدونها ضرباً من اللغو الذي لا يقيم الله له وزناً، ولقد كَذَّبَ الذين يدعون الإيمان ويطمعون في رحمة الله ويتناولون على منازل الجنة قبل أن يبادروا إلى أداء ما فرض الله عليهم ويبتعدوا عما نهاهم عنه وحذرهم من فعله.

وبما أن الإنسان مركب من مادة وروح، وكل منهما يتطلب الغذاء المناسب؛ فإن الإسلام يعتبر الكسب للأموال بالطريقة المشروعة لازماً، فالمال بنظر الإسلام عَصْبُ الحياة، ودور المال في جميع الأعمال الجسيمة والدعوات الإصلاحية البناءة لا يمكن تجاهله، وإن الإسلام ليعتبر الأغنياء الذين عرفوا مهمة المال وعرفوا أنها وسيلة لا غاية، وحصلوا عليها بجهدهم وعرقهم عن طريق المكاسب الشريفة المشروعة، وأدوا به حقوق الله وحقوق أنفسهم وحقوق إخوانهم، إن الإسلام يعتبر هؤلاء أوتاد الأرض ومصدر حركتها وحياتها ونشاطها، فالإسلام جاء كافياً ووافياً بكل ما تحتاجه البشرية في جميع مراحلها وتطوراتها، والإسلام وحده هو الذي يساير الحياة والحضارات الصحيحة القائمة على العلم والمعرفة، وعلى اكتشاف المخبات التي أوجدها الله لخير الإنسان في كل زمان ومكان، والتي فرض استعمالها فيها ينفع الناس، وليس الحضارات القائمة على عبادة الشيطان والاستهتار بالأديان والقيم، واستغلال طاقات الشعوب وخيراتها لصنع آلات الخراب والدمار كما تفعله الدول المستكبرة وعملاؤها وأذناها في العالم.

فقد جمع الإسلام بين الاتجاهين من غير تفريط ولا إفراط ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [النقص: ٧٧]، وفي الأثر: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

كما اعتبر الإسلام المنجزات الحضارية ثمرة لجهد الإنسان وتعميره للأرض، ووصفها بأنها زينة الحياة وزينة الله، وحث على الاستمتاع بها حيث يقول: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وفي الوقت ذاته حرم ما ينجم أحياناً عن تلحم الزينة من سلبيات فيقول: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذا التوسط بين الاستمتاع بطيبات الرزق والامتناع عن سلبياتها لم يكن ليأتي عفواً وبدون جهد وتمرين، بل لا بد فيه من التدريب والتربية والتعليم؛ ليصل الإنسان إلى هذه الموازنة الدقيقة بين حاجات الجسم وحاجات الروح، ليجعل من الإسلام الحل الأكمل والأفضل الذي لا بديل له.

فالإسلام يعتبر العمل الذي تفرضه الحياة - اعتبره - جانباً من جوانب الشريعة الإسلامية، ومن العبادات، كما ألحق العاملين لسد حاجياتهم وضروريات حياتهم بما يغنيهم عن الحرام وعن تكفّف أوجه الناس - ألحقهم - بالمجاهدين، يؤكد ذلك العديد من المرويات،

وقد بلغه أن جماعة من أصحابه قد انصرفوا إلى الصلاة والصيام وأعرضوا عن الملذات والزواج فقام من مجلسه إلى المسجد ووقف خطيباً في أصحابهم يذكرهم بما لأبدانهم وعيالهم ومجتمعهم عليهم من الحقوق والواجبات ومضى يقول: ((أما إني أخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكن أصوم وأفطر، وأقوم وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب ستي فليس مني))^(١). إلى كثير من المرويات في هذا الموضوع التي تؤكد أن العمل في الإسلام من خير ما يقدمه الإنسان، وبالأخص ما يعود على الفرد والجماعة بالخير، وما يساعد على ازدهار الحياة وانتظامها، وقد ركز الإسلام على العمل التجاري، ولكن ونظراً إلى أهمية التجارة وإقبال الناس عليها، كانت امتحاناً لإيمان الناس؛ ولذلك تحدث القرآن عن ضعاف الإيمان فقال: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

ولأن التجارة عصب الحياة والسبيل الأفضل للعيش والرفاهية؛ لأن الإنسان يستطيع بالتجارة أن يساهم في كل عمل خير ويعطي السائل ويصل الرحم، فقد يفتتن بعض الناس بما يجنيه من مكاسبها، كما بين الله ذلك حين يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ

(١) رواه الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في تكملة الأحكام.

الْإِنْسَانَ لَيْطَعَى ﴿٦﴾ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ [العلق]، لذلك فقد حرص الإسلام والقرآن أن يضع الإنسان في هذا الجو المحفوف بالمخاطر فقال: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة].

نعم، أيها المؤمنون إن الله تعالى يريد منا أن نتعامل بالحق وعلى أساس الرضا المتبادل، ولذلك نهى الله عن التعامل بالباطل حيث قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].

وقد اعتبر الإسلام الربا من أظهر مصاديق التعامل بالباطل، ونبه في عدة آيات على مفاسد الربا، ندد فيها بالربا والمرابين، وهدد وتوعد الذين يتعاطون هذا النوع من التجارة، ولعل ذلك أن المرابين يستغلون الظروف القاسية التي تحيط بالمحتاجين لتساعدهم على فرض أطماعهم، ولكن الذين يُسَخَّرُونَ أموالهم لهذا النوع من الكسب الحرام يتعرضون غالباً للانتقاص وللأحقاد، وقد جاء عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إنما حرم الله الربا لثلاث ينقطع سبيل المعروف» لأن الله تعالى يريد أن ينتشر المعروف بين عباده، ومن نشر المعروف أن يقرض المسلم أخاه لله وفي سبيل الله؛ لأن عملاً من هذا النوع يؤكد روابط الأخوة والألفة بين الناس كما يريد الله.

ومعلوم أن الله تعالى قد حرم الربا في جميع الشرائع، كما تشير إليه الآية التي تحدثت عن الإسراف في تعاطي الربا من قبل اليهود، وهي قول الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ٣١] وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وقال تعالى فيما يعود إلى تعاطي الربا: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى

اللَّهُ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة].

ومن الباطل في التجارة والأموال رشوة المالكين لمساعدتهم على استغلال الآخرين، كما تشير إليه الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٣﴾﴾ [البقرة].

وقد تحدث القرآن الكريم عن مظاهر الفساد في مجال التجارة، فخص المطففين بسورة تحمل اسمهم، وتوعدهم بقوله: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾﴾ وكان الغش في التجارة سبباً لهلاك أهل «مَدِين»، الذين بعث إليهم شعبياً عليه السلام مرشداً وهادياً، فكان فيما حاسبهم عليه سوء استعاملهم للتجارة حين يقول: ﴿أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥]، فلما تمردوا وأبوا إلا المخالفة لأمر الله وأمر نبيه أخذتهم الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين، فلقد أمر الله بالتجارة واعتبرها من مقومات الحياة؛ لأنها تستدعي التحرك الدائم بالإيراد والتصدير مما يسبب ازدهار الحياة وتوفير الحاجات للمستهلكين، ولكن الله تعالى رحمة بالإنسان وإقامة للعدل أحاطها بكثير من القيود والشروط؛ لئلا تجر المتعاملين إلى الربا وأكل أموال الناس بالباطل بالتعدي والاستغلال والاحتكار والمغالاة وما إلى ذلك.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يرضيه، وأن يجنبنا معاصيه، وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم، وأن يقود بنواصينا إلى ما فيه صلاح أمتنا وخيرها، آمين اللهم آمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا

بَقِيَ مِنَ الرَّبِّ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَإِنْ تُبْتَئُوا فَلََكُمْ رُعُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ [البقرة].



خطبة فيها تفسير كلمات الزهراء صلوات الله عليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي علا على الأشياء بطوله، وتقدس عن مشابهة المخلوقين بحوله، والبريء من أفعال العباد، المنتزه عن الصاحبة والأولاد، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله، واعلموا أن الله تعالى جعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، وجعل الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، وجعل الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، وفرض الحج تقوية للدين.

هذه المواضيع الأربعة التقطناها من كلمة ألقتها فاطمة بنت محمد بعد موت أبيها صلى الله عليه وآله، وبعد أن فوجئت بطرد عاملها عن الأرض التي نحلها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلنقف عند كل كلمة منها وقفة تأمل وتدبر.

فالموضوع الأول قولها: «إن الله جعل الإيمان تطهيراً لكم من الشرك» حقاً حقاً إن التصديق بأحكام الله وتطبيقها، بل إن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر إن هذا هو الإيمان الذي يصفه الإمام علي عليه السلام حين يقول: (الإيمان قول مقول وعمل معمول وعرفان بالعقول) إن هذا الإيمان الذي أوجب الله تعالى الالتزام به كعقيدة رصينة لكل مسلم - إن هذا الإيمان يمثل المناعة العظيمة التي يمتلكها كل مسلم لدرء وباء الشرك الذي يزلزل العقيدة ويهدد كيانه بالانهيار، فيصاب العقل والفكر والروح بعاهة يفقدها التوازن؛ لأن الإيمان الصحيح لا يمكن أن يجتمع مع الشرك في كيان إنسان واحد أبداً.

أما الإيمان الزائف الذي يكون باللسان فقط، فإنه لا يظهر المتحلي به من شوائب الشرك، ألا تسمعون كيف يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ

إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٦﴾ [يوسف]. فمن قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بلسانه فقط، ولم يتقيد بأحكام الإسلام والإيمان فإنما شمله اسم الإيمان، فهو لا يمنع من المساجد ويقبر في مقابر المسلمين ويجري في ميراثه مجراهم؛ إلا أن له أعمالاً دون ذلك يستوجب بها الشرك مثل الجبر والتشبيه وإنكار البعث وتكذيب الرسل وإباحة المحارم، ومن كان كذلك فقد تناوله مضمون هذه الآية، وحينئذ فإن على كل مكلف الالتزام بمنهج الله وأخذ دينه من حيث أمر بعيداً عن المتاهات والزيف. هذا هو الموضوع الأول.

والموضوع الثاني: هو أن الصلاة تنزيهاً للمكلفين عن الكبر، فحقاً حقاً إن الصلاة رفع للإنسان من التكبر إلى مستوى التواضع، ولأنها صلة روحية بين الله وبين عبيده، تتخذ لونهاً خاصاً من القراءة والتسبيح والتهليل، وتتخذ طابعاً من السلوك الحسن، فإن الإنسان يقف أمام الله يعلن اعترافه بربوبية الله وبحاكميته المطلقة، ثم يدي مطالبه متمثلة بطلب العون من الله حين يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة]، فهو بهذا يعترف بأن الحاكمية المطلقة في خلق الله هي لله وحده، فالله هو الذي يعلم ما يصلح الإنسان وما يفسده، وما يرفعه وما يضعه.

وبعد هذا الاعتراف بالله سبحانه وبصفاته المقدسة يقف المرء أمام ربه وبهذا اليقين المطلق - يقف ليسأل الله الهداية حين يقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]، وهذه العملية تتكرر خمس مرات في كل يوم وليلة؛ لتكون مصدراً لتربية النفس والوجدان على الخضوع لله سبحانه الخضوع المستمر، ولتطبيع حياة الإنسان كلها بطابع هذا الخضوع، ومن هنا فإن تكرار هذه العبادة يشكل مناخاً صالحاً يصقل نفسية المسلم ومشاعره، صقلاً ينسجم مع أوامر الله ونواهيه، لينطلق المسلم بعدها وهو أكثر قدرة على تطبيق منهج السماء وحمله والتبشير به.

وقد رسم القرآن الكريم هذه الحقيقة حين أعلن أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهنا تتجلى الحقيقة التي تجعل من الصلاة مفتاحاً لإبراز لون

خاص من السلوك، لئلا يبعد عن المتاهات والانحرافات، ويبعد عن الطيش والضياع، كما تجعل من الصلاة مفتاحاً لخلق مناعة طبيعية لمواجهة جراثيم الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وبعد اتضح قيمة الصلاة الكبرى في خلق الشخصية الإسلامية الفذة الملتزمة تتضح لنا حقيقة أخرى، وهي أن الصلاة عملية تهذيب للإنسان وتنزيه له عن الكبر والخيلاء؛ لأن المرء المسلم حين يقف بين يدي ربه في هذه العبادة العظيمة، يشعر في قرارة نفسه أنه وكل موجود في هذا الكون البديع يقفون على صعيد العبودية المطلقة لله وحده، وحينئذ يحس بالتححرر المطلق من كل عبودية لغير الله.

فالإنسان وسائر أبناء جنسه يعيشون في إطار يحمل منتهى العبودية لله الكبير المتعال، وعلى صعيد واحد من الكرامة والسودد، فلا بد إذاً أن تُلغى كل معالم الخيلاء والتكبر من المجتمع الذي يعيش في إطار الرسالة الإسلامية الخالدة الكريمة، فالصلاة تنزه الفرد والمجتمع من أدواء الخيلاء والغرور والتكبر، انطلاقاً مما تبثه الصلاة من أنوار ومن إشعاعات روحية واجتماعية في نفسية كل مسلم.

وحقاً إن الزكاة تزكية للنفس ونماء في الرزق، فمن الحكمة البالغة أن الإسلام حين يفرض فريضة الزكاة للفقراء في أموال الأغنياء، لم يجعلها مجرد ضريبة مالية تؤدي من الغني إلى الفقير فقط، بل أضفى عليها طابعاً روحياً حين أعلن بأن الزكاة عبادة من العبادات العظيمة مثل الحج والصلاة والصيام وغيرها من العبادات، وأن الإنسان مسؤول عن دفعها، مسؤول أمام الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ومن هنا ينطلق الإسلام ليعطي هذه الفريضة صفة قانونية صارمة، يعاقب عليها القانون الإسلامي في الدنيا والآخرة عقاباً صارماً.

إن الإسلام حينما يلزم أبناءه بأداء فريضة الزكاة، إنما يستهدف توجيه غريزة حب التملك التي هي في كل إنسان، توجيهها بحيث يثمره الفرد والمجتمع، بحيث تكون الثروات ملكاً لجميع أبناء الأمة؛ لئلا يستبد بها فئة من الناس على حساب

الآخرين، وتعطينا هذه الصورة الوضاعة من منهج الله العظيم درساً يجعلنا نؤكد أن الفرد والمجتمع في المنهج الإسلامي لا حدود بينهما بل تتشابك مصالحهما، فيعمل الفرد من أجل المجتمع، ويعمل المجتمع من أجل الفرد وفقاً لنظام رصين، ولا تتحقق هذه الفضيلة إلا بتزكية النفوس من عنفوان الأنانية والأثرة التي فرضت الزكاة لتحقيقها، وهنالك فائدة أخرى من أداء هذه الفريضة، وهي تتمثل في أن النفوس البشرية سيختفي ما تنطوي عليه من أحقاد وبغضاء، سيما نفوس المحرومين، فهم حين يرون أصحاب الثروات يدفعون لهم نصيبهم منها متمثلاً بفريضة الزكاة، فستكون نظرهم هؤلاء نظرة حب وإكبار، فيتحول العداء والتناقض إلى إخاء وإخلاص ومحبة.

ثم إن الغاية من فرض الزكاة ليست لتزكية النفوس فقط، بل هنالك غاية أخرى تتعلق بمحيط الإنسان نفسه، فينمو رزقه وتزداد ثروته وتكثر خيراته؛ لأن شرائط الإيمان الحقيقي والتقوى التي أعد الله لأهلها جنته - شرائط الإيمان هو أداء جميع الفرائض، ومنها فريضة الزكاة.

وأيضاً لما كانت البركة منوطة بالإيمان والتقوى يتبين لنا أن الزكاة نماء في الرزق، وقد بين الله هذه الحقيقة في القرآن حيث يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وأما الموضوع الرابع فذلك: أن الله فرض الحج تقوية للدين فمعلوم، ولذلك رغب الله فيه فأبلغ في الترغيب، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل بوضوح على فضل الحج وعظمته، وتدل أيضاً على فضل وعظمة مكة والكعبة، يقول الله جل شأنه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران]، ويقول رسول الله ﷺ في آخر حديث له: ((وترك البيت أن يؤم؛ فإن ترك هذا البيت أن يؤم لم ينظروا))^(١).

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن علي عليه السلام.

وكذلك مدينة الرسول ﷺ فهي أفضل بقعة بعد مكة، كيف لا وقد اختارها الله تعالى مهاجراً لحبيبه وصفيه محمد ﷺ وجعل الصلاة في مسجده بها بألف صلاة فيما سواه.

ويروى أن آدم عليه السلام حج البيت العتيق ألف مرة.

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «لما أفاض آدم عليه السلام من منى تلقته الملائكة بالأبطح وقالوا: يا آدم بر حجك، أما إنا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجه بألفي عام»، فلعظمة هذا البيت واستجابة من الله عز وجل لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام حين تضرع إلى الله وقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، لهذا يشتاق المؤمنون لزيارة تلکم المواطن المقدسة، وترفرف إليها قلوبهم، وتهوي أفئدتهم.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يوفقنا للحج والعمرة والزيارة ولجميع طاعاته وعباداته، وأن يكشف عنا بلاءنا ويستجيب لنا دعاءنا، وأن يقوينا على أداء الطاعات واجتناب المحرمات إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].



في فضل رجب وفيها ذكر إسلام أهل اليمن ومولد أمير المؤمنين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين، الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمدٍ ترونها وبسط الأرض، وأسكن فيها عُمَارَهَا لتأدية شرعه في النفل والفرض، وخلق بين عباده تكليفاً ليوم النشور والعرض.

أحمده حمد الشاكرين، وأشكره شكر الذاكرين، ونؤمن به إيمان من صدق قوله العمل، ونتوكل عليه توكل من قطع إلا إليه الأمل.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل، ولا خُلف لقوله ولا تبديل، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات العظام، والداعي لنهج العدالة والسلام، صلى الله وسلم عليه وعلى آله البررة الكرام.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته والإقبال إليه بصدق العزائم، فنحن في مواسم القبول لمن أقبل، والخيبة والخسران لمن أعرض وغفل، فيا من أراد الرجوع إلى مولاه فهذا شهر التوبة والندم، وهذا هو شهر الصدقة وصلة الرحم، وهو أيضاً أحد الأشهر الحرم التي ميزها الله تعالى وبينها بقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]، فهل من باك فيه على زلل؟ وهل من تارك قبيح عمل؟ وهل من مُقْصِرٍ من طول أمل؟ وهل من خائف من الله عز وجل؟

أين الأجسام العاملة؟ وأين الشفاه الذابلة؟ وأين الأعناق الخاضعة؟ وأين القلوب الراجفة؟ أين المتمللم من ثقل الأوزار؟ وأين الحذر من سوء المنقلب وكشف الأسرار؟ أين المستعد ليوم تعظم فيه الفضائح؟ وأين المجتهد على زجر نفسه عن ارتكاب القبائح؟

فاغتنموا هذا الشهر العظيم فهو شهر الله تعالى نسبه عز وجل إلى نفسه، أخبرنا بذلك سيد البشرية محمد ﷺ حيث يقول من حديث طويل، يذكر فيه فضل هذا الشهر وفضل الصيام والأعمال الصالحة فيه فقال: ((ألا إن رجب شهر الله الأصم، وهو شهر عظيم))^(١).

وإنما سمي الأصم لأنه لا يقارنه شهر من الشهور حرمة عند الله وفضلاً، وقد كانت الجاهلية تعظمه فلما جاء الإسلام لم يزد إلا عظمة وفضلاً.

وعنه ﷺ أنه قال: ((ألا إن شهر رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي، ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر وأطفا صومه في ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه باب من أبواب النار، ولو أعطي مثل ذلك ذهباً ما كان ذلك بأفضل من صومه))^(٢).

أيها المؤمنون، لقد أطلت علينا الثلاث البيض منه، والتي جاء في فضلها على جهة العموم ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((صيام الدهر ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة من الشهر))^(٣) من كل شهر وذلك أن الحسنة بعشرة أمثالها، فيكتب له بصيام كل يوم صيام عشرة أيام.

وأما على جهة الخصوص، فما روي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال ما معناه: «أعطيت أمة محمد ﷺ ثلاثة أشهر هي عندي أفضل الشهور: رجب وشعبان ورمضان، كما أعطيت ثلاث ليال لم يعطهن غيرها من الأمم: ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، وأعطيت ثلاث سور من القرآن لم يعطهن غيرها من الأمم: سورة يس، وتبارك الذي بيده الملك، وقل هو الله أحد، فمن جمع بين هذه الثلاث فقد حاز وجمع أفضل ما أعطيت أمة محمد ﷺ» فقيل:

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي سعيد الخدري.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن جابر.

يا ابن رسول الله، كيف يجمع بين ذلك؟

فقال: «يصلي في الليالي البيض من هذه الأشهر الثلاثة في ليلة الثالث عشر يصلي ركعتين يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وهذه الثلاث السور، وفي ليلة الرابع عشر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وهذه الثلاث السور، وفي ليلة الخامس عشر يصلي ست ركعات كل ركعة بفاتحة الكتاب وهذه السور الثلاث، فحينئذ يحوز أفضل ما أعطيت هذه الأمة ويغفر الله له ذنوبه».

فاغتنموا الأعمال الصالحة في هذه الأيام وهذه الليالي المباركة، وأديموا ذكر الله، فهذه الأيام العظيمة هي أيام الاستقالة من الأوزار والخطيئات، فإنه قد روي أنه ((أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جبريل عليه السلام وهو يتبوك، فقال: يا محمد، اشهد جنازة معاوية بن معاوية المزني، فخرج رسول الله ﷺ ونزل جبريل عليه السلام في سبعين ألفاً من الملائكة عليه السلام، فوضع جناحه الأيمن على الجبال فتواضعت، ووضع جناحه الأيسر على الأرضين فتواضعت، حتى نظر إلى مكة والمدينة، فصلّى عليه رسول الله ﷺ وجبريل والملائكة عليه السلام، فلما فرغ قال: يا جبريل، بم بلغ معاوية بن معاوية هذه المنزلة؟ قال: بقراءته قل هو الله أحد قائماً وقاعداً وراكباً وماشيّاً))^(١).

فيا أيها المؤمنون، اغتنموا هذه الأشهر العظيمة وهذه الليالي والأيام المباركة، واحذروا ندامة التفريط حيث لا تنفع الندامة إذا زلت الأقدام، فيا ذوي الهمم العالية والنظر، ويا طالبي التجارة الربحة لمن اتجر شمروا لتجارة لن تبور.

عباد الله، فاتقوا الله حق تقاته واسعوا بجد وإخلاص لتحصيل مرضاته، وكونوا في الله إخواناً، وعلى الحق والبر أنصاراً وأعواناً، واعرفوا حقوق الله عليكم ونعمه التي أسبلها عليكم، واشكروه على تلك النعم يزدكم، وأطيعوا الله والرسول لعلكم

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي أمامة.

ترحمون، فإنه تعالى لم يُخَفِّ عليكم شيئاً من دينه ولم يترك شيئاً رضيهِ أو لم يرضهِ إلا وجعل له علماً بادياً، آية محكمة أو سنة ثابتة تزرع عنه أو تدعو إليه، وقد حثكم على الشكر وافترض من ألسنتكم الذكر، وأوصاكم بالتقوى وجعلها متتهى رضاه، فاتقوه فإن نواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته، إن أسررتم علمه، وإن أعلنتم كتبه، وقد وكل بكم حفظة كراماً لا يسقطون حقاً ولا يثبتون باطلاً، فمن يتق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم، ويخلده فيما اشتهدت نفسه، وينزله منزلة الكرامة عنده، في دار اصطنعها لنفسه ظللها عرش الله نورها بهجة الله، زوارها ملائكة الله، رفقاؤها رسل الله، ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ ١٨ ﴿وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ﴾ ١٩ ﴿وَزَيْلٍ مَّندُودٍ﴾ ٢٠ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ٢١ وَقَافٍ كَثِيرَةٍ ٢٢ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ٢٣ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ٢٤﴾ [الواقعة] فلا تفوتنكم هذه الدار.

وارحموا أنفسكم عن النار فإن جلودكم عليها لا تقوى، وقد جربتم في مصائب الدنيا ورأيتم كيف يجزع أحدكم من الشوكة تصيبه، والعثرة تدميه، والرمضاء تحرقه، فكيف بالعبد الضعيف إذا كان بين طابقين من نار، ضجيع حجر وقرين شيطان، روي أن مالكا إذا غضب على النار حطم بعضها بعضاً لغضبه، وإذا زجرها توثبت بين أبوابها جزعاً من زجرته، إنها لظي نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى، يقول ربنا عز وجل: ﴿قَالُوا لَيْكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٣٣ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ٣٤﴾ [المؤمنون].

فتوبوا إلى الله قبل أن يحال بينكم وبينها، فهذه أيام التوبة والرجوع إلى الله والقبول، وجاء في حديث طويل يصف فيه رسول الله ﷺ فضل صيام كل يوم من أيام رجب إلى أن أتمه، فقليل له: يا نبي الله، ومن عجز عن صيام رجب لضعف أو لعله كانت به، أو امرأة غير طاهرة يصنع ماذا لينال ما وصفت؟ قال: ((يتصدق هذه الصدقة كل يوم رغبة على المساكين، والذي نفسي بيده إنه إذا تصدق بهذه الصدقة كل يوم ينال ما وصفت وأكثر)).

قيل: يا رسول الله، ومن لم يقدر على هذه الصدقة يصنع ماذا لينال ما وصفته؟ قال: ((يسبح الله في كل يوم في شهر رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرة: سبحان الإله الجليل، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلا له، سبحان الأعز الأكرم، سبحان من لبس العز وهو له أهل))^(١).

فها هو قد أطل علينا شهر الله المعظم شهر رجب الأصم، أحد الأشهر الحرم، شهر رغب الله فيه عباده بالطاعات وضاعف فيه الحسنات، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ألا إن رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي))^(٢).

ويقول ﷺ: ((رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات، ومن صام يوماً من رجب فكأنما صام سنة، ومن صام منه سبعة أيام أغلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة))^(٣)، والحديث كما يروى أن الله تعالى أمر نوحاً ﷺ بركوب السفينة في شهر رجب فصامه وأمر من معه بصيامه، فجرت بهم السفينة ستة أشهر كان آخر ذلك يوم العاشر من المحرم فاستوت السفينة على الجودي فصام نوح ﷺ يوم عاشوراء وأمر من معه بصيامه.

ولعل أن هذا اليوم الجمعة أول جمعة من شهر رجب، ويوم الجمعة الأولى من شهر رجب يعتبر عيداً من أجمل الأعياد وأجلها، ولا سيما في يمننا الميمون، فإن في مدن اليمن وأكثر الأرياف يعتادون في هذا اليوم التجمل والتزين، والتقرب إلى الله تعالى بالذبائح والتوسعة على العيال، وتبخير المساكن وما إلى ذلك من الأعمال التي تدل على الأفراح والسرور، بينما الأغلبية من الناس لا يعرفون عن

(١) روى الحديث بطوله الإمام المرشد بالله في الأُمالي الخميسية عن أبي سعيد الخدري.

(٢) المصدر السابق.

(٣) روى الحديث كاملاً الإمام المرشد بالله في الأُمالي الخميسية عن عبد الغفور -يعني: ابن سعيد- عن عبد العزيز بن سعيد.

هذا اليوم شيئاً، وإننا يعتبرون ذلك عادة موروثة، والحقيقة أن أسباب هذا العيد العظيم أن أهل اليمن أسلموا على يدي أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه صلوات رب العالمين، فأقام لذلك عيداً سعيداً وجاء بالمدائح والثناء على أهل اليمن شعراً ونثراً، وأرسل إلى النبي ﷺ يخبره بذلك فسجد النبي ﷺ شكراً لله على هذه النعمة العظيمة، ولم يسجد لإسلام أي بلد أو شعب أسلم غير أهل اليمن، ودعا لهم النبي ﷺ بخير؛ ولهذا فإن أهل اليمن مدينون للنبي ﷺ ولوصيه أمير المؤمنين ﷺ من حقهم أن لا يخالفوا لهم أمراً أبداً، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فهذه الجمعة لها فضل عظيم وكل أيام هذا الشهر ولياليه، فعلينا أن نهيم أنفسنا للطاعات وأن نؤدي فيه الشكر الكثير على هذه الموهبة التي حضي بها اليمن وأهله، نسأل الله أن يعيننا على أداء شكره وذكره وحسن عبادته إنه سميع مجيب.

واعلموا أن يوم الثالث عشر من هذا الشهر هو يوم ذكرى مولد أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه صلوات رب العالمين، الذي لم يسبقه الأولون، ولم يدركه الآخرون، أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ نسباً وأولهم إيماناً بالله ورسوله، من جاهد مع رسول الله ﷺ ووقاه بنفسه، طاب مولده وعظم جهاده وربحت تجارته، وهو الذي استقام به الإسلام وانتظم الإيمان، وانضحت به أعلام السبل، قصم الله به كل جبار عنيد، وأذل به كل ذي بأس شديد، وحطم به حصون الشرك، وشرف الله مقامه وأعلى مرتبته، وقد يصحب ميلاد بعض العظماء خوارق وكرامات، إعلاماً من الله عز وجل بشأن المولود وعظمته وعلو شأنه عند الله، والقرآن الكريم يقص علينا ولادة يحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ﷺ، كما أن مولد الرسول محمد ﷺ قد اقترن بمعجزات وخوارق، فقد خمدت نار فارس، وسقطت شرفات إيوان كسرى، وانتكست الأصنام.

أما أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد اقترن بمولده معجزة عظيمة لم ينلها أحد من خلق الله سواه، روى صاحب كتاب بشارة المصطفى عن يزيد بن قعنب قال: كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من بني عبدالعزى بإزاء بيت الله الحرام؛ إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين وكانت حاملاً به لتسعة أشهر فأخذها الطلق فقالت: يا رب، إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت وبحق المولود الذي في بطني إلا ما سترتني ويسرت علي ولادتي»، وما هي إلا لحظات وقد انشق جدار الكعبة، فدخلت من ذلك الشق فالتأم بإذن الله، وذلك ظاهر إلى الآن بالرغم من ترميم الكعبة المشرفة مراراً عديدة، فكلما انتهوا من عمارتها انشقت من ذلك المكان، وقد سدّدوا ذلك بالرصاص.

هذا، وبعد وضعها لحملها المبارك، بدت تحمل وليدها بين صدرها وبساعديها، بدت وهي تزهر بهذه المكرمة العظيمة، بدت وهي تحمل ذلكم النور المستمد من نور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، تتوجّ شرفها الأصيل بمجد أثيل يناطح السحاب، وأي مجد أعظم من هذا المجد؟!!

فيبدو أبو طالب زعيم الهاشميين وسيد قريش والأبطح، فيخطو نحو وليده المبارك ويأخذه بكلتا يديه، ثم يهدأ ويفكر، ليبحت للمولود العظيم عن اسم يكون له صلة بهذا الشرف الذي حباه الله به وحده من بين أفراد البشر، بعد أن علا شرفاً بولادته في بيت الله العتيق، فسماه علياً، وما أدراك ما علي!! وكأنما كان ميلاده في أقدس المقدسات في البيت الحرام إيذاناً بعهد جديد للكعبة المشرفة والعبادة فيها.

ومن هذا الإيمان المتدفق، الممتزج من زوجين أصيلين وضميرين طاهرين هما أبو طالب وابنة عمه انحدر أبو الحسن عليه السلام، بعد إخوة له ثلاثة: طالب وعقيل وجعفر، يكبر كل واحد منهم الآخر بعشر سنين، ولكن لولادة هذا الشبل الرابع والأسد الغضنفر، له أخصية عظيمة امتاز بها على إخوته بل على سائر أفراد البشر،

وذلك بولادته في بيت الله حيث أراد الله له ذلك، وقد بلغ -سلام الله عليه- في أصول الفضائل ما لم يبلغه سواه، ففي العلم بلغ الغاية حيث قال له النبي ﷺ: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب))^(١).

وبلغ في زهده وعفته وورعه ما لم يبلغه سواه من أمة محمد ﷺ بالإجماع، وفي الشجاعة أجمع المسلمون وغيرهم على أنه أشجع العباد بعد النبي ﷺ ويكفي نداء جبريل عليه السلام قائلاً: ((لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي))^(٢)، وقول النبي ﷺ له في يوم الخندق: ((برز الإسلام كله للشرك كله))^(٣).

وفي العدل بلغ إلى حيث يقول: (أوأيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى)، وكان يقول: (والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته، وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها).

فسلام الله عليه يوم ولد في كعبة الله المقدسة، ويوم استشهد في شهر الله وفي خلال إقام فريضة من فرائض الله، وذلك في مسجد الكوفة المعظم، ويوم بيعت حياً.

ونسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيل محمد وآله، وأن يأخذ بنا منهاجهم، ويقفو بنا

(١) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في كتابه المسمى بالمجموع المنصوري ورفعته إلى جابر بن عبدالله الأنصاري، وروي في الكامل المنير المنسوب إلى نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام بلفظ: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها)) وبه رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليه السلام في كتاب طبع ضمن المجموع.

(٢) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في كتابه المسمى بالمجموع المنصوري، وروي في الكامل المنير المنسوب إلى نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي عليه السلام.

(٣) رواه السيد العلامة محمد عبد الله عوض في محاضرات رمضانية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٠].

آثارهم، وأن يحشرنا في زمريتهم، ويسكننا بجوارهم في جنات تجري من تحتها الأنهار،
وأن يعتق رقابنا من النار، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة].



دائرة الجمعة في شهر رجب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الغفور من له الخلق والأمر وإليه النشور،
أحمده حق حمده مصداقاً بوعيده ووعدده، فله الحمد كما يشاء ويريد وما ربك
بظلام للعبيد.

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، تفرد بصفات الكمال وهو العدل
في الأقوال والأفعال، المنزه عن صفات النقصان.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله
الطاهرين.

أما بعد، فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها النجاة غداً والمنجاة
أبدًا، فاتقوا الله حق تقاته واسعوا بجد في طلب مرضاته، وكونوا في الله إخواناً
وعلى الحق أنصاراً وأعواناً، اعرفوا حقوق الله عليكم وقوموا بشكر الله وذكره،
وأدوا ما أوجب الله عليكم وتجنبوا ما نهاكم عنه، فإنه تعالى لم يأمرنا إلا بما فيه
الخير والصالح لعاجلنا وآجلنا، ولم ينهنا إلا عما فيه الشر وإفساد ديننا ودنيانا
فاجعلوا أعمالكم صالحة خالصة لوجه الله عز وجل فهو الرقيب الحسيب العالم
بما تكنه النفوس وتخفيه القلوب.

يروى عن قيس بن عاصم قال: وفدت على رسول الله ﷺ مع جماعة من
بني تميم فلما استقر بنا المقام قلت له: عظنا يا رسول الله موعظة ننتفع بها فإننا قوم
نعمر البرية، فقال ﷺ: ((يا قيس، إن مع العز ذلاً، وإن مع الحياة موتاً، وإن مع
الدنيا آخرة، وإن لكل شيء حسيباً وعلى كل شيء رقيباً، وإن لكل حسنة ثواباً
ولكل سيئة عقاباً ولكل أجل كتاباً، وإنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك
وهو حي وتدفن معه وأنت ميت، فإن كان كريماً أكرمك، وإن كان لئيماً أسلمك ثم
لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه، ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحاً، فإنه إن

صلح أنست به، وإن فسد فلا تستوحش إلا منه وهو عمك))^(١).

فاجعلوا أعمالكم صالحة وخالصة لوجه الله عز وجل، والصيام وكما تعرفون من أجل الطاعات وأكمل العبادات، وقد جاء في فضل الصيام في هذا الشهر العظيم الروايات، منها: جاء عن النبي ﷺ أنه قال: ((من صام رجب يوماً من أوله أو من أوسطه أو من آخره أوجب الله له الجنة وجعله معنا في درجتنا يوم القيامة)) وساق في الحديث إلى أن قال: ((من صام سبعة أيام أغلقت عنه أبواب النار السبعة، ومن صام ثمانية أيام من رجب فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء))^(٢).

وفي رواية عن رسول الله ﷺ: ((إن في الجنة نهراً يقال له رجب أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر))^(٣).

وروي أن رجلاً دخل إلى الصادق عليه السلام في شهر رجب وقد بقيت منه أيام فنظر إليه وسأله: هل صمت في هذا الشهر شيئاً؟ فقال: لا، فقال الصادق عليه السلام: لقد فاتك من الثواب ما لم يعلم مبلغه إلا الله عز وجل، إن هذا الشهر قد فضله الله وعظم حرمة وأوجب للصائمين فيه كرامته، فقال الرجل: فإذا أنا صمت مما بقي شيئاً هل أنال فوزاً ببعض ثواب الصائمين فيه؟ فأجاب عليه السلام: نعم، من صام من آخر هذا الشهر يوماً كان ذلك أماناً له من سكرات الموت، وأماناً له من هول المطلع وعذاب القبر، ومن صام ثلاثة أيام من آخره أمن يوم الفزع الأكبر من أهواله وشدائده وأعطى براءة من النار.

(١) رواه الشريف زيد بن عبدالله بن مسعود الهاشمي في الأربعين السيلقية.

(٢) روي ما يقاربه في الأمالي الخميسية.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن موسى بن عبد الله بن يزيد، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ ...

ويروى أن نوحاً عليه السلام ركب السفينة أول يوم من رجب فصامه وأمر من معه أن يصوموه، واستوت على الجودي في اليوم العاشر من المحرم فصامه وأمر من معه بصيامه، ولذلك سن الله صيامه.

ألا وصلوا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم صل وسلم على المختار للرسالة وتبليغ المعالم سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله الفاتح الخاتم، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أبي الأئمة الأطايب، مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين السيدين الشهيدين أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين.

اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين، وأسكنهم غرف الجنان، واجعلنا متبعين لهم بإحسان.

وارض اللهم عن الراشدين من الصحابة الأخيار من المهاجرين والأنصار، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا وللمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا طفلاً إلا ربيته، ولا ظالماً إلا أهلكته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا كريم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وألف بين قلوب المؤمنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



خطبة فيها ذكر ليلة النصف من شعبان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً يليق بعظمته وجلاله، حمداً يدوم بدوامه ويليق بكماله، حمداً تعجز الخلائق عن الإتيان بمثاله، ويبلغ قائله غاية آماله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، مقيل العثرات ومجيب الدعوات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الذي هدانا الله به من الضلالة، وعلمنا به من الجهالة، وبصرنا به من العمى، وأقامنا به على المحجة البيضاء وسبيل التقوى، وأخرجنا به من الغمرات، وأنقذنا به من شفا جرف الهلكات، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار، الصادقين الأخيار، دعائم دين الله وأركان توحيده، صلاة وسلاماً دائمين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن خير ما نتواصى به التقوى، وهي وصية الله في خلقه، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فاتقوا الله تعالى فقد تقارب من هذه الدار الارتحال، ولقد آذنت أيامها بسرعة الزوال، فكأنها تنادي الخلائق بلسان الحال، ويصرح لسان تصاريدها عن حقيقة المآل، ولقد صرعت القرون الأول، وأخلت القصور الشاخمة عن الدول، وسلبت الجامعين لحطامها ما دق وجل، وجردتهم عما كثر منها وما قل، لم يخرج منها أحد إلا بثوب الأكفان، ولم يصحبه منها ما جمع من المال ولا ما شيد من البنيان، لا يغني عنه من ماله صامت ولا ناطق، ولا يرد عنه الردى خليل ولا صديق صادق، لا تنفعه الأولاد والأحفاد، ولا يشفع فيه الإخوان ولا الأجناد، بل ينزل في قعر حفرة فريداً، ويترك هنالك وحيداً، لا يصحبه سوى ما قدمه من العمل، فإن كان صالحاً سره، وإن كان سيئاً كدره.

فاعملوا عباد الله لذلك المنزل ولما بعده من الأهوال التي ذكّرها للعقول
 مذهل، اعملوا ليوم يشيب لهوله الصغير، إنه يوم عسير على الكافرين غير يسير،
 ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء].
 واحذروا الدنيا فإنها غرارة لا تعدو ما يقول الله عز وجل في وصفها: ﴿وَاضْرِبْ
 لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ
 هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (٥٥) [الكهف]، مع أن من نال
 منها حبرة أعقبته عبرة، ولم يلق من سرّاها بطناً إلا منحتة من ضرّاها ظهراً، لا
 خير في شيء من زادها إلا التقوى، من قل منها استكثر مما يؤمنه، ومن استكثر
 منها لم تدم له ولم يدم لها، حيّها بعرض موت، وأمنها بعرض خوف، ومن وراء
 ذلك سكرات الموت وزفراته، وهول المطّلع والوقوف بين يدي الحكم العدل،
 ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ
 مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٣٠) [يونس]، فيجزى الذين أساءوا بما عملوا ويُجزى الذين
 أحسنوا بالحسن.

أفहेذا الدنيا تؤثرون؟ وفيها ترغبون؟ والله سبحانه يقول: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ (١٥)
 أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) [هود].

فاعتبروا بمن قد رأيتم من إخوانكم صاروا في التراب رميماً، لا يرجى نفعهم
 ولا يخشى ضرهم، فهم كمن لم يكونوا وكما قال رب العزة: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ
 لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [قصص: ٥٨]، استبدلوا بظهر الأرض بطناً،
 وبالأنس غربة، وبالأهل وحدة، غير أنهم قد ظعنوا بأعمالهم إلى الحياة الدائمة
 الأبدية، إما إلى نعمة دائمة أو شقوة لازمة، فيا لها حسرة على كل ذي غفلة حينما
 يكون عمر الإنسان عليه دليلاً وحجة، وحينما تؤديه أيامه إلى شقوة.

فجدوا عباد الله في الأعمال الصالحة، أقيموا الواجبات واجتنبوا المحرمات، واغتنموا في هذه الأيام ما تُدبتم إليه من الطاعات، وقدموا لأنفسكم ما يبلغكم إلى أرفع الدرجات، فأنتم في مواسم الخير والمغنم، أنتم في شهر شعبان المكرم، الذي نسبه رسول الله ﷺ إلى نفسه فقال: ((رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي))^(١).

كما أننا في استقبال الثلاث البيض منه، ولها فضل عظيم في هذا الشهر وفي غيره من الشهور؛ إذ قد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((صيام الدهر ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة من الشهر))^(٢) من كل شهر، وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام كل يوم بعشرة أيام ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد].

أما تلکم الليلة العظيمة ليلة النصف من شعبان فيا لها من ليلة عظيمة البركات، طيبة الأوقات، غزيرة الخيرات، لمن قام بحقها وأدى الأعمال الصالحات واجتنب الغفلة والملهيات، وقد جاء في فضلها وفضل نضائها من الليالي العظيمة ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أربع ليالي هن كأيامهن، وأيامهن كلياليهن، يجزل الله فيها القسم، ويعطي فيها الجزيل: ليلة الجمعة، وصبيحتها، وليلة النصف من شعبان وصبيحتها، وليلة القدر وصبيحتها، وليلة عرفة وصبيحتها))^(٣).

أما فيما يخص هذه الليلة العظيمة فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أتاني جبريل في ليلة النصف من شعبان فقال: يا محمد، ارفع رأسك. فقلت: ما هذه الليلة؟ قال: هذه ليلة يفتح فيها أبواب السماء. فقلت: يا جبريل، وما هذه الليلة؟ قال: يفتح فيها ثلاث مائة باب من الرحمة فيغفر الله لجميع من لا يشرك

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أنس.

بالله شيئاً إلا ان يكون ساحراً أو كاهناً أو مشاحناً، أو مدمناً خمر، أو مصرّاً على الربا فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا، فخرج النبي ﷺ إلى بقيق الغرقد فصلّى وسجد فبينما هو ساجد يبكي ويقول في سجوده: ((أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، لأحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك فلك الحمد)). حتى إذا كان في بعض الليل نزل جبريل فقال: يا محمد، ارفع رأسك إلى السماء، فرفع رأسه فإذا أبواب الرحمة مفتوحة، على الباب الأول ملك ينادى: ((طوبى لمن ركع في هذه الليلة))، وعلى الباب الثاني ملك ينادى: ((طوبى لمن سجد في هذه الليلة))، وعلى الباب الثالث ملك ينادى: ((طوبى لمن خشع في هذه الليلة))، وعلى الباب الرابع ملك ينادى: ((طوبى لمن دعا ربه في هذه الليلة))، وعلى الباب الخامس ملك ينادى: ((طوبى لمن بكى في هذه الليلة))، وعلى الباب السادس ملك ينادى: ((هل من سائل فيعطى سؤله، هل من داع فيستجاب دعوته، هل من مستغفر فيغفر له))^(١).

ومما ورد في فضلها ما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أربع ليال يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفرافاً: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، والأضحى))^(٢).

وجاء في تفسير قول الله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان]، هي ليلة النصف من شعبان، يدبر الله عز وجل أمر السنة فيها، ينسخ فيها أسماء الموتى من الأحياء.

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يطلع الله عز وجل إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن))^(٣).

(١) ذكره العنسي في كتاب الإرشاد إلى نجات العباد.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الحسن.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن معاذ بن جبل.

وعنه عليه السلام أنه قال: ((من أحيى ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يموت قلبه يوم تموت القلوب))^(١).

وعن الباقر عليه السلام قال: إن الله تعالى آلى على نفسه أن لا يرد فيها سائلاً ما لم يسأل الله المعصية.

وقد روي أن الغسل في تلكم الليلة يوجب تخفيف الذنوب، فعلى كل مسلم إحياء هذه الليلة العظيمة بعبادة الله عز وجل بالأدعية الماثورة وقراءة القرآن، وأداء الصلاة المشروعة الموسومة بصلاة الشعبانية، وهي مائة ركعة يؤديها على ركعتين ركعتين ويسلم، ويقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة واحدة و«قل هو الله أحد» عشر مرات، وهي بحمد الله مشهورة ومعروفة في كثير من مناطق اليمن الإيمان والحكمة، خاصة بلاد الزيدية، فإنهم يتوارثون إحياء هذه الليلة المباركة جيلاً بعد جيل، ويقيمون حقوقها ويصلون فيها هذه الصلاة المشروعة والمندوب إليها حتى الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، وهذه نعمة من الله عز وجل والحمد لله الذي هدانا لهذا.

وقد جاء في بيان فضل هذه الصلاة وبيان الأجر العظيم الذي يناله القائمون بأدائها ما روي عن رسول الله عليه السلام أنه قال: ((ما من أحد صلى هذه الليلة مائة ركعة بألف قل هو الله أحد إلا أرسل الله تعالى مائة ملك: ثلاثون ييشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان))^(٢).

والرواية الأخرى عنه عليه السلام: ((من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف مرة «قل هو الله أحد» لم يموت قلبه يوم تموت القلوب، ولم يموت حتى يرى مائة ملك يؤمنونه من عذاب الله: ثلاثون منهم ييشرونه بالجنة، وثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان، وثلاثون يستغفرون له آناء الليل وأطراف النهار،

(١) ذكره العنسي في كتاب الإرشاد إلى نجاة العباد.

(٢) ذكره الزمخشري في كتابه الكشاف.

وعشرة يكيدون من كاده)^(١).

وقد روي أن من قال هذه الليلة: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» مائة مرة غفر الله له ما سلف من معاصيه، وقضى له حاجات الدنيا والآخرة.

فرحم الله من عرف حق هذا الشهر العظيم وحق هذه الليلة المباركة فقام بها ندب إليه، ورحم الله ذا بصيرة عرف داء نفسه فداواها وأصلح فسادها وأعادها لما فُطرت عليه.

ونسأله عز وجل أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين الذاكرين المحبتين، الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون إنه سميع مجيب.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، آمين اللهم آمين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿حَمْدُ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ [الدخان].



(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

[الجمعة الأخيرة من شعبان في العدل ولزوم التحلي به]

خطبة فيها بعد الموعظة العدل ولزوم التحلي به، نفع الله بها

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الكريم الذي لا يبخل في عطائه، العدل الحكيم الذي لا يجور في قضائه، الغني الذي لا تجوز عليه الفاقة، المكلف لعباده دون الطاقة، فهو العدل الذي لا يظلم ولا يجور، ولا يقضي بالفساد في أمر من الأمور، نحمده حمداً لا ينبغي إلا له، ولا يُتقرب به إلا إليه، حمداً يتضاعف على كرور الأزمنة وبتزايد أضعافاً مترادفة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ركب العقول في قلوب المكلفين لإقامة حججه، وأرسل الرسل لإيضاح الدين فهو منهجه.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله الذي لا تنفد منه نعمه، ولا تُفقد له رحمة، الذي رغب في التقوى، وحذر من المعاصي، وزهد في الدنيا، الذي تعزز بالبقاء، وذل خلقه بالموت والفناء، فالموت غاية المخلوقين وسبيل العالمين، ومعقود بنواصي الباقين.

فزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل أن تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق، وبادروا إلى الطاعات قبل عنف السياق، قبل أن تبلغ الروح التراقي وقيل من راق، وظن أنه الفراق، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق.

خذوا بشرائع الدين فإن من أخذ بها لحق وغنم، ومن تأخر عنها وتهاون بها ضل وندم، اعملوا ليوم تُدْخَرُ له الدَّخائر وتبلى فيه السرائر، واتقوا ناراً حرها شديد وقعرها بعيد، حلية أهلها فيها الحديد، وطعامهم الزقوم، وشرابهم الصديد.

واعملوا لجنة فيها نعيم مقيم، فيها ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ولا تغرنكم الدنيا فليست دار مقام، وإنما هي مجاز للتزود فيها إلى دار القرار.

فأين العقول المستضيئة بمصاييح الهدى؟ وأين الأبصار اللاححة إلى منار التقوى؟ وأين القلوب التي وُهِبت لله وعوقدت على طاعة الله؟

فارحموا أنفسكم، وتعرضوا لرحمة الله قبل أن يحال بينكم وبينها، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى ارتضى لعباده هذا الدين القويم إكراماً لهم وامتناناً عليهم، وبين لهم المثل العليا والأخلاق الفاضلة التي يجب عليهم أن يتحلوا بها، كما أوضح لهم الأخلاق السيئة وأمرهم باجتنابها، وإن الشيطان يزين للناس حب الشهوات وسيئ الأعمال؛ ليصدهم عن سبيل الله.

ومن المعلوم لدى كل عاقل أن الأخلاق السيئة والإقامة عليها لا تتلاءم مع قدس الإسلام؛ لأنها ضعة في النفوس ونقص في الإنسانية، وشذوذ عن التوازن، والسييل إلى التخلص منها هو جهاد النفس، فالنفس عدو مخادع، وخصم ألد، تحمل سلاح الغدر تحت ستار النصيحة، فهي عدو داخلي يجب إخضاعه بقوة العدل، يجب إخضاعه لحكومة العقل وإشارته وإرشاداته التي يقرها الشرع الشريف.

هذا هو العدل الذي يجب أن يتحلّى به كل فرد من أفراد الأمة؛ إذ لا يكون الإنسان عادلاً حتى يُخضع الشهوات لحكم العقل ويغض طرفه عن المحارم، ويلجم الغضب بلبجام الحكمة لتترفع نفسه عن المظالم، فهذا هو العدل وهذه هي العفة بمعناها الشامل.

سئل الصادق عليه السلام عن العدل في الإنسان ما هو؟ فقال: «هو غض الطرف عن المحارم، وكف اللسان عن المآثم، وكف النفس عن المظالم»، فمن ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب، وإذا اشتهى وإذا غضب - حرّم الله جسده على النار.

فالعادل حقاً من توازنت ملكاته واعتدلت أخلاقه، ومن المعلوم أيضاً أن كثيراً من الأخلاق إنما يستفيد بها الفرد من بيئته ومجتمعه الذي يحيط به، فالفرد مدين للمجتمع في أكثر صفاته وشيمه، فأفراد هذه الأمة مشتركون في الغاية، ومتماثلون في الحقوق والواجبات، فارتفاع الفرد في شخصيته بمقدار ما ينتج لمجتمعه من خير وما يؤديه إليه من ثمار طيبة، وانحداره وسقوطه يكون بمقدار ما ينال مجتمعه منه من شرور وأعمال فاسدة، وقد يتبادى عمل الشر ببعض الأفراد فيكون في مجتمعه كالعضو المصاب بالسرطان الذي يجب فصله؛ وقايةً لذلك الجسم من شره.

فالمجتمع كالجسم الواحد الحي، والأفراد كالأعضاء لذلك الجسم، ولهذا يقول الرسول الكريم محمد ﷺ: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر))^(١).

فإذا سار المجتمع على نظام عادل وطبقه على سلوكه وسلوك أفراد - سمي ذلك التوازن عدلاً اجتماعياً.

وبيانه: أن تسير الأمة إلى المثل العليا في الحياة وفي الأخلاق، وتسعى إلى السعادة العامة والكمال المطلوب، وأن تُعَدَّ للأفراد الطرق الكفيلة بوصولهم إلى السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة، ويتعاون الجميع على العمل لاكتساب الخير واكتساب الصفات الخلقية المثلى، وعلى التمسك بالأنظمة الشرعية الموجبة لحفظ الحقوق وسلامة النفوس وصيانة الكرامات، وفق النهج الصحيح

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الحميسية بسنده، عن عبد الملك بن عمير عن النعمان بن بشير بلفظ: ((مثل المؤمنين وتواصلهم وتراحهم وما جعل الله فيهم من البركة مثل الجسد إذا وجع تداعى كله بالسهر والحمى))، وبسنده عن الشعبي عن النعمان بن بشير بلفظ: ((إنما مثل المؤمنين في تراحهم بينهم كجسد رجل واحد إذا اشتكى شيئاً ألم له سائر الجسد، وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر جسده)) يعني: القلب.

العاقل، ووفق الحكمة الرشيدة التي تحكم بها العقول ويقرها الشرع الشريف، وخير وسيلة إلى ذلك هي القيام بإصلاح الأفراد وإعدادهم لأن يكونوا صالحين وملتزمين بمنهج الله، وسالكين الطريق القويم والصراط المستقيم، وتزويدهم بكل ما يجب على الفرد لنفسه ولأسرته ومجتمعه.

فإذا صلح الفرد وتهذبت الأسرة صلحت الأمة وتوجهت برمتها إلى سبيل الخير والسعادة، وهذا هو المنهج الرباني الذي سلكه الإسلام والقرآن لإصلاح البشرية وتهذيبها.

فمن حق كل فرد أن يكون هو المبتدئ بالمعروف والمبتدئ للإحسان والمؤدي إلى الغير حقوقه كاملة غير منقوصة.

ومن حق كل فرد أيضاً إنصاف الناس من نفسه، وأن يجب للآخرين ما يرتضيه لنفسه ويكره لهم ما لا يحبه لنفسه، ومن حق كل أسرة أن يكونوا متعاونين ومتواصلين ومتآخين؛ لتشملهم العزة والكرامة.

ومن حق كل مجتمع أيضاً الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمساواة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض؛ ليكونوا كما أمر الله وكما أراد متحابين متراحين متآخين في الله.

وأخيراً أيها المؤمنون، أود أن أذكركم إلى أن شهر شعبان قد دنى فراقه، وهو شهر عظيم، يروى أنه تذاكر بعض أصحاب رسول الله ﷺ فضائل شعبان فقال ﷺ ما معناه: «إنه شهر شريف وهو شهري، وحملة العرش تعظمه وتعرف حقه، وهو شهر تزداد فيه أرزاق المؤمنين لشهر رمضان، وتزين فيه الجنان، وإنما سمي شعبان لأنه يتشعب فيه الخير الكثير لرمضان، وهو شهر الأعمال فيه تتضاعف الحسنات بسبعين، والسيئات محطوطة، والذنوب مغفورة والحسنة مقبولة، ينظر الله تعالى إلى صوامه وقوامه فيباهي الله بهم ملائكته.

وكان جعفر بن محمد، يقول: ((صيام شعبان ورمضان -والله- توبة من الله، ثم

قرأ: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢].

وأخيراً نسأل الله أن يعيننا على أداء شكره وذكره وحسن عبادته، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على محمد وآله، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ [الحج].



[الخطبة للجمعة الأولى من شهر رمضان]

وفيها بعد الموعظة بعض فوائد الصوم وآثاره

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المختص بالقدم، وإخراج العالم من محض العدم، الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، ابتدع الخلق على غير مثال، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه وإن كان صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله فتقوى الله هي الزاد وبها المعاد، وانظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها، فهي عما قليل تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فادبر، ولا يدرى ما هو آتٍ منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن، ونهاية الناس فيها إلى الضعف والوهن، فكيف بكم إذا بلغ بكم الكتاب أجله، وألحق آخر الخلق بأوله وجاء من أمر الله ما يريد.

كيف بكم إذا أماد السماء وفطرها، وأرجّ الأرض وأرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلالته وخوف سطوته، وأخرج من فيها فجدهم بعد خلاقهم، وجمعهم بعد تفرقهم، ثم ميزهم لما يريد من مُساءلتهم عن خفايا الأعمال وبواطن الأفعال، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم]، ويشيب المتقين بجواره ويخلدهم في داره، في دارٍ دعواهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام.

وينزل المجرمين في شر دار، تُغل أيديهم إلى الأعناق، وتقرن نواصيهم بالأقدام، لباسهم سراويل القطران، ومقطعات النيران، في دارٍ حرها لا يطفى، وعطشانها لا يروى، وأسيرها لا يفادى وجريحها لا يداوى، ومريضها لا يعافى.

فاتقوا الله الذين أنتم به مؤمنون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.
أيها المؤمنون، لقد أناخ بساحتنا ضيف كريم، وتطلعت علينا أنوار فضل
جسيم، شهر شرفنا الله تعالى بوفوده، وتطلع علينا بأنواره وسعوده، ضيف
يشتاق لوصوله الأبرار، ويرتاح لقدومه المفلحون الأخيار، ضيافته قراءة
القرآن، وإكرامه سهر العيون والأجفان، ضيف لا يطرق علينا الأبواب، ولا
يستأذن علينا الحجاب.

إنه شهر الله العظيم، شهر رمضان الكريم، ﴿الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، شهر العطاء والرحمة، شهر
التضحية والبركة، شهر الهداية والنور، شهر الصلاة والصيام والعبادات
والقيام، شهر الانتصار على الرغبات والفوز على الشهوات، شهر التفتح على
ملكوت السماء، والتخلق برحاب الله، شهر أبان الله فضله بما جعل له من
الحرمات الموفورة، والفضائل المشهورة، حرم الله فيه ما أحله في غيره إعظماً،
وحجز الطعام والشراب عنا فيه إكراماً.

وأعيروني مسامح قلوبكم لنستمع معاً إلى ما يقول منقذ البشرية سيد الأولين
والآخرين محمد ﷺ في فضل هذا الشهر وعظمته، وما ينال المؤمنون فيه من
الأجور العظيمة والنعم الجسيمة، فعن علي عليه السلام، قال: خطب رسول الله ﷺ
في آخر جمعة من شهر شعبان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ((أيها الناس، إنه قد
أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل
صيامه، وجعل قيام ليلة منه بتطوع صلاة كمن تطوع سبعين ليلة فيما سواه من
الشهور. وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى
فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه. ومن أدى فريضة من فرائض الله عز
وجل فيه كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه من
الشهور، وهو شهر الصبر، وإن الصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة، وهو شهر
يزيد الله تعالى فيه في رزق المؤمن. ومن فطر فيه مؤمناً صائماً، كان له عند الله عز

وجل بذلك عتق رقبة، ومغفرة لذنوبه فيما مضى، فقليل له: يا رسول الله، ليس كلنا يقدر على أن يُفطر صائماً. فقال: إن الله تعالى كريم يعطي هذا الثواب من لا يقدر إلا على مذقة من لبنٍ يفطر بها صائماً، أو بشربة من ماء عذب، أو تميرات لا يقدر على أكثر من ذلك. ومن خفف فيه عن مملوكه، خفف الله عز وجل حسابه، فهو شهر أوَّلُه رحمة، ووسطه مغفرة، وآخره إجابة وعتق من النار، ولا غنى بكم عن أربع خصال: خصلتان ترضون الله تعالى بهما، وخصلتان لا غنى بكم عنهما، أما اللتان ترضون الله تعالى بهما فشهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأما اللتان لا غنى بكم عنهما، فتسألون الله تعالى فيه حوائجكم والجنة، وتسألون الله تعالى العافية، وتتعوذون به من النار^(١).

واستمر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تلكم الخطبة العظيمة، ولكننا نكتفي بما قد شرحنه منها ففيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وسوف نؤدي بقيتها في خطبة أخرى.

فمن أراد الاتصال بعالم القدس والطهارة، والارتقاء إلى مدارج الكمال فعليه أن يتنزه عن الاسترسال في طلب لذائذ الجسم، وأن ينقبض عن الطموح في شهوات البدن، وأن يبتعد عن كل ما يشغله عن الله، وهذه هي التقوى التي يخبرنا الله تعالى أنها تحصل بالصيام حين يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة]، فالصيام من أفضل العبادات ومن أجل الطاعات.

واعلموا أيها المؤمنون، أن ما تعطيه جميع العبادات من آثار كريمة وثمار طيبة، فهي إنما تعود إلى العبد نفسه، وفوائدها راجعة عليه، كما أن آثار المعاصي السيئة، وما تعود به من الوبال والخسران والخلود في النيران، فهي كذلك إنما تعود إلى الإنسان العاصي، فالله جل جلاله يقول وقوله الحق: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه.

وَأِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» [الإسراء:٧]، ويقول عز وعلا: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت:٤٦]، فيجدر بنا ونحن في هذا الشهر العظيم، يجدر بنا في هذه الفترة المباركة أن نظهر أنفسنا عن الأوزار والردائل، وأن نزكيها بالمثابرة على الطاعات وإخلاص العمل عن كل شائبة، وهذا يتم بملاحظة الأدعية الماثورة التي لها آثار طيبة في حياة الإنسان، فهي عبارة عن مدرسة فكرية علمية عظيمة، تصوغ الإسلام وقوانين الإسلام الإلهية، وتشرح تعاليم القرآن ومنهجه القويم وصراطه المستقيم، وتبرز النظام الرسالي في أسلوب رفيع، يدرسه الإنسان في حوار بينه وبين خالقه بين العبد وربّه بعيداً عن كل صخب وضوضاء.

فيجدر بالمسلم أن يتزود من هذا المنهل النقي، وأن يلازم تلاوة القرآن العظيم بتدبر وإمعان، فالقرآن رحمة للمؤمنين، وشفاء لما في الصدور من غل، وما في مجتمعاتهم من المشاكل والمصاعب، كما أن القرآن موعظة للغافلين، وهدى للجاهلين ودستور للحياة، وهو المصدر الوحيد والمنهل المتدفق بالخير والسعادة والرحمة على هذا الإنسان الذي يحيط به الظلام من كل جانب.

فيجدر بالصائم أن يكثر من تلاوة القرآن وأن يتدبر معانيه ويتعقل محتوياته؛ لينشرح صدره وتمتلئ نفسه بالخير والهداية بعد أن راضت بالصوم وتطهرت من الذنوب، فإن لهذا الشهر الكريم حقاً وحرمة تفوق حق أي شهر سواه؛ ولحقه وحرمة عند الله أنزل فيه القرآن كما أنزل فيه سائر الكتب السماوية على ما بلغنا من الروايات.

فعلينا جميعاً أن نشمر في طاعة الله وأن نتخلق بأخلاق القرآن؛ لتنبعث الأنوار من قلوبنا إلى السماء وتتلقاها ملائكة الرحمة، فإننا بقدر ما نحصل عليه من تفهم أسرار القرآن والتخلق بأخلاقه وتطبيق أحكامه على واقع حياتنا، بقدر ذلك ينزل علينا من الرحمة مقدار ما نبذله من جهد في طاعة الله والتمسك بكتاب الله وقرآنه ومعايشة سنة رسول الله ﷺ.

وعلينا أن نقوم بإحياء ليالي شهر رمضان، ولكن بقراءة العلوم النافعة وبتلاوة القرآن الكريم وبالنوافل والاستغفار والتسبيح والتحميد والتمجيد

للواحد القهار، لا بمقاييل القات والعكوف على الحلقات التلفزيونية والمسرحيات واللعب والملهيات التي لا نستفيد منها إلا ضياع الأوقات فيما لا يعود علينا بخيرٍ عاجل ولا ثوابٍ آجل.

وأخيراً نسأل الله العليّ القدير أن يعيننا وإياكم ويوفقنا جميعاً على تأدية شكره وذكره وحسن عبادته، وأن يتقبل منا صيامنا وقيامنا وجميع أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلنا جميعاً من عتقائه من النار، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة].



[دائرة لأول جمعة في شهر رمضان المبارك]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين نحمده جل جلاله بما حمد به نفسه وبما هو أهله، حمداً لا ينتهي لحده ولا حساب لعدده ولا انقطاع لأمدّه حمداً كثيراً، ونشكره على نعمه علينا وعلى حسن صنيعه لدينا، ونستهديه الهدى، ونعوذ به من الضلالة والردى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام الطيبين.

أما بعد، **فيا عباد الله** أوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوا الله وأطيعوه، واذكروه ذكراً كثيراً، وسبحوه بكرة وأصيلاً، فهو الذي يصلي عليكم وملائكته؛ ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً.

فأكثرُوا من ذكر الله في كل حين فإنه لكم من الشيطان حرز حصين، وأكثرُوا من التسبيح والتحميد والالتجاء إلى الله وكثرة الدعاء والاستغفار، واعلموا أن الدعاء محبوب عن السماء حتى يصلي على النبي ﷺ فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب، حتى يُصلي على محمد وعلى آل محمد، فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب، ودخل الدعاء، وإذا لم يفعل ذلك رجع الدعاء))^(١).

ومن كرم الله جل جلاله وحسن ثوابه أن جعل الجزاء عليها عظيماً، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: ((لقيني جبريل عليه السلام فبشرني، قال: إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه))^(٢) وفي حديث آخر: ((من صلى عليّ صلاةً صلى الله عليه بها عشر صلواتٍ، ومحي عنه عشر سيئاتٍ، وأثبت له

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

(٢) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن عبد الرحمن بن عوف.

عشر حسنة، واستبق ملكاه الموكلان به أيهما يبلغ روعي منه السلام))^(١).
ومن حديث له ﷺ أنه قال: ((صلاتكم عليّ جواز دعائكم ومروضة لربكم
وزكاة لأعمالكم))^(٢)، وعنه ﷺ أنه قال: ((إذا صليتم عليّ فصلوا عليّ وعلى
أهلي وعلى أنبياء الله ورسله الذين كانوا قبلي، فإنهم قد بعثوا كما بعثت))^(٣).
وعنه ﷺ أنه قال: ((أتاني جبريل ﷺ فقال: يا محمد، رَغِمَ أنف امرئ
ذُكِرَتْ عنده فلم يصل عليك))^(٤). وقال ﷺ: ((أكثرُوا من الصلاة عليّ يوم
الجمعة فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال))^(٥) أو كما قال.

فعلينا -أيها المؤمنون- أن نحافظ على ذكر الله وشكره وحسن عبادته، ومنها
الصلاة والسلام على محمد وآله ﷺ.
أيها المؤمنون، لقد أناخ بساحتنا شهر رمضان الكريم، شهر العطاء والرحمة، شهر
التضحية والبركة، شهر الهداية والنور، شهر الصلاة والصيام والعبادة، شهر الصفاء
والطهر، شهر الانتصار على الشهوات والفوز على الرغبات، شهر التفتح على
ملكوت السماء والتحلق برحاب الله، شهر أبان الله فضله بما جعل له من الحرمات
الموفورة والفضائل المشهورة، حرم الله فيه ما أحله في غيره إعظاماً، وحجز فيه عنا
المطاعم والمشارب إكراماً، فعلينا أيها المؤمنون أن نستعد لهذا الشهر العظيم، وعلينا
أن نصون فيه أنفسنا عن الخطايا، ونزيل عنها الإحن والحقد والغرور.
علينا أن نطهر فيه أنفسنا من الرذائل والأوزار، وأن نتبصر كيف نقضي فيه أوقاتنا
فيما يرضي الله، وعلينا أن نصون جوارحنا عن معاصي الله، نصون ألسنتنا عن البذاءة

(١) رواه الإمام زيد ﷺ في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي ﷺ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الإمام علي ﷺ، وروى الأمير الحسين في كتاب
شفاء الأوام عن الإمام علي ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا صليتم عليّ
فصلوا عليّ معي، فإن الله تعالى لا يقبل الصلاة عليّ إلا معي)).

(٤) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

(٥) رواه الإمام زيد ﷺ في المجموع الفقهي والحديثي.

والفحش، ومن ذلك ما يكون من بعض الصائمين من إطلاق ألسنتهم على أهلهم وأولادهم بالكلام الجارح لأتفه الأسباب، فبعض الأسر قد يكون دخول شهر رمضان الكريم عليهم نقمة لما يلاقونه من أولياء أمورهم الصائمين، فهذا لا يليق بالمسلم فرسول الله ﷺ يقول: ((أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً، وأطفهم بأهله، وأنا أطفكم بأهلي))^(١).

فشهر الصوم يعرف في اللغة بشهر الصبر، وقد جاء في بعض التفاسير أن معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، أن معناها: استعينوا بالصوم والصلاة، فعلياً أن نراعي حقوق الآخرين، وأن نصون جميع جوارحنا عن معاصي الله مهما كانت؛ لنكون من الصائمين الله بحقية صومه.

وعلياً أن نهتم بالدعاء في هذا الشهر الكريم وبالتضرع إلى الله عز وجل، فللدعاء آثار عظيمة في حياة الإنسان، وكذلك بتلاوة القرآن العظيم، ولكن بتدبر وإيقان وتعقل لمعانيه ومحتوياته؛ لتشرح صدورنا وتشع قلوبنا من أنواره، وتمتلئ نفوسنا من خيراته وهداياته،

اللهم فصل وسلم على محمد وآله، واجعل القرآن العظيم وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسلماً نخرج فيه إلى محل السلامة، وسبباً نجزي به النجاة في عرصة القيامة، وذريعة نقدم بها على النعيم في دار المقامة، واجعلنا فيه وفي غيره من الفائزين المقبولين يا رب العالمين.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم صل وسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن

أبي طالب، وعلى زوجته الغراء سيدة النساء وخامسة أهل الكساء فاطمة البتول الزهراء، وعلى الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، الإمام أبي محمد الحسن والإمام أبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام المجاهد الولي الشهيد الرضي، صاحب الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائص والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين.

اللهم صل وسلم على أهل بيت نبيك أجمعين، وأجزهم أفضل ما جزيت به الأنبياء والمرسلين، وأسكنهم غرف الجنان، واجعلنا متبعين لهم بإحسان، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وألف بين قلوب المؤمنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك آيسين يا رب العالمين، وصل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[خطبة للجمعة الثانية من شهر رمضان]

وفيها بعد الموعظة وفضل شهر رمضان وصيامه قضية فتح مكة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله عدد الرمل والحصى، المعطي لمن أطاعه من العالمين ولمن عصى، الذي قدر لكل حيوان رزقه وأجله، وأظهر من بدائع الخلق ما يشهد بكمال الوجدانية له، الذي بذكره تطمئن القلوب، وتعترف العقول بعجزها عن إدراك ما عنده من الغيب المحجوب، وتعلن الألسنة بتقديسه عن مشابهة كل مخلوق، فالجهل لغيره مضروب، والعجز إلى من عداه منسوب، أحمدوه وأشكروه كما يرضى ويحب، وأسأله سؤال من رغب.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته، فإن خير العبيد أطوعهم، وإن أحبهم إلى الله أبرهم لعباد الله وأنفعهم، وإن أعلمهم بالله أجلهم قدراً لديه وأرفعهم، وإن أشر الناس من لا يذكر معاداً ولا يدخر لرمسه زاداً ولا يصلح من نفسه فساداً.

فليسع كل امرئ إلى إصلاح ما أفسد، ولتنظر كل نفس ما قدمت لغد، قبل أن يقوم ناعيها، وتروم إمهال أجلها فلا يراعيها، فإن العمل أقل، والأمر أجل، وإن اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

واعلموا أن من أفضل أعمال البر وأزكى الأعمال التي تكتسبونها في العلانية والسر، وأعظم قربة خص الله بها من يتقي ويصبر - السعي في مصالح العباد والنصيحة لحاضرهم والباد، بتعليم جاهلهم، وتنبيه غافلهم، ومواساة عائلهم، وإرشاد المسترشد، ونصرة المستنجد، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، وصلة الأرحام، واصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وستر العورات، وإقالة العثرات، وموالاة أهل الإيمان، ومكافاة المسيء بالإحسان.

فشمروا في السعي لأعمال البر، والبر فهو كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة].

أيها المؤمنون، إن الله تعالى من رحمته بهذه الأمة اختصها بشهر رمضان، الشهر العظيم الذي ميزه عن سائر شهور السنة بسميزات عظيمة، أولها: أن الله تعالى لم يذكر في القرآن اسم شهر من شهور السنة إلا شهر رمضان، فهو يتردد على ألسنة التالين للقرآن في شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ومنها: أن الله تعالى اختاره لإنزال القرآن فيه، فهو لذلك شهر ميلاد الإسلام، بل اختاره لإنزال جميع الكتب السماوية كما جاءت بذلك رواية عن الصادق عليه السلام، وهذه تدل على عظمته وعلو شأنه.

ومنها: أن الله جعل من لياليه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر كما وصفها الله، والتي من أحيائها إيماناً واحتساباً وجبت له الجنة.

ومنها: أن في هذا الشهر العظيم كان أول انتصار للإسلام بقيادة رسول الإسلام سيدنا ونبينا محمد ﷺ، وذلك في واقعة بدر الشهيرة.

وفي شهر رمضان كان النصر العظيم للإسلام، ألا وهو فتح مكة المكرمة، فهذه المميزات اختص بها شهر رمضان العظيم، ولقرب حلول ذكرى قصة الفتح فهذه مقتطفات من قضية الفتح المبين وأسبابه:

ففي شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة حقق المسلمون بتوجيه من الله وبقيادة رسول الله ﷺ أكبر انتصار على الوثنية في شبه جزيرة العرب، ومنَّ الله بفتح مكة وعودة الإيمان إلى بيت الله الحرام، مركز الإيمان ومنطلق الإسلام، وزالت بذلك عبادة الأوثان، وصار الإسلام هو المسيطر في شبه الجزيرة؛ إذ لم

يبقى للوثنية والشرك إلا أتباع قليلون مذعورون، وسرعان ما دخلوا في الإسلام. وبذلك المناسبة أنزل الله على نبيه ﷺ سورة النصر، وفتح مكة ذكرى من ذكريات تاريخنا المجيدة.

وإذا تحدثنا عن أي ذكرى تاريخية فالغرض هو الانتفاع بها في حاضرتنا ومستقبلنا، فهي كقبس يضيء لنا طريق حياتنا، فمن خلال تلكم الأنوار نتمكن من سلوك نهج أمجادنا، فمحمد وصحبه نهج الله القويم وصراطه المستقيم، وفتح مكة هو الحلقة الأخيرة في وعد إلهي نفذ على ثلاث مراحل؛ إذ كان النبي ﷺ قد رأى أنه سيدخل هو والمسلمون مكة في السنة السادسة محلقيين رؤوسهم ومقصرين، وكان المشركون قد منعوهم من دخول مكة حتى في الأشهر الحرم التي كانت الجاهلية تعظمها ولا تصد أحداً عن دخول مكة فيها كائناً من كان.

فخالفوا تقاليدهم الراسخة، وصدوا رسول الله والمسلمين خلال الست السنوات الأولى للهجرة، فلما رأى هذه الرؤيا تجهز رسول الله والمسلمون للحج، ولكن قريشاً منعتهم عن دخول مكة، فجرت بين الطرفين مفاوضات أسفرت عن صلح الحديبية المشهور.

وغضب بعض المسلمين وشك بعضهم لأن النبي ﷺ لم يدخل مكة ولكنه لم يأبه بذلك وأبرم الصلح مع قريش، والذي من بنوده: دخول النبي ﷺ والمسلمين في العام القابل لأداء العمرة، فكانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل تحقيق الوعد الإلهي الثلاث.

وكان هذا فتحاً قريباً كما سماه الله تعالى فيما أنزل في ذلك حيث يقول: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].

وذلك لأنه فتح أمام الرسالة الإسلامية آفاق الدعوة السلمية، فهي للناس أن يفهموا الإسلام وهم في أمان من قريش وعدوانها؛ إذ يروى أنه دخل في الإسلام ما بين صلح الحديبية إلى الفتح مثلما كان قد أسلم من ابتداء الدعوة إلى ذلك

التاريخ أو أكثر؛ لأنه كان من أراد أن يسلم من أي قبلية تصدت له قريش. وجاءت المرحلة الثانية، وهي دخول النبي ﷺ في السنة السابعة معتمرين محلقي رؤوسهم ومقصرين، وبذلك حقق الله للمسلمين انتصاراً آخر، وهو تأكيد حقهم في حج بيت الله العتيق بسلام، وبهذه المناسبة أنزل الله تعالى قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].

أما الحلقة الأخيرة، وهو فتح مكة وأسبابه، فإنه كان مدة المعاهدة في صلح الحديبية عشر سنوات، وكان من بنوده أن حلفاء كل فريق آمنون من الطرف الآخر لا ينالهم منهم أي أذى، إلا أن قريشاً اعتدت وغدرت فبغدرها ألغيت تلکم المصالحة والمعاهدة.

وذلك أن في شهر شعبان من السنة الثامنة للهجرة قامت قريش بقتل عشرين شخصاً من قبيلة خزاعة التي كانت حليفة لرسول الله ﷺ، فلما علم بهذا العدوان الغادر اعتبر هذه المعاهدة ملغاة؛ لإخلال قريش ببند من بنود المصالحة. وكان من قوله ما ذكرته التواريخ: ((لا نصرت إن لم أنصر خزاعة مما أنصر منه نفسي))^(١) واستعد سرّاً لغزو مكة وفتحها.

وفي شهر رمضان من ذلك العام اتجه ﷺ والمسلمون فجعل الله لهم المهابة في قلوب أعدائهم، فاستسلمت مكة للنبي ﷺ، وبذلك تمت الغلبة للإسلام والمسلمين على حرم الله وأمنه، وعاد التوحيد بعد الوثنية إلى بيت الله، وحطمت جميع معالم الوثنية في الكعبة من صور وأصنام، واجتمعت قريش في المسجد الحرام وهي تترقب انتقام النبي ﷺ منها على اضطهادها له.

(١) ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ورواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام بلفظ: ((لا نصرت إن لم أنصركم)).

وللمسلمين، وعلى مطاردتهم لهم في كل أرض، وعلى محاربتها لدين الله بكل وسيلة، ولكن العفو السمع، لكن إنسانية الإسلام وأخلاق الإسلام كانت هي شعار محمد ﷺ كما كانت من قبل شعاره، فخطب فيهم قائلاً: ((لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم وآدم من تراب، وتلا قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]).

ثم قال: ((يامعشر قريش، يا أهل مكة، ماترون أني فاعل بكم؟)) فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))^(١) وأعتقهم وعفا عنهم بعد أن أمكنه الله تعالى من رقابهم.

وهكذا أعلن لقريش ولل بشرية كلها في هذا الموقف كما في غيره من المواقف، أعلن إنسانية الإسلام وأخلاق الإسلام، وهكذا تم في هذه المرحلة الوعد الإلهي العظيم.

فهذا مختصر من قضية الفتح، وأعود إلى ما بدأت به فأدعوكم إلى اغتنام

(١) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام بلفظ: ((الحمد لله الذي أنجز وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده))، ثم التفت إلى قريش وهم حواله فقال لهم: ((ما تقولون))، فقالوا: أخ كريم قد ملكت فاصنع ما شئت، فقال ﷺ: ((أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم أنتم الطلقاء))، ورواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان في أصول الأحكام عن قتادة بلفظ: ((يامعشر قريش، يا أهل مكة، ماترون أني فاعل بكم؟)) فقالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))، وذكره الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي قال: ويحكى أن الرسول ﷺ لما دخل يوم الفتح الكعبة وقريش حوله، فحمد الله وأثنى عليه بها هو أهله، ثم قال: ((إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وافتخارها بالآباء، الناس كلهم من ولد آدم، وآدم من تراب)) ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

الفرصة والمسارة إلى القيام بأعمال البر في هذه الأيام والليالي من هذا الشهر العظيم، فالأجور فيه تتوفر والأعمال تُتقبل والدعاء يستجاب، فاغتنموا أعمال البر من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ومواساة الضعفاء، وتوقير الكبير، والرحمة بالصغير، وحسن الخلق، والإكثار من الأدعية المباركة وتلاوة القرآن وتطبيقه فقد قال رسول الله ﷺ: ((أيها الناس، إنه قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليلة منه بتطوع صلاة كمن تطوع سبعين ليلة فيما سواه من الشهور.

وجعل لمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير والبر كأجر من أدى فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه.

ومن أدى فريضة من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور))^(١).

ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والإعانة والصبر على الطاعة، وأن يجعل أقوالنا وأعمالنا خالصة لوجهه، وأن نكون ممن شملتهم رحمة الله وعمهم عفوه، وأن يعتق رقابنا من النار، آمين اللهم آمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة].

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ
 اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا
 مُسْتَقِيمًا ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ﴿الفتح﴾.



[الخطبة الثالثة لشهر رمضان فيها ذكر مقتل الإمام علي عليه السلام]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على آلائه التي أكملها، حمداً يكون إليه واصلًا، وبها وعد عليه كافلاً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فالزموها يُلزمكم وقارها، واسلكوا سبيل الهدى فقد وضح لكم منارها، وانظروا بعيون الهمم في مصارع الأمم الذين عرفهم الزمان عاقبة أمره، بعد أن عمروا الدنيا عمارة آمن من غدرها، ونفذت أوامرهم في سهل الأرض ووعرها، ونفذت خططهم في بحرها وبرها.

فلما اقتعدوا فيها مقاعد الشرف وصدقوا كواذب أمانيتها قلبت لهم عين فراتها أجاجاً، وأمرتهم على آفاتها أفواجاً، أخرست ألسنتهم بعد إفصاحها، وطمست آثارهم بعد اتضاحها.

فيا أيها الساكنون في منازل الراحلين، ويا أيها الواردون مناهل الأولين، لقد هتف بكم هادم اللذات فأسمع، ولقد جاءكم عارض الشتات فما أقلع، ولقد سل فيكم سيف الممات فأوجع، ولقد سعى إليكم بقلق الآفات فأسرع، وأنتم متمسكون بحبال الآمال الحائلة بينكم وبين خواتم الآجال، فكأن الموت على غيركم كتب، وكأن الحق على غيركم وجب.

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله ومراقبته فإن خير الناس من يُرجى خيره ويؤمن شره، وإن شر الخلق من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره، فشمروا على طاعة الله وصبروا أنفسكم عليها فإن الصبر على الطاعة أهون من الصبر على العذاب، وتآمروا بالمعروف الأكبر وتناهوا عن الفحشاء والمنكر.

واعلموا أنكم في أجل محدود وأمل ممدود ونفس معدود، فلا بد للأجل أن يتناهى ولا بد للأمل أن يطوى، ولا بد للنفس أن يحصى، ﴿وَإِنَّ عَلَيْنَكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الأنفطار].

فجدوا في الطاعات وإخلاص الأعمال فأنتم في مواسم القبول، أنتم في شهر عظيم، شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، أيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي، وساعاته أفضل الساعات، الأعمال فيه تقبل والأجور تتضاعف، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. أيها المؤمنون، إننا نتحدث في هذا الجامع الطاهر عن شخصية عظيمة، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام الذي هو نفس رسول الله ﷺ بنص القرآن في آية المباهلة.

نتحدث عمن هو من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، وعمن لو رمنا عشر العشير من خصائصه الجمة لاستغرقنا زمناً طويلاً دون أن نحصل على ذلك، ويكفي ما دونه سيدنا ومولانا حجة الله في هذا الزمن العلامة الفاضل سيدي محمد الدين بن محمد في «لوامع الأنوار» وغيرها من مؤلفاته القيمة.

نتحدث عن إنسان بهر العقول بما نال من الصفات الكمالية حتى النصارى المنصفين. اسمعوا معي ما يقول المسيحي العربي اللبناني «بولس سلامة» في مقدمة كتاب ألفه في فضائل وخصائص أمير المؤمنين علي عليه السلام وسماه: «ملحمة عيد الغدير»، كتاب نفيس يقول في مقدمته: إن هذا الإمام يذكره المسلمون فيقولون: كرم الله وجهه، ويقولون: عليه السلام، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثلون بحكمه ويخشعون لتقواه، وتتمثل به الزهاد في الصوامع فيزدادون زهداً، وينظر إليه المفكر فيستضيء بهذا القطب الوضاء، ويتطلع إليه الكاتب الأملعي فيأتم بيانه، ويعتمده الفقيه المدره فيسترشد بأحكامه، أما الخطيب فحسبه أن يقف في السفح ويرفع الرأس إلى هذا الطود الشامخ لتنهل عليه الآيات من علو، وينطلق

لسانه بالكلام العربي المبين الذي رسخ قواعده أبو الحسن.
ويقرأ الجبان سيرته فتنهدر في صدره النخوة وتستهويه البطولة؛ إذ لم تشهد
الغبراء ولم تطل السماء على أشجع من ابن أبي طالب.
فعلى ذلك الساعد الأجلد اعتمد الإسلام يوم كان وليداً، فعليُّ بطلٌ بدرٍ
وخيرٌ وحنينٌ والحنديق.

وأعجب من بطولته الجسدية بطولته النفسية، فلم يرَ أصبر منه على المكاره؛
إذ كانت حياته موصولة الآلام منذ فتح عينيه على النور في الكعبة حتى أغمضهما
على الحق في مسجد الكوفة.

لقد اغتيل ﷺ وهو في أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله في صلاة
خاشعة، وفي يوم من أشرف الأيام، ثم هو ﷺ في أعظم تكليف إسلامي حيث
كان في طريقه لخوض غمار حرب جهادية كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله
وأطهرها، وذلك في مسجد الكوفة.

وهذه الجريمة النكراء تعتبر أشرس جريمة وأفظع حادثة؛ لأنها لم تستهدف
رجلاً كسائر الرجال، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة، استهدفت
اغتيال رسالة وتاريخ وحضارة، استهدفت قتل أمة تتمثل في شخصية أمير
المؤمنين ﷺ، استهدفت إنساناً هو نفس رسول الله ﷺ بنص القرآن في آية
المباهلة، استهدفت شخصية سامية رفيعة ترفض الظلم والجور والخيانة بجميع
أشكالها، الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ((ما شيد هذا الدين إلا بسيف علي
ومال خديجة)).

استهدفت خليفة كان يحكم خمسين دولة إسلامية تزيد مساحتها على الشرق
الأوسط برمته، تضم ألف بلد إسلامية يأتيه خراجها وواجباتها، ومع ذلك فهو
يعيش كأفقر واحد من أفراد دولته،

فكان طعامه خبزاً من الشعير اليابس يفت عليه الماء ويذر عليه الملح، ثم

يكسره بذراعه ويأكله.

وروي أنه دخل عليه إنسان يوم العيد فإذا عنده خبز شعير وإناء فيه خطيفة - والخطيفة: لبن يطبخ بالدقيق^(١) - فقال له: يوم عيد وخطيفة؟ فأجاب عليه السلام: «إنما هذا عيد لمن غُفِرَ له فهدء تجزيني، ولو شئت لاهتديت إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز^(٢)، ولكن هيهات أن يقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشعب».

فلهذا خسرت الأمة الإسلامية أروع فرصة في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد بقي الإمام عليه السلام يعاني من علته ثلاثة أيام، عهد خلالها بالإمامة الشرعية لولده الحسن السبط عليه السلام؛ ليمارس بعده مسئولياته في قيادة الأمة، القيادة الفكرية والاجتماعية، وكان عليه السلام طوال هذه الثلاثة الأيام كما كان طوال حياته لهجاً بذكر الله والثناء عليه، كما كان يصدر الوصية تلو الوصية، والتوجيهات الحكيمة تلو التوجيهات، مرشداً إلى الخير، دالاً على المعروف، مجدداً سبل الهدى ومبيناً لطرق النجاة، داعياً إلى إقامة حدود الله، ومحذراً من الهوى والنكوص عن الرسالة الإلهية.

وفي الأخير ينادي بني عبدالمطلب قائلاً: «لَا أَلْفَيْكُمْ تَحْضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنِي إِلَّا قَاتِلِي انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَلَا تُثَلُّوا بِالرَّجْلِ^(٣) فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: ((إِيَّاكُمْ وَالْمِثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ))^(٤).

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا القائد العظيم، فقد خسرت الأمة خسارةً من

(١) تعرف في صعدة: نشوفة.

(٢) التحرير على الحال التي يكون عليها عندما يستخرج من الصلج. المعجم الوسيط ج ٢ / ٣٨٢.

(٣) نهج البلاغة ج ١ / ٤٢٢.

(٤) ذكره الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي.

أفدح الخسارات التي أُصيبت بها بعد رسول الله ﷺ.
فَقَدَّتْ الأُمة بطولة غدت أنشودة الزمان، وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها،
وحكمة لا يعلم بُعْدَهَا إلا الله.

كما خسرت وفقدت طهرًا ما اكتسب به غير الأنبياء، وزهدًا ما بلغه إلا
المقربون، وبلاغة كأنها هي رجع صدى لكتاب الله، وفقدت فقهاً وعلمًا وتطلعاً
بأحكام الرسالة، رشحته لأن يكون باب مدينة علم رسول الله ﷺ ومرجعاً
للأمة الإسلامية في جميع شئونها.

فسلام الله عليه يوم ولد في كعبة الله المقدسة، ويوم قضى نحبه شهيداً في
محاربه، ويوم يبعث حياً.

ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والإعانة والصبر على الطاعة، وأن يجعل أقوالنا
وأعمالنا خالصة لوجهه، وأن نكون ممن شملتهم رحمة الله، وعمهم عفوه، وأن يعتق
رقابنا من النار، آمين اللهم آمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ
هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ
وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة].



خطبة في ذكر ليلة القدر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفي نعمتك أصبحنا وأمسينا، اللهم إنا نشهدك وكفى بك شهيداً، ونشهد ملائكتك وجميع خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن سيدنا ومولانا محمداً عبدك ورسولك، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الأطهار الصادقين الأبرار، أئمة الهدى وأعلام الأمة والدعاة إلى الخير، الذين يقول فيهم رسول الله ﷺ: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، فويل لمن خذهم وعاندهم))^(١).

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن خير ما نتواصى به التقوى، وهي وصية الله في خلقه، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فاتقوا الله تعالى فقد تقارب من هذه الدار الارتحال، ولقد آذنت أيامها بسرعة الزوال فكأنها تنادي الخلائق بلسان الحال، ويصرح لسان تصاريدها عن حقيقة المآل، ولقد صرعت القرون الأولى وأخلت القصور الشاخة عن الدول، وسلبت الجامعين لحطامها ما دق وجل، وجردتهم عما كثر منها وما قل، لم يخرج منها أحد إلا بثوب الأكفان، ولم يصحبه منها ما شيد من البنيان ولا ما جمع من المال، لا يغني عنه من ماله صامت ولا ناطق، ولا يرد عنه الرداء خليل ولا صديق صادق، لا تنفعه الأولاد والأحفاد، ولا يشفع فيه الإخوان ولا الأجناد، بل يُنزل في قعر حفرة فريداً ويترك هنالك وحيداً.

وأوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمره الذي شرع لكم وهداكم به، وأوصيكم

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الاثنينية عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

بالسمع والطاعة لأهل بيت نبيكم، وإياكم واتباع الهواء فمن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله.

وإياكم والتكبر، يروى أن المتكبرين في الأرض سيكونون يوم الحشر كالذر يدوسهم الخلائق بالأقدام، وإياكم والفخر فإنها خلقتكم من التراب وإليه تعودون، والتزموا التقوى فإنها غاية لا يهلك من اتبعها ولا يندم من عمل بها، فبال تقوى فاز الفائزون، وخسر هنالك المبطلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون.

أيها المؤمنون، إن من الحق علينا أن نجتهد في طاعة الله، وأن نقوم بما أوجب الله علينا من أداء ما فرض وترك ما عنه نهى، فنحن في خواتم هذا الشهر العظيم نحن في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك، التي كان رسول الله ﷺ إذا حانت شد المئزر وأحيا الليل كله، ولنا برسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، ويكفي في عظمتها وفضلها أن الله تعالى جعل من لياليها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، التي وصفها رسول الله ﷺ بأنها ليلة طلقة لا حارة ولا باردة، ولا يرمى فيها بنجم، فالتمسوها ليلة تسع عشرة، وليلة إحدى وعشرين، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين^(١).

والحديث عن تلکم الليلة المشهودة عظیم، كيف لا وهي ليلة الاتصال بين الأرض والملا الأعلى، إنها ليلة الحدث العظيم الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، ألا وهو نزول القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

حدث عظيم لم يشهد مثله في دلالته وآثاره في حياة البشرية جمعاء، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ

(١) له شاهد في النور الأسنى، والبحر الزخار.

مَطْلَعُ الْفَجْرِ ﴿١﴾ صدق الله العظيم، هذه الآيات العظيمة تزخر وتفيض
بالأنوار نور الله المشرق في قرآنه، وأنوار الملائكة الكرام والروح الأمين وهم في
غدوهم ورواحهم في تلکم الليلة المقدسة.

هذه الليلة هي طبعاً من ليالي شهر رمضان، وليالي شهر رمضان كلها عظيمة
ومقدسة، ولكن هذه الليلة تختلف عن سائر الليالي، فهي تختص بالفضل
والفضيلة، ولنستمع معاً إلى ما يقول رسول الله ﷺ في بيان ما للقائمين في
ليلة القدر بالعبادة، قال ﷺ ما معناه: ((إذا كانت ليلة القدر أمر الله جبريل
فهبط في كُتُبِهِ من الملائكة إلى الأرض ومعه لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر
الكعبة وله ستائة جناح منها جناحان لا ينشرهما إلا في ليلة القدر فينشرهما في
تلك الليلة فيجاوران المشرق والمغرب، ويث جبريل الملائكة في هذه الأمة
فيسلمون على كل قائم وقاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على
دعائهم حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر قال جبريل: معشر الملائكة الرحيل
الرحيل، فيقولون: يا جبريل، ما صنع الله في حوائج المؤمنين؟ فيقول: إن الله نظر
إليهم في هذه الليلة وعفى عنهم وغفر لهم إلا أربعة: مدمن خمر، وعاق لوالديه،
وقاطع رحم، ومشاحن، قيل: وما المشاحن يا رسول الله؟ - قال: المصارم))^(١).

ولا غرو فقد وصفها الله عز وجل بأنها خير من ألف شهر، ليلة واحدة خير من
ثلاثة وثمانين عاماً، سبحانه الله العظيم ما أبرك هذه الليلة وما أعظمها!! والعدد قد
يكون لإفادة التكثير أولى منه للتحديد، فهي في الحقيقة خير من آلاف السنين؛ إذ قد
تمضي آلاف السنين دون أن تترك في هذه الحياة بعض ما تتركه هذه الليلة المقدسة
من آثار وتحولات، فهي عظيمة باختيار الله لها لبدء نزول القرآن، الذي أصبح
واسطة بين أهل الأرض والسماء؛ إذ بالقرآن تسمو أرواحهم إلى الملأ الأعلى، وعن
طريق القرآن يتم الاتصال بخالق الأرض والسماء، أنزله الله عز وجل وفرض فيه

(١) رواه العنسي في كتابه الإرشاد إلى نجات العباد.

الفرائض ويّـن فيه الحلال والحرام، فيه الهدى والنور وفيه البيّنات والمواعظ، وحفظه تعالى من كل تحريف أو تبديل، ومن كل زيادة أو نقصان.

وجعل له تراجمة أمناء اختارهم رب العالمين، لا يفارقهم القرآن ولا يفارقونه، جعلهم يبينون للناس ما خفي مما أحل لهم وحرم عليهم؛ لأنه تعالى جعله محكماً ومتشابهاً، ومجملأً ومبيناً، وناسخاً ومنسوخاً؛ اختباراً منه لعباده؛ ليعلم المطيع من العاصي، والمتواضع من المتكبر، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد ذلك، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله.

وجدد في هذا القرآن الأحكام التي تقوي عزائم الناس، وتربي نفوسهم على السير في منهج الله، وعلى الجِد في طريق الإيمان، ومن رحمة الله بعباده أن أخفى عنهم هذه الليلة المقدسة -ليلة القدر- فجعلها إما في ليلة تسع عشرة أو في الأفراد بعد العشرين من شهر رمضان؛ لأنه عز وجل على ما يبدو يريد منا أن نجتهد في طاعة الله في هذه الليالي كلها؛ لنفوز برضوان الله، ولنحصل على الجائزة العظمى التي أعدها لعباده وأوليائه الصالحين الصائمين القائمين المخلصين.

يريد الله تعالى منا أن نحبي هذه الليالي كلها بتلاوة القرآن العظيم؛ لننال الأجر الجسيم، ويريد الله منا أن نتقرب إلى الله بالصلوات النوافل فقد قال رسول الله ﷺ: ((فرض الله عز وجل صيامه، وجعل قيام ليلة منه بتطوع صلاة كمن تطوع سبعين ليلة فيما سواه من الشهور))^(١).

ويريد الله أن تؤدي فيه الفرائض بإتقان إذ يقول رسول الله ﷺ: ((من أدى فريضة من فرائض الله عز وجل فيه كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله عز وجل فيما سواه من الشهور))^(٢).

(١) من حديث طويل قاله رسول الله ﷺ في خطبة خطبها في آخر جمعة من شهر شعبان رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٢) تقدم تخريجه.

كما أنه يريد أن نلازم الأدعية التي تقربنا إلى الجنة وتبعدنا عن النار ويصرف عنا الشياطين فقد كان رسول الله ﷺ يخطب في أول ليلة من شهر رمضان، فيقول: ((أيها الناس، أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوكم من الجن والشياطين، ووعدكم الإجابة، فقال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فما منكم من أحد يدعو دعوة إلا استجيب له ما لم يدعو بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل فيقول: دعوت فلم أُجِبْ))^(١).

فعلينا -أيها المؤمنون- أن نغتني هذه الفرص العظيمة، وأن نتلقى نفحات الله المباركة ونعمه الجسيمة بالقبول، فنؤدي فرائض الله تعالى من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الضعفاء والأيتام. يريد منا عز وجل أن نقدر رسول الله ﷺ حق قدره ونعظمه، وأن نؤدي ولو بعض الحق الذي له علينا فيريد منا الإكثار من الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله؛ لأنها تثقل ميزان العبد يوم القيامة كما جاء ذلك في الأثر عن سيد الخلق ﷺ.

أيها المؤمنون، إذا لم نتقرب إلى الله تعالى بأنواع القرب في هذه الأيام والليالي فمتى سنتقرب؟ إذا لم نتعرض لنفحات رحمة الله عز وجل فمتى سنتعرض؟ فلنتعرض لرحمته ولنسارع إلى عفوه ومغفرته؛ لنكون في آخر شهرنا هذا من عتقائه وطلاقه ونقذائه من النار.

جعلنا الله وإياكم ممن شملتهم الرحمة، وعمتهم المغفرة، وفازوا بالرضى والرضوان من الله الكريم المنان، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.



(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

دائرة / الجمعة الأخيرة من شهر رمضان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق الإنسان بقدرته، وكلفه طاعته بعدله وحكمته، نحمده على نعمه العظيمة، ونشكره على آلائه الجسيمة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فلا ندعوا مع الله أحداً، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الذي أرسله بالهدى، وأنزل عليه القرآن دليلاً على صدقه وشاهدًا، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، اتقوا الله حق تقاته فإنه لا صبر لأحد على عذابه، ولا مفر للعصاة من عقابه، إلا أن يفروا إليه بطاعته ويتوبوا إليه من أسباب عقوبته، وإلا فلا نجاة لأعداء الله من بأسه، ولا ناصر لهم من بطشه، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٣٧﴾ [الحجر]، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٣٩﴾ [الزخرف]، ففروا إلى الله من هذه النار، فأنتم اليوم في دار الخيار، والفرار من عذاب الله إنما هو تقوى الله وتقوى الله هي طاعته، فأدوا ما أوجب الله عليكم، وتجنبوا ما حرمه عليكم، وتوبوا إليه من جميع الذنوب وتخلصوا من جميع المظالم، ولا تسمعوا لوساوس الشيطان فإنه يصغر لأوليائه الكبائر ويهون عليهم العظائم.

أيها المؤمنون، إن هذا اليوم يوم الجمعة؛ ويوم الجمعة كما تعرفون سيد الأيام، وهي أيضاً آخر جمعة من شهر رمضان الكريم، ولها حرمة عند الله عظيمة ولها فضل كبير.

هذه كرامة الله وهذا عطاء الله الجزيل، هذه نفحاته الطيبة المباركة التي اختص بها أمة حبيبته محمد ﷺ، ولكن من المؤسف أن كثيراً من هذه الأمة لم يتقبلوا هذه الكرامات والنفحات؛ لأنهم انحرفوا عن صراط الله الأقوم، واتجهوا بكل قواهم

إلى الدنيا ونسوا أو تناسوا الآخرة، خرجوا من النهج القويم والصراط المستقيم، وتركوا العمل بالقرآن العظيم وسنة الرسول الكريم محمد عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأتم التسليم، ولكن الله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فعلينا أن نسعى جاهدين في طلب المغفرة والقبول، وأن نستدرك في هذه الأيام العظيمة وهذه الليالي المباركة ما قد فوتناه في هذا الشهر، وذلك بإقامة الواجبات حق القيام، من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الصيام، والقيام بما دُعينا إليه من قراءة القرآن وملازمة الأدعية والتضرع إلى الله وإعلان التوبة، فقد أمرنا الله بالدعاء ووعدنا بالإجابة؛ إذ يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وأمرنا كذلك بالتوبة؛ إذ يقول: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، ووعد بقبولها وبالعفو عن السيئات فلعل الله تعالى يرحمنا ويتقبل منا ويرضى بذلك عنا فهو الكريم العظيم.

ألا وصححوا عزائمكم وجدوا واجتهدوا على الطاعة المطلقة في هذه الأيام وهذه الليالي المباركة، واعمروا جميع أوقاتكم بالعبادة، واحترزوا من الرياء فإن الله تعالى يعلم منكم الباطن والظاهر، وارغبوا إلى الله في التوبة النصوح فإنه تعالى للذنوب غافر، وقدموا من دنياكم ما تهأنونه غداً في يومٍ لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأرجعوا الدم في وجوه المساكين، أشبعوا فيهم الجائع واكسوا منهم العريان، واستروهم ليستركم الله من النار، واحذروا أن تستميلكم الدنيا فإنها كما تعلمون فانية، وشمروا عن ساق الجذ بصدق القصد فإن الآخرة آتية.

فيا أيها المفلس من الحسنات، قم على باب الله الكريم، فإن العطايا مواهب، ويا أيها المذنب، هذه أوقات مغفرة الذنوب ونيل المآرب، ويا أيها العبد المطيع الصادق، هذه أوقات تضعيف الحسنات، ويا أيها الطالب، هذه أوقات المطالب فيها تسكب العبرات، ويا أيها الراغب، ما الذي تنتظره وأنت في ليالي التجليات.

وأود أن أذكركم أن عليكم أن تؤدوا فطرتكم فإنها سنة نبينا محمد ﷺ وهي لازمة وواجبة على جميع المسلمين، عنه ﷺ: ((صيام الرجل معلق بين السماء والأرض حتى يعطي صدقة الفطر))، فليؤدها كل منكم عن نفسه وعن أسرته الكبير والصغير والذكر والأنثى، ووقت وجوبها من فجر يوم العيد إلى الغروب، وندب التبكير بإخراجها لكن بعد تناول شيء من الطعام، والمندوب ثلاث تمرات أو أكثر وترًا، ويجزئ إخراجها ولو قبل العيد. وأخيراً نسأل الله عز وجل أن يقبلنا ويتقبل منا أعمالنا، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم آمين.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك المجتبي ورسولك المصطفى سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده سيد الوصيين وإمام المتقين أبي الأئمة الأطايب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وعلى الإمام الولي التقي المجاهد الشهيد الزكي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين، دعاة منهم ومقتصدين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين المخلصين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم

أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين،
 اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر
 شوكة الظالمين، وفرج عن الإسلام والمسلمين، اللهم اسقنا الغيث وأمنا من
 الخوف ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك آيسين، ولا تهلكنا بالسنين،
 وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، آمين اللهم آمين.

اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا، وأعتق رقابنا من النار، واسلخنا من ذنوبنا
 بانسلاخ أيام شهرنا ولياليه، وتجاوز عنا تقصيرنا في كرم ضيافته، واجعله شاهداً
 لنا لا شاهداً علينا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
 يَعِظْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة آخر جمعة من شهر رمضان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي تفضل علينا بالقرآن، وهدانا به إلى مناهج التقوى والإيمان، وذلك بما أبان وأودع فيه من التنبيه على دلائل العدل والتوحيد، وأظهر فيه من قواطع الوعد والوعيد والزجر والتهديد، وما ضمنه من العلوم التي هي قوام جميع الأنام، وأساس قواعد الإسلام من معرفة الحلال والحرام وسائر الآداب والأحكام، حتى صار لكل شيء بياناً وحجة، وإلى كل خير مسلماً ومحجة، نحمده على كل حال وفي كل حين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ذي علم ويقين، بريء من الظن والتخمين، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الذي تشرف به أصوله وفصوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين، الفرقة الناجية المعصومة، والعصابة الهادية المرحومة، صلاة وسلاماً دائماً متلازمين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن التقوى من أهم الأمور وأوجبها على المسلم؛ إذ لا ينفع العمل بدونها، والتقوى: هي أن تكون دائماً حيث أمرك الله، والله جل جلاله قد أثنى على المتقين في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥﴾ [البقرة].

ووعد المتقين بالخير الدائم فقال عز من قائل: ﴿سَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٢﴾ [آل عمران].

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من أحب أن يكون أكرم الناس على

الله، فليتق الله))^(١).

وفي حديث آخر يروى عنه عليه السلام أنه قال ما معناه: ((لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد؛ ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً))^(٢).

فاتقوا الله الذي إليه تحشرون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، ما هي إلا أيام معدودة وقد فارقنا هذا الشهر العظيم، الذي قام فينا مقام حمد وصحبنا صحبة مبرور وأربحنا أفضل أرباح العالمين؛ ولهذا فإننا مودعوه وداع من عز فراقه علينا، وغمنا وأوحشنا انصرافه عنا، فنحن قائلون: السلام عليك يا شهرَ الله الأكبر ويا عيدَ أوليائه، السلام عليك يا أفضل مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيام والليالي والساعات، السلام عليك من شهر قربت فيه الآمال ونشرت فيه الأعمال، السلام عليك من قرين جل قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً، السلام عليك من شهر رقت فيه القلوب وقلت فيه الذنوب، السلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهل سبل الإحسان، السلام عليك ما كان أحماك للذنوب وأسترك لأنواع العيوب، السلام عليك من مطلوب قبل وقته، ومحزون عليه قبل فوته، السلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر.

اللهم صل وسلم على محمد وآله، اللهم وقد تولينا بتوفيقك صيامه وقيامه على تقصير، وأدينا فيه قليلاً من كثير، فلك الحمد إقراراً بالإساءة واعترافاً بالإضاعة.

فصل وسلم على محمد وآله واجبرنا بمصابنا، وآجرنا على تفريطنا أجراً

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن ابن عباس.

(٢) دجه أمير المؤمنين علي عليه السلام في كلامه لأبي ذر رضي الله عنه لما أخرج إلى الربرة الذي صدره: (يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ) قال الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي عندما وصل إلى شرح: ((ولو أن السماوات والأرض ...)): هذا بعينه حديث مرفوع إلى الرسول ﷺ استعمله في كلامه ها هنا.

نستدرك به الفضل المرغوب، وأوجب لنا العذر على ما قصرنا فيه من حقك، واسلخنا بانسلاخ هذا الشهر من الخطايا والأوزار، واجعلنا فيه من عتقائك وطلقائك من النار، واسلخ عنا كل التبعات، وأخلنا فيه من السيئات، واجعلنا فيه من الفائزين المقبولين يا رب العالمين.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على المختار للرسالة وتبليغ المعالم، مولانا وسيدنا أبي القاسم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده، سيد الوصيين وإمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى المجاهد في سبيل الله لإحياء دين الله وإعلاء كلمة الله، الإمام الولي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين.

وصل اللهم على أهل بيت نبيك أجمعين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين. اللهم لا تردنا من هذا المقام خائبين، ولا عن باب جودك مطرودين، ولا تؤاخذنا بسوء أفعالنا ولا بما فعله السفهاء منا يا رب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف بين قلوب المؤمنين وفرج عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف، ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك

آيسين، واجعلنا ووالدينا والمؤمنين والمؤمنات من عتقائك وطلقائك من النار.
وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين، وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[خطبة في شهر القعدة فيها نصائح عظيمة وترغيب في الحج]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي دل على وجوب وجوده افتقار الممكنات، ودل على قدرته وعلمه إحكام المصنوعات، المتعالي عن مشابهة المخلوقين، المنزه بجلال قدسه عن مناسبة الناقصين.

نحمده حمداً يملأ السماوات وأقطار الأرضين، حمداً لا ينتهي لحده ولا حساب لعدده ولا انقطاع لأمدّه، ونشكره شكراً كثيراً على نعمه الظاهرة والباطنة، ونستعينه على دفع البأساء وكشف الضراء في كل الحالات وجميع الأزمنة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونبذ الخيانة، ونصح الأمة وكشف الغمة، صلى الله وسلم عليه وآله الطاهرين الأخيار الصادقين الأبرار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها وصية الله في خلقه، يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

نتواصى بالتحلي والتخلق بأخلاق القرآن العظيم، نتواصى بالتحلي والتأسي بإمام النبيين وسيد المرسلين وخيرة الله من خلقه أجمعين، النبيء الكريم الذي يقول الله في الثناء عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم].

واعلموا أن من أجل الأخلاق العظيمة الحلم والعفو وكظم الغيظ، يروى أن من كظم غيظاً وهو يقدر على أن يتقم من أغاضه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً وأمناً. ويروى أيضاً أن من كظم غيظه زاده الله بذلك عزاً في الدنيا والآخرة، وإذا

كان يوم القيامة وقد جمع الله الخلائق نادى مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم بعض من الناس فتتلقاهم الملائكة ويقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا في الدنيا نصل من قطعنا ونعطي من حرمننا، ونعفو عمن ظلمنا. فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة بغير حساب.

ونتواصى -عباد الله- بالزهد في الدنيا، نتواصى بترك حرامها خوفاً من العقاب، وبترك شبهاتها حذراً من العتاب، وما أمكن من حلالها فراراً من طول الحساب، وليس الزهد إضاعة المال أو تحريم الحلال، وإنما الزهد قصر الأمل والشكر عند النعم، والورع عن المحارم، كما يقول الوصي عليه صلوات رب العالمين.

فاتقوا الله الذي إليه ترجعون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون. أيها المؤمنون، لقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال من خطبة طويلة: ((أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي تُشيع من الأموات قوم سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم، نسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة))

ثم قال ﷺ: ((طوبى لمن شغله عييه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريره، وحسنت علانيته، واستقامت خليقته، طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأنفق مما جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يشذ عنها إلى بدعة))^(١).

ومن وصايا المصطفى ﷺ قوله ما معناه: ((صنائع المعروف تقي مصارع

(١) رواه الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين عن الإمام الحسين عليه السلام.

السوء، والصدقة الخفية تطفئ غضب الله عز وجل، وصلة الأرحام زيادة في الأعمار، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف^(١).

وعن النبي ﷺ أنه قال ما معناه: ((من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف من الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف من الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من العمل، ومن لم يستحي من طلب الحلال من المعيشة خفت مؤنته ورخى باله وتعم عياله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار^(٢))).

فاتقوا الله عباد الله واعملوا بهذه النصائح النبوية العظيمة تسعدوا في الدنيا وفي الآخرة، واعلموا وأنتم تعلمون أن الله تعالى ما خلقكم إلا لعبادته، لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سداً، وأن لكم معاداً يجمعكم الله فيه للفصل والحكم

(١) روى الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في البحر الزخار عن النبي ﷺ: ((صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ))، وروى الإمام زيد بن علي في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ((إن صدقة السر تطفئ غضب الرب تعالى، وإن الصدقة لتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار)) وروى عن آبائه، عن علي بن أبي طالب، قال: ((بر الوالدين، وصلة الرحم، واصطناع المعروف زيادة في الرزق، وعجارة في الديار، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة)) وروى الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين عن جعفر بن محمد بن محمد بن علي (عليه السلام): ((المعروف يقي مصارع السوء، وكل معروف صدقة، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأول الناس دخولاً إلى الجنة أهل المعروف، وأول الناس دخولاً إلى النار أهل المنكر، وصدقة السر تطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيد في العمر)).

(٢) ذكره الإمام الحجة في كتابه لوامع الأنوار في سياق ذكر السند إلى الاعتبار عن علي بن أبي طالب، وذكره المهلا في مطمح الآمال.

بينكم، وقد خاب وخسر من أخرجه الله من رحمته التي وسعت كل شيء، ومن جنته التي عرضها كعرض السماوات والأرض بسوء عمله.

فاتقوا الله واعتصموا بالله، وتزودوا بالأعمال الصالحة وبتقوى الله فإن خير الزاد التقوى، فإلى متى هذا التغافل عن الأخذ بالنواصي والأقدام؟ والاستخفاف بطاعة الملك العلام؟ وإلى متى الاتكال على طول الحياة ولعل الباقي من العمر أيام؟

فاتقوا الله فيما احتج به عليكم، وفيما قدمه إليكم، فهذه أيام القبول، وهذه أوقات التوبة فنحن في أشهر عظيمة الشأن، وهذا الشهر بالذات شهر القعدة الحرام هو أحد أشهر الحج، حيث يقول عز وعلا: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ لأن أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

وهو أيضاً أول الأشهر الحرم، وهي الأشهر التي حرم الله فيها الابتداء بالقتال، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، وقد ميزها الله تعالى عن شهور السنة فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، وقال بعدها: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

ولحرمة هذه الأشهر جعلها الله سبحانه وتعالى ميقاتاً لأداء فريضة هي عند الله من أجل الفرائض، ألا وهي فريضة الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، وهي الفريضة التي لا يقوم مقامها شيء ولا يجزئ عنها عمل من الأعمال الأخرى، ولا شيء من الأموال والصدقات، وذلك على المستطيعين الذين يقول الله فيهم: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فمن استطاع ولم يؤدها فلا يقوم مقامها شيء، يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((من وجد زاداً وراحلة يبلغانه بيت الله ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً،

وإن شاء نصرانياً، وإن شاء مجوسياً، أو على أي ملة شاء))^(١).

وكانه يريد ﷺ أنه لا يقوم مقام هذه الفريضة أي شيء مهما كان.

ثم إن لهذا الشهر حرمة عظيمة؛ ولذلك قدمه الله عز وجل في ميقات كليمة ورسوله موسى بن عمران عليه السلام، وعناه الله مع العشر الأولى من ذي الحجة بقوله عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢].

فاغتنموا أيها العباد طاعة الله، وقدموها على ما سواها من الأعمال الدنيوية، فإنها أيام وأشهر تضاعف الحسنات، وتضرعوا فيها إلى الله وتوبوا إليه وادعوه مخلصين فإنها أزمدة إجابة الدعوات، واستعتقوا فيها رقابكم فهي أزمدة عتق الرقاب والعفو عن السيئات، لمن تاب وأناب إلى الله واستبدل الأعمال القبيحة بالأعمال الصالحات. ومن المؤسف أن الحج في هذا الزمان قد تعسر جداً! وقد جارت التكاليف إلى حد، ولكن الوجوب لم يسقط على المستطيعين، فبعض الناس قد يمتلك أموالاً كثيرة ولكنه لا تطيب نفسه أن يبيع من تلك الأموال ليؤدي هذه الفريضة العظيمة، وقد يظن بعضهم أنه غير مؤاخذ.

فليعلم كل مستطيع أن الحج مضيق عليه وأنه سيندم إما في الدنيا إذا تعذر الحج وقد تمكن واستطاع ولكنه تساهل، ففي الأثر: ((حجوا قبل أن لا تحجوا))^(٢).

أو في الآخرة حينما يترك الفريضة وهو متمكن، فإذا مات تقسموا أمواله ولم يحجوا عنه، أو استأجروا من لا يؤدي المناسك كما أراد الله أن تؤدي، وقد جاء في الأثر ما معناه: ((من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو سلطان جائر ومات فلم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً))^(٣).

(١) رواه الأمير الحسين في شفاء الأوام

(٢) رواه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام في أصول الأحكام، ورواه العنسي في كتاب الإرشاد.

(٣) رواه الأمير الحسين في شفاء الأوام بلفظ: ((من لم يمنعه من الحج مرض حاجز، أو سلطان جائر، أو حاجة ظاهرة، حتى مات فليمت يهودياً أو نصرانياً)).

وقد كان الحج ميسراً في سنوات قد مضت قريباً، فلا تحديد لعدد الحجاج ولا دفع لأموال طائلة إلى مقابل السكن والنفقات ونحوها، ولا شيء مما يجري في هذه السنين، فاعتنم هذه الفرصة من اغتنمها وفاتت الكثير، حتى إن هناك من كانت تمر عليه أيام الحج وهو في أرض الحجاز أو نجد أو غيرها ويواعد نفسه أنه سيحج في أعوام قادمة، ولم يؤد الفريضة إلى الآن.

فنسأل الله تعالى أن يعجل بالفرج، وأن يمكننا من زيارة تلك المشاعر المقدسة والتمتع برؤية البيت العتيق، وبزيارة سيد الخلق محمد ﷺ، وأن يشركنا في دعاء عباده الصالحين إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين آمين رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران].



خطبة في توضيح منافع الحج وفوائده

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾
الحمد لله الذي تفرّد في أزليته بعزیز كبريائه، وتوحد في صمديته بدوام بقاءه،
ونور بمعرفته قلوب أوليائه، أحمده على جزیل نعمائه، وأشكره على جلیل آلائه،
وأستجير به من بعده وإقصائه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ضمن الحسنی لأوليائه يوم لقائه.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وسيد أصفیائه،
المخصوص بالمقام المحمود في اليوم المشهود، صلى الله وسلم عليه وعلى آله
الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فكم حثنا الله تعالى على
التقوى في الكتاب المبين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ
الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ
نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر].
وقال رسول الله ﷺ: ((من أحب أن يكون أكرم الناس على الله، فليتنق
الله)) (١).

فاتقوا الله عباد الله وشمروا في طاعة الله، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون
لعلكم ترحمون.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النَّعْمُ وَتَرْوُلُ عَنْهُمْ
النَّعْمُ فَرَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصَدَقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَّهِ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ
وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلُّ فَاسِدٍ))

أيها المؤمنون، إن الله جل جلاله اختار من أرضه مكة المكرمة لتكون أولاً منطلقاً

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن ابن عباس.

لرسالة خليله إبراهيم عليه السلام، داعية الإيمان السائح في الأرض برسالة التوحيد، اتجه إبراهيم عليه السلام من الشام يصطحب معه زوجته هاجر وولده إسماعيل عليه السلام؛ ليسكنهما في أرض السلام وبلد الإيمان، أراد أن يسكنهما هنالك في الوادي الجديد، بين أمواج الجبال ومتراكم الكثبان، حيث لا ماء يجري ولا أرض تزرع ولا قوافل من الركبان تقصده؛ إذ لم يكن أحد يحسب لتلك البقاع الخالية من مظاهر الرغد والحضارة أي حساب، ولكن الله تعالى هو الذي يخلق ما يشاء ويختار.

فيرى إبراهيم عليه السلام تلك الجبال الجديدة والصحارى القاحلة، فيرفع يديه بالتضرع والدعاء إلى الله فيقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم].

ولو ثوق إبراهيم عليه السلام بالله تعالى يعود إلى الشام تاركاً زوجته وولده في تلك الأرض الخالية حتى من ماء الشرب، فيمكث إسماعيل ما شاء الله أن يمكث، وإذا بذلك الوادي يتفجر عن عين مباركة عظيمة تروي الوافدين، وآية تبشر بمجد هذا الولد المبارك (وهي بئر زمزم المباركة).

وظل هنالك في أرض الرسالات ليكون عوناً لأبيه في بناء كعبة تهفو إليها قلوب الموحدين، وقبله تتوجه نحوها أنظار المسلمين، ومزار يحججه القاصدون. وعاد إبراهيم عليه السلام مرة ثانية ليلتقي بإسماعيل عليه السلام وليبني معاً بيتاً للعبادة، فيتعالى صرح البناء وترتفع القواعد ويشمخ رمز التوحيد في قلب الجزيرة، أول بيت وضع للناس ببكة، وضع للحج والعبادة فكان قدساً مطهراً وحرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء.

فصار البيت بيت الله رمز الإيمان وموضع العبادة والتقديس ومحل الحج وبيت الضيافة والوفادة على الله، فالحال في فئائه حال في رحاب الله.

وبعد إكمال بنائه بالأحجار ظلاً يعمرانه بالعبادة والتقديس، ويرمقانه بالإجلال

والتعظيم، ويتظران أن يكون لهذا البيت العظيم شأن عظيم، وهكذا شاء الله أن يكون كذلك، وشاء الله أن تكون هذه البلد حرماً آمناً، وشاء أن يخصب هذا الوادي الجديب بأغراس الإيمان، وشاء الله أن يزدحم هذا الرحاب المقفر بقلوب الواهين، ويزدحم هذا المكان المنقطع بمناكب الطائفين، وشاء الله أن يضج وادي الصمت بنداء الملبين، أراد الله ذلك فأوحى إلى خيله ﷺ قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج].

فينطلق ﷺ بالنداء وتستجيب له القلوب المؤمنة، وتتسابق قوافل الحجاج سعياً وتلبية جيلاً بعد جيل، وصدئ صوت إبراهيم يتردد في مسامع الخلف عن سلفهم، نداء خالد تصغي إليه النفوس بسكينة، وهكذا صار الحج فريضة، وجاء خاتم الرسل سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وكانت مكة المكرمة منطلق رسالته، وجاء بالإسلام فكان الحج أحد أركان دعوته، وكانت الكعبة قبلته ووجهته.

فتوجه القرآن العظيم إلى المسلمين ببلاغه الواضح وندائه الصريح: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران].

فمنذ أن أطلق القرآن نداء الحج انطلق الحجيج يلبي ويستجيب للنداء، ويردد هتاف الحب والإخلاص والوفاء لله تعالى: «لييك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وهكذا كان نداء نبي الرحمة محمد ﷺ الذي علم أمته، نداء تطلقه القلوب المستجيبة لنداء الله، لتعلن عن ولائها وصدق توجهها، متحدة المتاعب والمشاق، حباً لله وشوقاً إلى ارتياد أرض المقدسات ومواطن التعبير عن الإخلاص لله.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ [الحج]، صدق الله العظيم.

وإني أحب أن أشرح بعض هذه المنافع التي أنبأنا الله بها حين يقول:

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾، إن الحج هو تلکم العبادة العظيمة، وهو ذلکم المؤتمر الإسلامي الكبير، الذي يجتمع ويشترك فيه الملايين من المسلمين على اختلاف طبقاتهم وهيئاتهم وألوانهم وأجناسهم.

وإن من المنافع التي يريدھا الله لخلقہ هي الوحدة والأخوة الصادقة؛ إذ من الحج يشهد المسلمون أروع مظاهر المساواة والتواضع والأخوة الإنسانية، بإلغاء الامتيازات والفوارق وخلع أسباب الظهور، فإنك ترى مئات الآلاف من الحجيج يظهرون في لباس عبادي موحد: إزار ورداء من لون واحد، يؤدون مناسكهم في زمن واحد، وعلى موعد واحد، وفي أرض واحدة، يرددون هتافات واحدة، ويارسون شعاراً واحداً، ويتجهون لغاية واحدة، وهي الإعلان عن إخلاص العبودية لله وحده، والتحرر من آثار الجاهلية.

إن الحجاج ليستشعروا وحدة الأرض؛ فهم لذلك يقطعون آلاف الأميال، ويخترقون كل الحواجز التي صنعها الاستعمار وعملاؤه، وفرقوا بها بين البلد الإسلامي الواحد، ويمتازون الموانع التي صنعتها يد الأطماع على أرض الله الواحدة، يفعلون كل ذلك استجابة لنداء الله الواحد الأحد، وتلبية لنداء الإيمان والدين الواحد.

وبالإضافة إلى أن الحج عبادة عظيمة وقربة إلى الله، فإن فيه فوائد أخرى ومنافع ثقافية وتربوية، تساهم في بناء مجتمع إسلامي بناء صحيحاً، وفي الحج أيضاً فوائد ومنافع اقتصادية عظيمة، وذلك عن طريق النقل والاستهلاك وحمل البضائع وتبادل النقود، وشراء الأضاحي ومستلزمات الحج، فبذلك يتنفع الكثير من المسلمين، كما أنه يتعود كل فرد على الصبر وتحمل المشاق ويتعود أيضاً على التواضع واللين، وعلى حسن المحادثة والتعاون مع الآخرين.

وبالحج أيضاً يتعود الأفراد على الألفة والتعارف عن طريق السفر والاختلاط بالناس، ويتعود أيضاً على الصدق وعلى ترك الخصومات والتكبر، ومن هنا تنمو لديه الروح الاجتماعية، وتتهذب ملكاته الأخلاقية، عن طريق الممارسة التربوية، والتفاعل

البشري الرائع، الذي يشهده في أيام الحج بأرقى درجات الالتزام.
وفوق هذه المنافع يستفيد الحاج الوفادة إلى الله وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف، ويستفيد التوبة النصوح والتعرف على آثار رسول الله ﷺ وعلى أخباره فيذكره ولا ينساه.

اللهم يا ذا البهاء والمجد والكبرياء والحمد، صل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، خزنة علمك وحفظة دينك وخلفائك في أرضك وحججك على عبادك، صلاة تنتظم صلوات ملائكتك وأنبيائك، وبحقهم وبحق هذا اليوم العظيم وهذا الشهر العظيم، صل وسلم عليهم وأشركنا في دعاء عبادك الصالحين، ويسر لنا حج بيتك الحرام وزيارة حبيبك محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۚ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۚ﴾ [الحج].



في فضل عشر ذي الحجة وفضل بيت الله الحرام

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القاهر العليم القادر العظيم، الحمد لله الإله القديم الغافر الحليم، الحمد لله العزيز الحكيم الساتر الكريم، نحمده على إنعامه الغامر، ونشكره على إفضاله الزائد الزاخر.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول والآخر والباطن والظاهر، العالم بمكنونات الضمائر، والخبير بمستودعات السرائر.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله سيد الأوائل والأواخر، صلى الله عليه وعلى آله الأماجد المؤيدين في الموارد والمصادر.
أما بعد،

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل، فبتقوى الله فاز الفائزون ونجح الطالبون ونجا الهاربون، وبترك التقوى خسر المبتلون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون؛ لأن تقوى الله تمثل الخضوع لله تعالى في الجوارح، وتمثل الإذعان والانقياد لله عز وجل من الجوانح، إن التقوى تجعل الإنسان إنساناً باسطاً يديه إلى الله، متفانياً في طاعة الله وفي خدمة عباد الله.
إن تقوى الله تمثل متتهى الغايات التي يطمح إليها الإنسان، ومن أجلها كانت كل التكاليف الشرعية من صلاة وصيام وحج وزكاة وغيرها.
إن تقوى الله تجعل من هذا الإنسان عضواً ملتزماً لسلوك الخط الإلهي، لا يخرج عنه ولا يدخل في غيره، عضواً منقاداً لأوامر الله عز وجل بقلبه وضميره ووجدانه، فكراً وعملاً، سلوكاً وعقيدةً وطريقة حياة، فمن أحب أن يكون أعز الخلق فليتب إلى الله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ٧١ يُولِغ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ [الأحزاب].

فتواصلى بتقوى الله وإدامة ذكره وشكره فقد قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد]، وقال عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة]، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن الله تعالى شاء ولا راد لما شاء، أراد أن يجعل لهذه الأمة حرماً آمناً وأرضاً للسلام، يملأ ذكرها النفوس بالأمن والطمأنينة، جعل الله لها حرماً تفرع إليه النفوس الخائفة وتطمئن فيه القلوب، جعل الله بيته العتيق المقدس مثابة للناس وأمناً، ولا ينحصر استشعار الأمن في ربوع ذلكم البيت العتيق في التخلص من مخاوف الحياة وحدها، بل إن فيه أمناً للناس من الذنوب وآثارها، فهو موضع التوبة والرجوع إلى الله عز وجل، ولذلك تكرر في القرآن العظيم من الآيات البينات التي تؤكد قدسية هذا الحرم وأمنه؛ ليحرر الإنسان من الخوف ومن محنة التي تطارده في كل العصور، فيقول عز وجل: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [الذي أَعْطَاهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ] [قريش]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة]، وقال جل شأنه وتقدست أسماؤه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال عز وجل: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وقال وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج]، وقال جل وعلا: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين].

وفي القرآن الكثير الطيب من الآيات التي تتحدث عن الأمن والسلام، وعن حرمة الحياة وحرمة البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام، كررها الله تعالى

ليغرس في نفوس الناس احترام الأمن وحب السلام، ويرفع الإنسان من العبث والجريمة، من سفك الدماء وظلم النفس وظلم الأبرياء وغيرها من الجرائم والمخالفات والفواحش التي حرم الله ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق، وليرفع الإنسان إلى قمة الكمال إلى حيث أراد الله أن يكون.

فعلينا أن نستصحب التوبة في بداية أمورنا ونهايتها وفي ليلنا وفي نهارنا، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: ((حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين))^(١).

أيها المؤمنون، إن عبادة الحج كسائر العبادات، وذلك أن الثمرة والفائدة التي تحصل من إقامتها هي عائدة للإنسان نفسه؛ لأن الله تعالى فرض ما فرض من الطاعات ونهى عما نهى عنه من المحرمات لا لحاجة منه إلى ذلك، بل ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، ولأنه تعالى غني عن العالمين، لا تنفعه طاعة المطيعين ولا تضره معصية العاصين، فالتتأجج والثمار الطيبة والأجور الجزيلة من كل العبادات هي للإنسان المطيع، والعواقب الوخيمة بسبب التمرد على الله والعصيان هي كذلك عائدة على الإنسان العاصي.

وعلى كل حال فإن خير الدنيا ونعيم الآخرة للمتقين الملتزمين القائمين بالواجبات كما يريد الله أن تقام، فخير منافع الحج التي ذكرها الله في القرآن حين يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨]، هي ما ستؤول إليه هذه الأعمال من الخير العاجل والجزء العظيم الآجل، وهي عائدة إلى الإنسان، ففي الحديث: ((أن الحج ينفي الفقر))^(٢) و((الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة))^(٣) ففي

(١) رواه في الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين.

(٢) رواه الإمام أحمد بن سليمان في حقائق المعرفة.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن جابر.

هذين الخبرين اللذين ثبتا عن رسول الله ﷺ فيهما خير الدنيا ونعيم الآخرة، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

فجدوا يا عباد الله وأخلصوا لله أعمالكم، وتداركوا ما قد سلف منكم من التقصير، فهذه أيام التوبة وأيام الندم والاستغفار، ونحن في هذه الأيام نستقبل أيام العشر من ذي الحجة، وأيام العشر كلها عظيمة، الأعمال الصالحة فيها تقبل والأجور فيها تتضاعف.

ومما يدل على عظمتها وفضلها أن الله -تعالى ذكره- جعلها تمة لميقات كليمة موسى بن عمران عليه السلام حين قال عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وذلك شهر ذي القعدة الحرام ثم قال: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهي كما جاء في التفسير: العشر الأولى من ذي الحجة الحرام، فهي تذكر في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وكذلك لعظمتها عند الله عز وجل أقسم بها حين يقول: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾ [الفجر]، وهي الأيام المعلومات التي أراد الله منا أن نذكره فيها حين يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

فاغتنموا عباد الله هذه الأيام وهذه الليالي المباركة العظيمة، واغتنموا فيها الأعمال الصالحات من الصيام والصدقات، والتوبة من الخطايا والندامة على ما سلف من السيئات، وقدموا لأنفسكم ما استطعتم من البر والمعروف والإحسان، واذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وعشيّاً، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما من أيام العمل الصالح يعمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام)) يعني: أيام العشر قيل: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد، إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء))^(١).

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخمسية عن ابن عباس. وفي أمالي أبي طالب: قالوا: يا رسول الله... إلخ.

وفي رواية: ((ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من أيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل))^(١).
قال: وكان سعيد بن جبير إذا دخلت أيام العشر اجتهد اجتهاداً حتى ما يكاد يقدر عليه، وقال في زاد المعاد^(٢): كان صلحاء الصحابة والتابعين إذا دخل هذا الشهر اهتموا اهتماماً عظيماً، ولا غرو فهم يتأسون بالحبيب المصطفى ﷺ فقد كان يحيي هذه الأيام، وكان يصومها ويوقظ أهله فيها للصيام، فمن قدر منكم أن يصوم هذه التسعة الأيام فليفعل، فلنا برسول الله الأسوة الحسنة وإذا استطعتم أن تصوموا نهارها وتقوموا ليلها فافعلوا؛ لتنالوا رضوان الله عز وجل.

وأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وهي: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ففيها أجر عظيم وثواب كبير.
ونسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الشاكرين الذاكرين، ونسأله جل وعلا أن يهدينا في هذه الأيام سبيل الهدى، وأن يرزقنا فيها التقى والعفة والغنى، والعمل بما يحب ويرضى، وأن يشركنا في دعاء عباده الصالحين، آمين رب العالمين.
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف].



(١) المصدر السابق.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ).

عند قدوم يوم عرفة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي أنطق الصامت ببيد حكمته، وجالت أبصار البصائر في عظيم عظمتة، القديم الذي لم يسبقه شيء فتدركه الأوصاف، ولم يكن جسماً فتحويه الجهات والأطراف، ولم يكن مرئياً فتحيط به النواظر والأبصار، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتجلل بالعظمة والكبرياء، أعد لعباده دار الجزاء، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم].

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، من كان للكفرة مدمراً، ولمن اعتصم به مجيراً، ولحراب الشريعة منيراً، ولكافة الخلق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها وصية الله في الأولين وفي الآخرين، فالله تعالى يقول في الكتاب المبين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

فاتقوا الله فيما احتج به عليكم وفيما قدمه إليكم، قبل انقطاع المدة واستكمال العدة، فكأنني بكم وقد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتم إلى دار البلاء، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعايتم ما كنتم تحذرون.

فاتقوا الله عباد الله وعودوا إلى رشدكم، واسلكوا طريق أهل الحق الذين إذا علموا عملوا، وإذا ذكروا قبلوا، وإذا وُعظوا اتعظوا، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال].

ولنكن جميعاً بما علمنا متفعين، وللموت متأهبين ومستعدين، وعلى ما

اقتربنا من السيئات نادمين، ومن كل المعاصي تائبين، وأن نكون لله فيما يأمرنا به طائعين، ولما زَجَرْنَا ونهانا عنه تاركين، ومن غفلتنا متيقظين، فما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير.

أيها المؤمنون، نحن كما أسلفنا في أشهر عظيمة، هي أشهر الحج، وهي من الأشهر الحرم التي أخبرنا الله عنها في القرآن، ونحن في العشر الأولى من شهر ذي الحجة الحرم، وهي الأيام المعلومات التي أمرنا الله تعالى بذكره فيها، هي أيام إجابة الدعوات ومضاعفة الحسنات، هي أيام الاستقالة من الذنوب، هي أيام رفع الخوائج إلى الله، هي الأيام التي قيل فيها: ((إن صيام التسعة الأيام الأولى منها تعدل صيام الدهر، وإن صيام كل يوم يعدل صيام سنة، وقيام كل ليلة منها تعدل قيام ليلة القدر)). فاغتنموا فيها طاعة الله، ومن أفضل الطاعة إقامة الواجبات واجتناب المحرمات.

أيها المؤمنون، إننا قادمون على يوم عظيم وهو يوم عرفة، الذي فضله الله تعالى على سائر الأيام وجعله موسماً لعتق الرقاب ومغفرة الرب التواب، وجعله عز وجل متجراً لنيل الإفاضات، والمواهب العظيمة والخيرات الجسيمة، إنه يوم من أفضل أيام السنة، إنه اليوم العظيم الذي يقف فيه العبيد إلى باب الله الغني الحميد، يوم ينال فيه الحجاج من الله العفو والمغفرة والرضوان، يوم يجتمع فيه ملايين المسلمين على صعيد واحد بعرفات الله، متخلين عن المظاهر الدنيوية، رافعين الأكف ومتضرعين إلى رب العالمين، مقبلين على الله بقلوب منكسرة، أصواتهم عالية مرتفعة بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، مقبلين على الله بضمائر نقية، مفعمة بصادق الأمل وحسن الرجاء، متذكرين بجمعهم هذا اجتماع الخلائق يوم القيامة، ومتذكرين ما هنالك من الأهوال والفضائح، حين تنكشف الأسرار وتهتك الأستار، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ [الشعراء].

وفي كل لحظة يضجون بالتلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وعلى كل حال فهو يوم عظيم والدعاء فيه مستجاب، قال فيه رسول الله ﷺ: ((أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له))^(١).

وروي أنه كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ يوم عرفة: ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير))^(٢).

أيها المؤمنون، إن إخوانكم الحجاج في ذلكم اليوم يجتمعون في عرفات الله، يرتفع دعاؤهم بضجيج الأصوات، يباهي الله بجمعهم الملائكة المقربين،

وقد روي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: (لما كانت عشية عرفة ورسول الله ﷺ واقف وأقبل على الناس بوجهه فقال: ((مرحباً بوفد الله ثلاث مرات، الذين إذا سألوا أعطوا، ويخلف لهم نفقاتهم في الدنيا ويجعل لهم في الآخرة مكان كل درهم ألفاً، ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فإنه إذا كان في هذه العشية أهبط الله عز وجل ملائكته فهبطوا إلى الأرض، فلو سقطت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك، ثم يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً قد جاءوني من أطراف الأرض، هل تسمعون ما يسألون؟ قالوا: يسألونك أي رب المغفرة، قال: فأشهدكم أني قد غفرت لهم -ثلاث مرات-، فأفيضوا من موقفكم مغفوراً لكم ما قد سلف))^(٣).

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه كان يصوم يوم عرفة ويرغب الناس في صيامه، كما روي أنه قال: ((صيام يوم عرفة إني أحاسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)^(٤)، وصيام يوم عاشوراء إني أحاسب على الله أن

(١) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن الإمام علي عليه السلام.

(٤) الإطلاق فيه وفيما يأتله مقيد باجتنب الكبائر كما حققه بعض علماء العصر، والله أعلم.

يكفر السنة التي قبله))^(١).

ويقول ابن عباس ما معناه: «كان رسول الله ﷺ يتحرى صيام يوم عرفة ويوم عاشوراء»^(٢)، وهو يوم قبول الدعاء فتخيروا لأنفسكم من الدعاء ما أحببتم، واجتهدوا فيه فإنه يوم دعاء ومسألة، وأكثروا فيه من التعوذ من الشيطان الرجيم، فإن الشيطان لن يذهلكم في موطن أحب إليه من أن يذهلكم في يوم عرفة.

وقد جاء في حديث يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما رأيي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغضب منه في يوم عرفة؛ وما ذاك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام))^(٣).

ويستحب لمن كان في غير عرفة الاغتسال قبل الزوال، والوضوء وصلاة ركعتين

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما من يوم أكثر فيه عتيقاً من النار من يوم عرفة))^(٤).

ويستحب الإكثار فيه من قول: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»، وتكرير سورة الإخلاص والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

وقد قام النبي ﷺ في حجة الوداع خطيباً في يوم عرفة، ومما قاله في ذلك اليوم العظيم وذلك الجمع الكثير، بعد الحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهله قال: ((أيها الناس إن دماءكم وأعراضكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا وشهركم هذا وبلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس، كل حلال دلتكم عليه أو حرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبكّل، ومن كانت

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي قتادة.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة.

(٤) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية

لديه أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمننه، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول رباً أبدأ به ربا العباس بن عبدالمطلب، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير ومن زاد فهو من الجاهلية.

ثم قال ﷺ: أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ولكنه رضي بأن يطاع فيما تحتقرون من أعمالكم، أيها الناس، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

ومما قال ﷺ: ((إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ثلاثة متوالية وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد)).

واستمر ﷺ في خطبته قائلاً: ((أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً: حقكم عليهن أن لا يُوطئنَ أحداً فراشكم، ولا يُدخلنَ أحداً تكةروهن بيوتكم، وأن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرح، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً.

أيها الناس، إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لمؤمن من مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد، ولا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد)).

ثم قال ﷺ: ((أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم

وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟)) قالوا: نعم، قال: ((ألا فليبلغ الشاهد الغائب)).

ثم قال ﷺ: ((أيها الناس، إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارثٍ وصيةٌ في أكثر من ثلث)) ثم قال: ((والولد للفراش وللعاهر الحجر، ألا ومن ادَّعى لغير أبيه ومن تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرف ولا عدل))^(١).

فهذا ما انتهى إلينا من خطبته ﷺ في يوم عرفة، فعلينا أن نهتدي بهديه

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن واقد بن محمد عن أبيه بلفظ: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: ((ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: شهرنا هذا، قال: فأني بلد تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: بلدنا هذا، قال: ألا فأني يوم تعلمونه أعظم حرمة؟ قالوا: يومنا هذا، قال: فإن الله عز وجل قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلغت -ذلك ثلاثاً- كل ذلك يجيبونه نعم، فقال: ويحكم أو ويلكم لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)). وفي درر الأحاديث النبوية ((إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوع، وأول دم أضع دم ربيعة بن الحارث، وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانات الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي إن اعتصمتم به، كتاب الله وأنتم مسؤولون عنه، فما أنتم قائلون؟)) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة فرفعها إلى السماء وبطنها إلى الناس: ((اللهم اشهد ثلاثاً)). وقال المولى العلامة مجد الدين بن محمد المؤيدي في كتاب الحج والعمرة ما لفظه: قال في خبر الصادق عليه السلام: ((فسار رسول الله ﷺ...))، إلى قوله: ((حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصوى فرُحِّلَتْ له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: ((إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...)) إلى آخر الخطبة النبوية التي قرر فيها معالم الإسلام، وهدم قواعد الشرك والجاهلية، وحرم المحرمات التي أجمعت الملل على تحريمها، الدماء والأعراض والأموال وغير ذلك.

وَأَنْ نَسْلِكَ سَبِيلَهُ، وَأَنْ نَطِيعَهُ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى، فَ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.

ومن الجدير بنا حيث قد فاتنا حضور ذلكم الجمع المشهود - من الجدير بنا أن نقوم في هذه الأيام العظيمة عموماً وفي يوم عرفة خصوصاً بالتضرع إلى الله عز وجل، والإلحاح بالدعاء في أن يتجاوز عن سيئاتنا وأن يغفر لنا ويرحمنا، ومن الحق علينا أن نقدم لأنفسنا ما نستطيع من أعمال البر، من صيام وصدقات وذكر وشكر لله عز وجل، فعسى الله تعالى أن يشركنا معهم في الرحمة وأن يكتب لنا مثل ما كتب لهم ولعباده الصالحين، فقد أمرنا عز وجل بالدعاء ووعدنا بالاستجابة وهو تعالى لا يخلف الميعاد، كما أن علينا جميعاً أن نستصحب التوبة وأن نلازمها في بداية أمورنا ونهايتها، وفي سفرنا وفي إقامتنا وفي ليلنا وفي نهارنا، وفي حلنا وفي ترحالنا وفي جميع حالاتنا، ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((يا أبا ذر، إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين))^(١) وقام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه - أو ساقاه - فقليل له: يا رسول الله، أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ((أفلا أكون عبداً شكوراً))^(٢).

والزموا تكبير التشريق فإنه سنة مؤكدة بعد كل صلاة، ابتداء بصلاة الفجر يوم عرفة وانتهاء بصلاة العصر يوم رابع العيد، وهو أن يقول المصلي بعد التسليم: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر والله الحمد» وندب أن يقول بعد ذلك: «والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام» يكرر هذا التكبير والتهليل والتحميد ثلاث مرات بعد الفرائض والنوافل.

هذا، وقد روي أن رسول الله ﷺ كان لا يخرج للصلاة يوم عيد الفطر إلا

(١) أخرجه المؤيد بالله ﷺ في سياسة المريدين.

(٢) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أنس

بعد أن يتناول شيئاً من الطعام، وبالعكس في عيد الأضحى كان لا يتناول الطعام حتى يرجع من الصلاة^(١).

نسأل الله تعالى أن يسلك بنا سبيله وأن يقفو بنا أثره، وأن يتقبل منا أعمالنا وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، آمين رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ ثم أفيضوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٣٦﴾ [البقرة].



(١) روى الإمام أبو طالب في أماليه عن ابن بريده، عن أبيه، قال: ((كان رسول الله ﷺ لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم، ولا يطعم يوم النحر حتى يرجع)).

الخطبة الثانية عند قدوم يوم عرفة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي فضل يوم عرفة على سائر الأيام، وجعله موسماً لعنق الرقاب ومتجراً لنيل الإفاضات والمواهب الجسام، لا إله إلا هو يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، أحمده وأشكره على ما أفاض به من النعم الجزيلة الجليلة وأستغفره من جميع الذنوب.

وأشهد أن لا إله إلا الله المتفضل بجميل الهبات، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته، أيها المؤمنون، نحن في أيام مباركة عظيمة وهي أيام العشر التي أقسم الله بها في كتابه العزيز حين يقول: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝﴾ [الفجر]، وهي الأيام المعلومات التي حثنا على ذكره فيها حين يقول: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨].

أيها المؤمنون، ولقد أطل علينا يوم عظيم ووافد كريم، ألا وهو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة الحرام، وهو اليوم الموسوم بيوم عرفة، فضله الله على سائر الأيام، وجعله موسماً لعنق الرقاب ومغفرة الرب التواب، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال ((أفضل الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له)) (١).

أيها المؤمنون إن من أبرز خصائص الإسلام أنه رفع شأن الإنسان وأعز منزلته فجعله خليفة الخالق وسيد المخلوقات، يعمر الأرض والنفوس بال عمران وبالإيمان، وذلك حين شرفه بالفرائض وأمره بالتكاليف الشرعية، وأوجب

(١) تقدم تخريجه.

عليه الصلاة والصيام والحج وغيرها من الفرائض، وفريضة الحج من أجل الفرائض الشرعية، شرعها الله لتظل أمة حبيبه محمد ﷺ تحمل لواء التوحيد، وتجسد وحدة الإنسانية، وتحقق أسمى ما تصبو إليه البشرية من تطبيق التحرر والمساواة والعدالة والأمن.

ففي الحج أداء لحقوق الله وأداء لحقوق الناس وسياحة للبدن ومعراج للروح، وتوحيد لشتات الأمر، ونشر لكلمة التوحيد، وشاء الله سبحانه أن يجعل للناس حرماً آمناً وأرضاً للسلام يملأ ذكرها النفوس بالأمن والطمأنينة، جعل الله البيت الحرام قياماً للناس وأمناً، تفزع إليه النفوس الخائفة وتطمئن بجواره القلوب الواجفة، ولا ينحصر استشعار الأمن في ربوع هذا البيت في التخلص من مخاوف الحياة وحدها، بل فيه أمان للناس من الذنوب، فهو موضع للتوبة والرجوع إلى الله سبحانه، لذلك كرر القرآن آياته مؤكداً على قدسية هذا الحرم وأمنه ليحرر الإنسان من الخوف ومن محنه التي تطارده في كل العصور، فيقول الله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ﴾ [قرش]، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ ۚ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ويقول جل وعز: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، ويقول جل شأنه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، ويقول: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۚ﴾ [التين]، وفي القرآن الكثير الطيب من الآيات البينات التي تتحدث عن الأمن والسلام وحرمة الحياة وحرمة البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام؛ ليغرس في نفس الإنسان احترام الأمن وحب السلام، ويتشله من حضيض العبث والجريمة وسفك الدماء وظلم الأبرياء.

والحج رحلة الروح والبدن معاً وهجرة الإنسان إلى الله ووفادته عليه، وهو هجر للأهل والمال والملذات، واحتمال للمتاعب والمشاق حباً لله تعالى وشوقاً إليه، واستجابة لندائه حين يقول مخاطباً خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ

بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٧﴾ [الحج]، والحج عبادة مالية وبدنية.

وهدف الحج هذا هو هدف كل عبادة في الإسلام، ألا وهي الخلوص إلى الله سبحانه، وقطع النظر عما سواه في هذا الوجود، واتخاذ المعبود غاية في نشاط الإنسان وتوجهاته، ليمتلئ وجدانه بالحقيقة الكبرى، فيغدو متطهراً ومتجرداً عن كل شر ورذيلة، وهذه الغاية العظيمة شرع الله الحج واعتبره حقه على عباده فقال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

والحج ركن أساسي من أركان الدين، ودعامة متينة من دعائم الإيمان، وقد تكررت الآيات والأخبار النبوية الصريحة بأهمية الحج ومكانته عند الله فمن لم يكن قد أدى هذه الفريضة وهو مستطيع فعله أن يبادر نسأل الله التوفيق لذلك. وأن يمكننا من حج بيته الحرام وزيارة نبيه وأهل بيته الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

فنسأل الله تعالى أن يعجل الفرج، وأن يمكننا من زيارة تلك المشاعر المقدسة والتمتع برؤية البيت العتيق، وزيارة سيد الخلق محمد ﷺ، وأن يشركنا في دعاء عباده الصالحين إنه سميع مجيب.

ألا وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة عليه حين يقول عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥١﴾ اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين، خير خلق الله وخاتم رسل الله، وعلى أخيه ووصيه وباب مدينة علمه والإمام من بعده، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الشهيد الولي التقي أمير

المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين. اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين، واسلك بنا سبيلهم وخذ بنا منهاجهم، واحينا على سبتهم، وتوفنا على ملتهم يا كريم، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم يا ذا البهاء والمجد والكبرياء والحمد، صل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، خزنة علمك وحفظة دينك وخلفائك في أرضك وحججك على عبادك، صلاة تنتظم صلوات ملائكتك وأنبيائك، وبحقهم وبحق هذا اليوم العظيم وهذا الشهر العظيم، صل وسلم عليهم وأشركنا في دعاء عبادك الصالحين، ويسر لنا حج بيتك الحرام وزيارة حبيبك محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واحفظ وأيد شريعة سيد المرسلين، واهلك الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، وألف بين قلوب المؤمنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[دائرة في ذي الحجة]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الفاشي في الخلق فضله، الباسط فيهم بالجلود
نعمه، الذي ابتدع الخلق على غير مثال، فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه،
وإن كان صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة، ودلالته على المبدع قائمة، نحمده على
كل حال وفي كل حين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد، زاد مبلغ ومعاد
منجح، دعا إليها أسمع داع ووعاها خير واع، فأسمع داعيها وفاز واعيها.

وانظروا عباد الله إلى الدنيا نظر الزاهدين فهي عما قريب منتهى زائلة، لا
يرجع ما تولى منها وأدبر، ولا يدرى ما هو آت فيها فينتظر، سرورها مشوب
بالحزن، وغاية الناس فيها إلى الضعف والوهن.

فاتقوا الله عباد الله، والتقوى: هي أن تكونوا دائماً حيث أمركم الله ولا يراكم
حيث نهاكم، واذكروا إذا بلغ الكتاب أجله، وألحق آخر الناس بأولهم، وجاء من
أمر الله ما يريده من تجديد خلقه، فأمداد السماء وفطرها، وأرج الأرض وأرجفها،
وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضُها بعضاً من هيبة جلالته وخوف سطوته،
فأخرج من فيها وجددهم بعد خلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم، ثم ميزهم لما يريد
من مساءلتهم عن خفايا الأعمال وبواطن الأفعال، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا
عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم]، يشب أهل طاعته بجواره
ويخلدهم في داره، حيث لا تتغير بهم الحال، ولا تنوبهم الأهوال، ولا تنالهم
الأسقام في دار ﴿دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحِجَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، وينزل
العصاة في شر دار، تُغل أيديهم إلى الأعناق، وتقرن النواصي بالأقدام، لباسهم

سراويل القطران ومقطعات النيران، في عذاب قد اشتد حره، في نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة.

فشمروا عباد الله واغتنموا طاعة الله واحذروا سخط الله ونقمته، فأنتم في شهر عظيم فيه تقبل الأعمال ويستجاب الدعاء، ألا وهو شهر ذي الحجة الحرام، ونحن في العشر الأولى منه وهي أيام عظيمة الشأن عند الله، وهي العشر التي أتم الله بها ميقات كلمه موسى حين قال عز وجل: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وهي التي أقسم الله بها حين يقول عز وجل: ﴿وَالْفَجْرِ ١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ [الفجر]، وهي الأيام المعلومات التي أراد الله منا أن نذكره ونشكره فيها حين قال تعالى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨].

فاغتنموا طاعة الله واعبدوه حق العبادات وتوبوا إليه من الذنوب والخطايا، فقد جاء في فضل هذه الأيام عن رسول الله ﷺ أنه قال ما معناه: ((ما من أيام العمل الصالح يعمل فيها أحب إلى الله من هذه الأيام -يعني أيام العشر-)) قال: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ((ولا الجهاد إلا أن يخرج الرجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء))^(١)، وقال: ((ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إليه العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل))^(٢).

ونحن في استقبال اليوم التاسع منها وهو يوم الوقوف، يقف فيه الملايين من المسلمين في كل سنة يجتمعون في صعيد واحد، متخلين عن المظاهر الدنيوية ومتجردين عن أنواع الزينة، ليس على كل واحد إلا إزار ورداء، رافعين الأكف ومتضرعين إلى الله تعالى مقبلين عليه بقلوب منكسرة، وأصواتهم عالية مرتفعة بالتهليل والتحميد والدعاء وحسن الرجاء، ومقبلين عليه تعالى بضائر نقية مفعمة

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن ابن عباس.

(٢) تقدم تخريجه.

بصادق الأمر، متذكرين بجمعهم هذا اجتماع الخلائق في يوم الحشر والنشر، ومتذكرين ما يكون في ذلكم اليوم من الأهوال والفضائح، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء]، وفي كل لحظة يضجون بالتلبية، ليبيك اللهم ليبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

فأكثرُوا في ذلك اليوم من الدعاء والاستغفار والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة)) (١)، وعنه ﷺ أنه قال ما معناه: ((مرحباً بوفد الله ثلاث مرات، الذين إذا سألوا أعطوا، ويخلف لهم نفقاتهم في الدنيا ويجعل لهم في الآخرة مكان كل درهم ألفاً، ألا أبشركم؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنه إذا كان في هذه العشية أهبط الله عز وجل ملائكته فهبطوا إلى الأرض، فلو سقطت إبرة لم تسقط إلا على رأس ملك، ثم يقول: يا ملائكتي انظروا إلى عبادي شعثاً غبراً قد جاءوني من أطراف الأرض، هل تسمعون ما يسألون؟ قالوا: يسألونك أي رب المغفرة، قال: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم ثلاث مرات، فأفيضوا من موقفكم مغفوراً لكم ما قد سلف)) (٢).

ثم قال ﷺ: ((فما من يوم أكثر عتيقاً من النار من يوم عرفة)) (٣) وفي حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أذحر ولا أغضب منه في يوم عرفة؛ وما ذاك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله تعالى عن الذنوب العظام)) (٤).

فمن الجدير بنا وقد فاتنا حضور ذلكم الجمع المشهود أن نقوم بالتضرع إلى الله، والإلحاح بالدعاء في أن يتجاوز عن سيئاتنا وأن يغفر لنا ويرحمنا، وأن نقدم

(١) رواه الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام عن طلحة بن عبيد الله.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

(٤) تقدم تخريجه.

لأنفسنا ما استطعنا من أعمال البر من صيام وصدقات وأن نذكر الله تعالى ذكراً كثيراً، فعسى الله عز وجل أن يشركنا معهم وأن يكتب لنا مثلها كتب لعباده الصالحين فقد قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم فاجعل أفضل صلواتك وأسمى بركاتك على عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين، خير خلق الله وخاتم رسل الله، وعلى أخيه ووصيه وباب مدينة علمه والإمام من بعده، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الشهيد الولي التقي أمير المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين. اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين، واسلك بنا سبيلهم وخذ بنا منهاجهم، واحينا على سنتهم، وتوفنا على ملتهم يا كريم، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[دائرة في سبب الجذب وشحة الأمطار]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ من دونه إلهاً ولا ولياً، له الحمد في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلى وله الحمد في الآخرة والأولى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم ما تخفي النفوس وما تجن البحار وما توارى الأسرار، وما تغيظ الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ونبيه ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، قد بلغ رسالات ربه، وجاهد في الله حق جهاده، وعبد الله حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله والاعتصام بوثائق عراها، والمواظبة على رعايتها، فإن التقوى جنة حصينة وغنيمة مغتومة، اتقوا الله الذي لا تنفد منه نعمة ولا تفقد له رحمة، الذي رغب في التقوى وزهد في الدنيا وحذر من المعاصي، اتقوا الله الذي تعزز بالبقاء وذلل خلقه بالموت والفناء، فأطيعوا الله فيما فرض عليكم وأمركم به من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم شهر رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجنبوا ما نهاكم الله عنه من قذف المحصنات وإتيان الفاحشات.

واذكروا من فارق الدنيا ولم يأخذ منها فكاك رهنه ولا براءة أمنه، خرج منها سليباً محسوراً يدعو بالويل والثبور، لا يُرحم دعاؤه ولا يُقتر عنه من عذابها كذلك يجزي الله كل كفور.

أيها الناس، إن الله تعالى يبتلي عباده عند الأعمال السيئة والمعاصي الكثيرة بنقص الثمار وقلة الأمطار، وسلب الخيرات وحبس البركات؛ ليتوب تائب وينوب منيب.

واعلموا عباد الله أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عنه: ((خمس بخمس)) قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس؟ فقال: ((ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر))^(١).

وعنه ﷺ: ((إن بخس المكيال حبس المطر))^(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وفي الأثر عن رسول الله ﷺ: ((إن الحبارى - وهو نوع من الطيور - لتموت هزلاً بذنب بني آدم))^(٣)، وعن بعض العلماء في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾^(٤) [البقرة]، قال: هم دواب الأرض تلعن الناس يقولون: نُمْنَعُ القطر بخطاياهم.

وروي عن رسول الله ﷺ: ((إذا أكل الربا؛ كان الخسف، وإذا جار الحكام، منع القطر، وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا فشا الزنا كثر الموت))^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن النبي ﷺ قال: ((إذا جار الحكام هلكت البهائم في الصحاري))^(٥).

فعليكم عباد الله بالاستقامة على أوامر الله وطاعته فيما أمر ونهى، فربنا يقول: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن]، وعليكم بتقوى الله فالله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف].

(١) ذكره الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة في الديباج الوضي.

(٢) رواه الأمير الحسين في شفاء الأوام عن عبد الله.

(٣) ذكره الأمير الحسين في كتاب شفاء الأوام عن أنس.

(٤) رواه الإمام الموفق بالله في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين.

(٥) رواه الإمام الموفق بالله في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

ألا وصلوا وسلموا على نبيكم الكريم وآله الطاهرين كما أمركم الله تعالى في قوله عز شأنه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب]، وأي يوم أفضل في تكريرها والإكثار منها من يوم الجمعة كما قال ﷺ: ((أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن الأعمال تضاعف فيه))^(١).

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين، خير خلق الله وخاتم رسل الله، وعلى أخيه ووصيه وباب مدينة علمه والإمام من بعده، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الشهيد الولي النقي أمير المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين. اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين، واسلك بنا سبيلهم، وخذ بنا منهاجهم، واحينا على سنتهم، وتوفنا على ملتهم يا كريم، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا عدواً إلا أهلكته، ولا ظالماً إلا قصمته ودمرته، ولا ضالاًً إلا هديته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا تفضلت علينا بقضائها يا أكرم المسؤولين.

(١) رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب الأحكام

اللهم وانصر الحق وأهله، واخذل الباطل وحزبه، ودمر أعداء الدين، اللهم عليك بأعداء الإسلام والمسلمين، اللهم اخذلهم وشتت شملهم وفرق جمعهم ومزق وحدتهم. اللهم وأقم شريعة سيد المرسلين واكسر شوكة الظالمين وألف بين قلوب المؤمنين. اللهم صل وسلم على محمد وآله، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مدراراً هنيئاً مباركاً فيه، اللهم اسق البلاد وارحم العباد واهدنا إلى سبيل الرشاد، واستجب لنا دعاءنا فإنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة وأنت لا تخلف الميعاد.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١١)
 ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(١٢) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١٣).



دائرة عامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الملك الحق، العليم بما جل من الأمور وما دق، الحمد لله الذي ستر لعبيده الذنوب، ونور بصائر المتقين وأصلح لهم القلوب، ويسر للراغبين إليه والطالبين لديه كل مطلوب، أحمده كما يجب من شأنه، وأشكره على إحسانه وفضله وامتنانه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أتبوأ بها في الجنة غرماً. وأشهد أن محمداً عبده المجتبي ورسوله المصطفى صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام الخنفاء.

أيها الناس رحمكم الله وإياي، اعلموا أن خير الزاد التقوى فلازموه، وأطيعوا الله ولا تخالفوه، واثمروا بينكم بالمعروف وافعلوه، وتناهوا عن المنكر واتركوه، واعبدوا الله حق عبادته واسترشدوه، واقتدوا بسنة نبيكم الأمين، واعبدوا الله حتى يأتىكم اليقين، فإنه خلقكم لعبادته، وأمركم أن تقفوا تحت إرادته. فاتقوا الله أيها العباد وقوموا بجميع الواجبات، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واجتنبوا المحرمات، ولا تغرنكم زخارف الدنيا فإنما هي خيالات، ولا تلهينكم شهواتها عن الآخرة، فالمؤمل غيب وما مضى فات، واعلموا أن الآخرة هي دار الإقامة، وأن ما توعدون لآت.

فما مثل ابن آدم في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، كما أخبر بذلك النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأتم التسليم، فإنه لما نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه فقيل له: لو اتخذت يا رسول الله، فراشاً أوثر من هذا؟ فقال ﷺ: ((مالي وللدنيا؟ ما للدنيا ولي؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ثم راح وتركها))^(١).

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن ابن عباس.

أيها المؤمنون، فاقتدوا بنبيكم الأمين، واهتدوا بهدي الصالحين، وانهجوا نهج المتقين، واعتصموا بكتاب الله المبين، فقد أبان لكم فيه الحلال والحرام، وأوضح فيه الأحكام، وأوصله إليكم بواسطة أكرم عباده عليه، نزل به الروح الأمين المكين لديه فالتمسوا فيه الهدى فهو دليلكم إلى مرضات رب العالمين.

هذا، وصلوا وسلموا على النبي الأمين وعترته الميامين، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك أبي القاسم، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الغراء سيدة نساء العالمين، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وعلى الإمام الولي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين. وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اغفر لنا يا كريم، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا عسراً إلا يسرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا قضيتها يا كريم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف بين قلوب المؤمنين.

اللهم واسقنا الغيث وأمننا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي إليه مصير الخلق وعواقب الأمور،
الحمد لله العزيز الغفور، الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات
والنور، نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه ونوامي فضله وامتنانه، حمداً
يكون لحقه قضاء ولشكره أداء، حمداً يكون إلى ثواب الله مقرباً ولحسن مزيده
موجباً، ونستعين به استعانة الراجي لفضله والمؤمل لنفعه والواثق بدفعه، حمد
معترف له بالطول ومذعن له بالعمل والقول، ونؤمن به إيمان من رجاه موقناً،
وأناب إليه مؤمناً، وخضع له مدعناً، إيمان من أخلص له موحداً وعظمه ممجداً،
ولاذ به راغباً مجتهداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً
عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار، المصطفين الأخيار
الصادقين الأبرار.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فمن يتق الله يكفر عنه سيئاته
ويعظم له أجراً، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء]،
تعاهدوا أمر الصلاة وتحفظوها، وحافظوا عليها واستكثروا منها، وتقربوا إلى
الله بها فهي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما أخبرنا الله عز وجل إذ يقول:
﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت]، فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى
جواب أهل النار حين سئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [١٢] قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ
الْمُصَلِّينَ [١٣] وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ [١٤] [المدثر].

وإن الصلاة لتحثُّ الذنوب حتّ الورق، وقد شبهها رسول الله ﷺ

بالحمة^(١) تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها كل يوم خمس مرات فماذا عسى أن يبقى عليه من الدرّن؟

وقد عرّفها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرّة عين من ولد ولا مال، ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور].

ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام، فمن أعطاهها طيب النفس بها فإنها تُجْعَلُ له كفارة ومن النار حجاباً ووقاية، ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها، إنها عرضت على السماوات والأرض والجبال ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب ٧٢].

فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واسعوا بجِد وإخلاص إلى تحصيل مرضاة الله، وكونوا في الله إخواناً، وعلى الحق والبر أنصاراً وأعواناً، وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله وتراحموا فيما بينكم فالراحمون يرحمهم الرحمن.

وصلوا أرحامكم وأيتامكم ومساكينكم، وأديموا ذكر الله في جميع حالاتكم، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون.

وحافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، واعتصموا بحبل الله المتين؛ كتاب الله المبين، وعتره خاتم المرسلين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم صل وسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله، سيد الأنبياء وإمام

(١) الحَمَّة: العين الحارة يستشفى بها الأعلاء والمرضى، وفي الحديث: ((العالم كالحمة)). مختار الصحاح.

المرسلين محمد بن عبدالله الصادق الأمين، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين، أشجع طاعن وضارب، مولانا علي بن أبي طالب، وعلى زوجته سيدة النساء وخامسة أهل الكساء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين والسيدتين الشهيدين أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي، ذي الشرف العلي والنهج الواضح الجلي، أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين.

وصل اللهم على الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم إنا نتوب إليك من الذنوب التي تهتك العصم، ونتوب إليك من الذنوب التي تنزل النقم، ونتوب إليك من الذنوب التي تزيل النعم، ونتوب إليك من الذنوب التي تورث السقم.

اللهم إنا نتوب إليك من الذنوب التي تحجب الدعاء، ومن الذنوب التي تنزل البلاء، ونتوب إليك من الذنوب التي تمنع قطر السماء.

اللهم فصل وسلم على محمد وآله واقبل منا التوبة وامح الحوبة، وتجاوز عن الخطايا، وارحم من ليس له ناصر سواك يا أرحم الراحمين.

اللهم صل وسلم على محمد وآله، اللهم عليك بأعداء الإسلام وأعداء المسلمين وأعدائهم وأشياعهم، اللهم اخذهم وشتت شملهم، وفرق جموعهم، ومزق صفوفهم ووحدتهم، ورد كيدهم في نحورهم، اللهم سلط بعضهم على بعض، وسلط عليهم جميعاً من لا يرحمهم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، اللهم اخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، اللهم انصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف بين قلوب المؤمنين، اللهم فرج عن الإسلام والمسلمين يا رب العالمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، ولا من رحمتك آيسين ولا تهلكنا بالسنين، وأدخلنا في رحمتك فأنت أرحم الراحمين.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين رب العالمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله مبتدع البرايا بلا ظهير ولا معين ولا وزير، خلق الخلق لا لأنس من وحدة، ولا لتكثر من قلة، ولا لتعزز من ذلة، خلقهم لا لخوف من نازلة، ولا لفاقة إلى فائدة. ابتداء خلقه بالرأفة والرحمة، ودلهم على النجاة والسلامة والعصمة، فله الحمد تعالى في الليل إذا يغشى وفي النهار إذا تجلى وله الحمد في الآخرة والأولى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي حسرت عنه الأبصار، وكلت عن الدنو إليه الأنظار، وصغرت عن الإحاطة به الأفكار. وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله الأمين على وحي الله، ومرشده الناصح لعباد الله، الذي نزل عليه الكتاب بالحق اليقين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإن خير الزاد التقوى، وأوصيكم ونفسي بالتزام الصدق دائماً وأبداً؛ فالصدق من أجل الفضائل، حكم لم يختلف في صحته عاقل، ولم يخالف في هذا الحكم نظام.

أما الشرائع السماوية فإن وجوب الصدق هو الحكم الأول من أحكام كل شريعة، إن الله عز وجل لم يبعث نبياً من أنبيائه إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة، والصدق أهم القواعد التي يقوم عليها بناء المجتمعات، وتتظم بها وحدات الأمم، فأبي بناء يبقى للمجتمعات وأية وحدة تبقى للأمة إذا انهارت دعامة الصدق بين أفرادها، وفقدت الثقة من كل قائل؟ فكيف يتعامل الناس بغير الصدق، وكيف يوثق بعلم العالم وعدل الحاكم وإنصاف الرعية بغير الصدق!!؟

فالصدق في القول دليل على رقي الأمة إذا كان أفرادها ملتزمين بالصدق قولاً، قال الصادق عليه السلام: «من صدق لسانه زكي عمله».

أما الصدق في العمل فإنه كذلك من أشرف الأخلاق الفاضلة، والصدق في العمل هو الإخلاص، والمخلص في عمله: هو الذي يطلب بالعمل غايته الصحيحة، ولذلك يقال: «الإخلاص في العمل أشد من العمل»، وعكس المخلص هو المرائي، وهو الذي يغير وجه العبادة ذريعة لتحصيل الجاه، ويطلب بها المنزلة عند الناس، فهو يعبد الناس بعبادة الله، ويجعل الدين سُلماً لأهوائه وأغراضه، والله يقول: ﴿لَيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وهو الخالص لله وحده الذي لا يريد العامل به إلا وجه الله والزلفى لديه، ولا يريد أن يحمدّه عليه أحد من الخلق.

ومن الإخلاص في العمل أن يكون ظاهر الإنسان موافقاً لباطنه، فلا يقول ما لا يعمل، ولا يعمل ما لا يعتقد، ولا يعتقد غير الحق، فيكون للحق سره وجهه، وللفضيلة قوله وعمله.

ومن الصدق في الأقوال والأعمال الوفاء، فوفاء الإنسان برهانه ثباته على المبدأ، ودليل ثقته بنفسه؛ لأن ضعف الإرادة لا يمكنه أن يفي بشيء إلا نادراً، وفي الأثر: ((عدة المؤمن دين، وعدة المؤمن كالأخذ باليد))^(١)، إذا وعد الإنسان بعدة فقد رهن شرفه وحبس مروءته بهذا الميثاق، فإذا أخلف بوعده فقد عرض شرفه للثلم، وعرض مروءته للانتقاص، وقد ينتحل الأعداء الكاذبة ليسد بها هذا النقص فيضم إلى خلف الوعد جريمة الكذب التي هي منافية للإيمان كما نص عليها القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ١٠٥].

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمركم بالصلاة

(١) قال الإمام محمد الدين المؤيدي رحمه الله تغشاه في كتابه لوامع الأنوار: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن علي (عليه السلام)، ورواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان في كتابه المسمى بالمجموع المنصوري عن الإمام علي (عليه السلام) بلفظ: ((عدة المؤمن كأخذ بالكف)).

والسلام عليه فقال عز شأنه : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم اجعل أفضل صلواتك وسلامك وتحياتك على خيرة الخيرة وصفوة الصفوة سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك محمد بن عبدالله الصادق الأمين. وصل اللهم على أخيه ووصيه وباب مدينة علمه إمام البررة ومبيد الفجرة أبي الأئمة الأطايب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديها الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة، أمير المؤمنين أبي محمد الحسن، وأمير المؤمنين أبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي، أمير المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محبي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وصل اللهم على أهل بيت نبيك أجمعين، وأجزهم أفضل ما جزيت به أنبياءك ورسلك، وأسكنهم غرفات الجنان واجعلنا متبعين لهم بإحسان، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين ويا ذا القوة المتين ويا غوث المستغيثين صل وسلم على محمد وآله ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همأً إلا فرجته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً مؤمناً إلا رحمته، ولا طفلاً إلا ربيته وهديته ومن علمك منحتة، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا تفضلت بقضائها يا كريم.

اللهم إليك رفعت الأبصار، وأفضت القلوب، ودعيت بالألسن، وتحوكم إليك

في الأعمال، نشكو إليك غيبة نبينا وقلّة عددنا وكثرة عدونا وتظاهر الفتن وشدة الزمن، فأغننا اللهم بفتح تعجله، ونصر تعزّبه وليك، وسلطان حقّ تظهره إله الحق والخلق.

اللهم اسقنا الغيث المدرار، وبارك لنا في الزرع والثمار، وقنا شر طوارق الليل والنهار، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف بين قلوب المؤمنين.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وآخرتنا التي إليها معادنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق العباد لغير خوف من نازلة ولا لحاجة إلى فائدة، وإنما خلق العالم بما فيه إظهاراً لقدرته، ودلالة على وحدانيته وإبانة لقوته وعزته ومجده وربوبيته، خلق ما خلق وجعل ما جعل، دلائل تدل عليه وتهدي من أناب من عبيده إليه؛ إذ لا تراه عيون الناظرين ولا تبلغه أوهام المتوهمين، ولا سبيل إلى ما يستدل به عليه -جل ثناؤه وتقدست أسماؤه- إلا بالنظر إلى آثار صنعه ومصاييح دلائله، فسبحانه من إله حكيم لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وأشهد أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده الذي اصطفاه، ورسوله الذي ارتضاه وائتمنه على وحيه صلى الله وسلم عليه وعلى آله الصادقين الأبرار الطيبين الأخيار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وإيثار طاعته، نتواصى بالحق وإيثاره على الباطل، فالحق طريق الجنة والباطل طريق النار.

ألا وإن على كل طريق داعياً يدعو إليه، فمن أجاب داعي الحق قاده إلى الجنة، ومن أجاب داعي الباطل ساقه إلى النار.

واعلموا أن الداعي إلى الحق كتابُ الله المبين وعترَةُ خاتم المرسلين، وقد أرشدنا الله تعالى إلى ذلك حيث يقول: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [يونس: ٣٥]، جاء في التفسير أنها نزلت في علي عليه السلام.

ثم كذلك قد أرشدنا رسول الله ﷺ إذ يقول: ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(١)

(١) رواه الإمام الهادي عليه السلام في كتاب الأحكام.

وأيضاً يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة]، يقول المفسرون: إنها نزلت في أهل بيت رسول الله ﷺ.

ألا واعلموا بأن الداعي إلى الباطل هو الشيطان عدوكم الذي أخرج أبويكم من الجنة، عدوكم الذي أقسم بعزة الله ليغوينكم أجمعين لما طرده الله من رحمته، وقد أرشدنا الله إلى أن الشيطان هو الداعي إلى طريق النار، وأنه عدو بني آدم فقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر].

فعليكم أيها المؤمنون أن تطيعوا الله ورسوله، فمن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم اجعل أفضل صلواتك وسلامك وتحياتك على خيرة الخيرة وصفوة الصفوة، سيدنا ومولانا محمد عبدك ورسولك الصادق الأمين.

وصل اللهم على أخيه ووصيه وباب مدينة علمه، إمام البررة ومبيد الفجرة، أبي الأئمة الأطايب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديها الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة، أمير المؤمنين أبي محمد الحسن، وأمير المؤمنين أبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي، أمير المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محبي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وصل اللهم على أهل بيت نبيك أجمعين، وأجزهم أفضل ما جزيت به أنبياءك ورسلك، وأسكنهم غرفات الجنان واجعلنا متبعين لهم بإحسان، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة

والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.
 اللهم يا أول الأولين، ويا آخر الآخرين، ويا ذا القوة المتين ويا غوث المستغيثين،
 صل وسلم على محمد وآله، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.
 اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا مريضاً
 إلا شفيته، ولا ميتاً مؤمناً إلا رحمته، ولا طفلاً إلا ربيته وهديته ومن علمك
 منحتة، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا
 تفضلت بقضائها يا كريم.

اللهم إليك رفعت الأبصار وأفضت القلوب، ودعيت بالألسن وتحوكم
 إليك في الأعمال، نشكو إليك غيبة نبينا وقلة عددنا وكثرة عدونا وتظاهر الفتن
 وشدة الزمن، فأغثنا اللهم بفتح تعجله، ونصر تعز به وليك، وسلطان حق
 تظهره إله الحق والخلق.

اللهم اسقنا الغيث المدرار، وبارك لنا في الزرع والثمار، وقنا شر طوارق الليل
 والنهار، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل
 الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف
 بين قلوب المؤمنين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله،
 وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[دائرة عامة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا لحمده وجعلنا من أهله لنكون من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين، الحمد لله الذي حبانا بدينه، واختصنا بملته، وبين لنا سبل إحسانه؛ لنسلكها بمنه إلى رضوانه، حمداً يتقبله منا، ويرضى به عنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله فإن خير ما نتواصى به هي التقوى، فلتتق الله في عاجل أمرنا وآجله، وفي السر وفي العلانية، فإن تقوى الله تقينا مقته وعقوبته وسخطه، وإن التقوى تبيض الوجوه وترضي الله وترفع الدرجات، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً.

((أيها الناس، إن العبد بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه، فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار))^(١).

أيها الناس علينا أن نحاسب أنفسنا في كل حين، فالعمر رأس مال العبد فلا يترك رأس ماله يذهب هدرأً، فاتقوا الله الذي إليه تحشرون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، علينا أن نفكر في عواقب أمورنا فنحن عما قريب راحلون من هذه الحياة الزائلة.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمركم بالصلاة

(١) رواه الإمام الموفق بالله في الاعتبار عن أبي بكر الهذلي عن الحسن، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ ... الحديث.

والسلام عليه فقال عز قائلًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٥٦﴾.

اللهم صل وسلم على عبدك المجتبي ورسولك المصطفى، سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده، سيد الوصيين وإمام المتقين أبي الأئمة الأطايب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وعلى الإمام الولي التقي المجاهد الشهيد الزكي، ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي، أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين، دعاة منهم ومقتصدين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين المخلصين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يارب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وفرج عن الإسلام والمسلمين، اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، ولا من رحمتك آيسين ولا تهلكننا بالسنين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿١٠﴾.



دائرة عامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي وسع كل شيء علمه، ونفذ في كل مصنوع قضاؤه وحكمه، وعم جميع العباد عفوه وحلمه، الذي يختص بالحكمة من شاء من أوليائه، ويختار لها المخلصين من أصفیائه، نعمة منه وفضلاً كبيراً، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فهو الحكيم الخبير، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، المخصوص من الحكمة بأفصحها لساناً، وأوضحها دلالة وبياناً، وأظهرها حجة وسلطاناً، نبي الرحمة والمؤيد بالمهابة والعصمة، الكاشف لغياب الظلمة حتى أشرقت أحكام الإيمان، وبسقت أعلام القرآن، ونطقت الألسنة مخلصمة بتوحيد الرحمن، وزهقت أباطيل الضلالة والبهتان، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفاهم لورثة الكتاب، وحباهم بالنصيب الأوفى من الثواب، وجعلهم للأمة هداة وأعلاماً، وبأحكام الدين قواماً وحكاماً، وألزمنا أن ندعو لهم في كل يوم وليلة خمس مرات؛ دلالة على أنه راض عنهم وأنهم على الحق ومع الحق.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن تقوى الله عروة ما لها انفصام، وذروة ما لها انهدام، من تمسك بها كفته محذور العاقبة، ومن حققها وألزم نفسه بها كفته شرور كل نائبة.

فاتقوا الله وشمروا في السعي إلى مرضات الملك الكريم، واغتنموا ما استطعتم عمله من طاعة الإله العظيم.

ألا وصلوا وسلموا على من أمر الله بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلاً كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على أفضل خلق الله سيدنا محمد بن عبدالله وآله الأبرار،
 وخص منهم أخاه ووصيه وخليفته على أمته، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي
 بن أبي طالب، وزوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة فاطمة الزهراء
 البتول، وصل اللهم على ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة
 أجمعين، أبي محمد الحسن، وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي أمير
 المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق
 القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة
 الهدى والدين دعاة منهم ومتقصدين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين،
 وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين، وعن التابعين لهم
 بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم اهد أمة محمد أجمعين، واصرف عنا من يريد أذانا في دنيانا والدين،
 اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، ودمر أعداءك أعداء
 الدين، وانصر اللهم وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وألف
 بين قلوب المؤمنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اسقنا الغيث، وأمنا من الخوف، ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا
 بالسنين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات،
 وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
 العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل
الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمد لله الذي جعل ما خلقه
عليه دليلاً، وجعل ما صنعه إلى معرفته سبيلاً، الحمد لله الذي تعالى عن المشاهدة
والإدراك وتنزه عن المشابهة والإشراك، الحمد لله الذي دل بعجائب صنعته على
تفرد، واستشهد بواضح الحكمة على وحدانيته، وقال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لَوْ
كَانَ مَعَهُ إِلَهٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [١٦] سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ [الإسراء]، نحمده ونؤمن به ونستهديه.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً
عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد، فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فمن يتق الله يجعل له
فرقاناً، يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل؛ ليعمل بالحق ويرفض الباطل، ومن يتق الله
ينور الله قلبه ويشرح له صدره فهو يقول: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [١] وَيَرْزُقْهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق].

ونتواصي بطاعة الله عز وجل، وبلزوم أوامره واجتناب نواهيه، ونتواصي
بالاعتصام بحبل الله المتين، يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

نتواصي بعمارة قلوبنا بذكر الله وجوارحنا بشكر الله، فالله يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ونتواصي بالمحافظة على ما أبان
الله لنا في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله العظيم محمد ﷺ من فرائض الله
وسننه، التي لا يسعد الإنسان إلا بإقامتها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها.

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين، واجعلوا
الستكم دائماً رطبة بذكر الله فإنه أحسن الذكر .

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة
والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك
ورسولك حبيب الحق وسيد الخلق نبي الرحمة محمد بن عبدالله بن عبد المطلب،
وعلى أخيه ووصيه وباب مدينة علمه، الإمام من بعده، مولانا أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، فاطمة الزهراء البتول،
وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين، السبطين الشهيدين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله
الحسين، وعلى الإمام الولي التقي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي، مولانا
زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محبي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم
والصراط المستقيم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم
من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين.

اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين وعلى من يستحق الصلاة من
المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا يا خير الغافرين، وتب علينا يا خير التوابين، وأدخلنا في
رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته، ولا
عسيراً إلا يسرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته،
ولا طفلاً إلا ربيته وأصلحته، ولا ضالاًً إلا هديته، ولا ظالماً إلا قصمته ودمرته
يا رب العالمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم انصر الحق والمحقين واخذل الباطل
والمبطلين، وعليك بأعداء الإسلام وأعداء المسلمين، اللهم دمر اليهود

والنصارى ومن أعانهم يا رب العالمين، اللهم اخذهم وشتت شملهم وفرق
جموعهم، اللهم مزق صفوفهم ووحدتهم، وخذهم أخذ عزيز مقتدر، واكف
الإسلام والمسلمين شرهم وضرهم وأذاهم، وسلط بعضهم على بعض وسلط
عليهم جميعاً من لا يرحمهم.

اللهم ودمر أعداء الدين أجمعين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين وألف
بين قلوب المؤمنين.

اللهم اسق البلاد وارحم العباد، ودمر أهل الشرك والفساد، وكن لمن وإلى
أعدائك وعادى أوليائك بالمرصاد.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك
آيسين، واقبلنا وتقبل منا يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله
الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا للإسلام وأكرمنا بالإيمان، الحمد لله الذي بصّرنا بالدين وشرّفنا باليقين، الذي له في كل صنف من غرائب فطرته وعجائب صنعته آية بينة توجب له الربوبية والوحدانية، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بصفات الكمال، المنزه عن صفات النقصان، العدل في الأقوال والأفعال، الواحد الأحد الديان، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته في السر وفي العلانية، وأوصيكم بالخوف من الله في الغيب والمشهد، تعرضوا لركة القلوب بكثرة الذكر في الخلوات، واستجلبوا أنوار القلوب بدوام الحزن، وتحصنوا من الشيطان بالخوف الصادق، وإياكم والرجاء الكاذب فإنه يوقع المتمسك به في الخوف الصادق، تزينوا إلى الله بالصدق في أقوالكم وأعمالكم، وتعرضوا لرحمته وعفوه بحسن المراجعة، واستعينوا على حسن المراجعة بخالص الدعاء والمناجاة في الظلم.

واستجلبوا زيادة النعم بعظيم الشكر فالله يقول: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم].

افزعوا إلى قوام دينكم بإقام الصلاة لوقتها، وإيتاء الزكاة في محلها وحينها، وبالتضرع إلى الله والخشوع، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وبخوف المعاد، وإعطاء السائل، وإكرام الضيف، وتعلم القرآن والعلم النافع والعمل بذلك، وصدق الحديث، والوفاء بالعهد والوعد، وأداء الأمانة، وارغبوا في ثواب الله، واخشوا سطوة الله وعذابه، واتقوا الله الذي إليه تحشرون، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم فصل وسلم على عبدك ورسولك وخيرتك من خلقك الذي اخترته للرسالة وتبليغ المعالم، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين مولانا علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، خامسة أهل الكساء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، وعلى الإمام الولي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محبي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين.

وارض اللهم عن الراشدين المتقين المستقيمين الصابرين من الصحابة والتابعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات. اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا رزقاً إلا سهلته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا ظالماً إلا قصمته.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين -ثلاثاً- اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، اللهم عليك بأعداء الإسلام وأعداء المسلمين، اللهم اخذهم وشتت شملهم، اللهم فرق جمعهم، ومزق صفوفهم ووحدتهم، وخذهم أخذ عزيز مقتدر، واكف الإسلام والمسلمين شرهم وضرهم وأذاهم يا رب العالمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، ولا من رحمتك
 آيسين ولا تهلكنا بالسنين، اللهم اقبلنا وتقبل منا وعافنا واعف عنا، واختم لنا
 بالحسنى، واجمع لنا خير الآخرة والأولى يا رب العالمين.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين رب العالمين، وآخر
 دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
 الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، نحمده على كل حال وفي كل حين.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قريب ممن دعاه، ومحجب لمن ناداه، بر بمن لجأ إلى ظله واعتصم بحبله، لا تراه العيون ولا يعزب عنه حركة ولا سكون.
ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، بعثه نبياً وأرسله إلى كافة الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد، فيا عباد الله نتواصى بتقوى الله وطاعته، واعلموا أن للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً كثيرة يجب أن تراعى، منها: أن يحب لأخيه المؤمن ما يحبه لنفسه، وأن يكره له ما يكره لنفسه، وأن لا يؤذي أحداً بقول أو فعل، فرسول الله ﷺ يقول فيما روي عنه: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرى لأخيه المؤمن ما يرى لنفسه، ويكره له ما يكره لها))^(١).

ويقول ﷺ: ((المسلم من سلم الناس من يده ولسانه))^(٢).
((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون وصولاً، ولا يكون مسلماً حتى يسلم الناس من يده ولسانه))^(٣).

ومن الحقوق التي يجب أن تتبادل بين الناس: كف اللسان عن ذكر عيوب

(١) ذكره الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى عليه السلام في تكملة الأحكام ثم قال بعد ذكره: أو كما قال.

(٢) روى الحديث كاملاً الإمام الهادي الحسن بن يحيى بن علي القاسمي في كتاب المواظ الشافية.

(٣) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن عبد الله بن مسعود.

الآخرين، وكنتم أسرارهم، والنصيحة لهم وتخويفهم إذا هموا بارتكاب المعاصي، ففي الأثر: ((المؤمن مرآة أخيه)) يعني: أنه يرى منه ما لا يرى من نفسه.

وكذلك من الحقوق المندوبة: الدعاء من المؤمن لأخيه بظهر الغيب، ومحاولة الإحسان إلى كل من يقدر على الإحسان إليه، واصطناع المعروف إلى الناس، ففي الأثر: ((اصطنع المعروف إلى من هو أهله، وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت أهله))^(١).

ومن الحقوق أيضاً: الاحترام للكبير، والرحمة بالصغير، ومحاولة الصلاح والإصلاح بين الناس مهما وجد إلى ذلك سبيلاً، ومن ذلك المحاولة والسعي في قضاء حاجة المحتاجين.

ثم إن على المسلم أن يتجنب مواضع التهم، ولو لم يكن ذلك إلا لصيانة قلوب الناس عن سوء الظن به، ولألستهم عن غيبته.

والحقوق بين الناس لبعضهم البعض كثيرة، والجملة الجامعة أن لا تستصغر أحداً من أهل الدين حياً أو ميتاً، وأن لا تعظم أهل الدنيا لأجل دنياهم، أو تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم، وكن سميعاً للناس في حقهم لا في باطلهم، واحذر مجالسة السفهاء والحمقى من الناس، وكن حريصاً على مجالسة أهل الدين، واطلب مؤاخاة المتقين، فالأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٥٦)، اللهم صل وسلم على المختار للرسالة وتبليغ المعالم، سيدنا ونبيئنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته سيدة النساء وخامسة أهل الكساء فاطمة البتول

(١) رواه الإمام الهادي يحيى بن الحسين في الأحكام.

الزهاء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين السيدين الشهيدين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي المجاهد التقى أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم وإلى الصراط المستقيم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين، دعاة منهم ومقتصدين.

اللهم صل على أهل بيت محمد أجمعين، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين. اللهم اغفر لنا يا خير الغافرين، وتب علينا يا خير التوابين، وأدخلنا في رحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا دعاءً إلا أجبته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا ضالاًً إلا هديته، ولا ظالماً إلا قصمته.

اللهم عليك بأعداء الإسلام والمسلمين، دمر اليهود والنصارى وأعوانهم، اللهم أهنهم ولا تكرمهم، اللهم أذلهم ولا تعزهم، اللهم انكس رايتهم، واكسر شوكتهم، اللهم خالف بين قلوبهم وآرائهم حتى يتنازعوا فيفسلوا وتذهب ريحهم. اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، واحفظ شريعة سيد المرسلين بالعلماء العاملين يا رب العالمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك آيسين ولا تهلكنا بالسنين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[دائرة عامة]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله العدل الحكيم، الحمد لله الواحد الفرد
الصمد العظيم، اللهم لك الحمد على حلمك بعد علمك، ولك الحمد على
عفوك بعد قدرتك، ولك الحمد على كل حال وفي كل حين.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة واقية من عذاب الجحيم،
وقائدة لقائلها إلى دار الخلد والنعيم.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده النبي الكريم، ورسوله الرؤوف
الرحيم الحليم، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار الأبرار وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد،

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، وأحسنوا في الله الرجاء،
وليشئتد خوفكم من الله فإن من خاف شيئاً نأى عن أسبابه، وإن من رجا شيئاً تمسك
بأطنابه وإلا فإن رجاءه كاذب وخوفه باطل، فكيف رجائك يا ابن آدم وقد أعرضت
عن القيام بأوامر الله عز وجل؟ أم كيف خوفك من الله وأنت متردد بين زواجه،
فكأنك وقد كشف الغطاء ووافاك الفناء وعانيت ما تستحقه، واقتص منك لكل ذي
حق حقه، فلا أنت في حسناتك بزائد، ولا أنت إلى دار التكليف بعائد، فإن كنت من
أهل السعادة فلك كل ما تشتهييه وكل ما تتمناه وتبتغيه، يقول ربنا عز وجل: ﴿وَفِيهَا
مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف].

وإن عدل بك إلى النار -والعياذ بالله- فيا ويلك من غضب الجبار، ومجاورة
الأشرار من الفسقة والظلمة والكفار، فكم من مصائب هنالك حلت، وكم من
نقمات هنالك عظمت وجلّت، وإن ذلك ليسير، مع أنه كثير في جنب التأبید
والتخلید ببقاء الواحد الحميد المجيد، فكيف يذهل عن هذا إنسان عاقل؟!
أم كيف يغفل عنه ذاهل غافل؟! وهو في اليقين رأي العين، فما ظنك يا ابن آدم

بدار قد سُلِبَتْ منها الرحمة وفقدت عنها كل نعمة، وأحاطت بأهلها كل مصيبة ونقمة، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ [الزمر: ١٦]؛ لأنهم اختاروا نعيم الدنيا ورضوا بالراحة في الدار الأولى.

ولأنهم تركوا شكر الله واعتمدوا على كفره، فأحاطت بهم الخطيئات ووقعوا في الهلكات، فاشتد بكاءؤهم وكثر نداءؤهم: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [الزخرف].

يروى أنهم حينما ينادون بهذا النداء: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ينادون وهم في أنواع من العذاب ينتظرون أربعين عاماً فيأتيهم الجواب من العزيز الجبار: ﴿إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ [٧٧] لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ [٧٨] وفي آية أخرى حينما يطلبون من الله أن يخرجهم من النار ويعدونه بالقيام بالواجبات والانتفاء عن المحرمات يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون]، فيقول عز وجل: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [٧٩] إِنَّهُ كَانَ قَرِيْقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ [٨٠] فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ [٨١] إِيَّيْ جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاقِرُونَ [٨٢] [المؤمنون].

فإذا كنتم تعلمون أن أجسامكم لا تقوى على الحريق فما بال إخلادكم إلى المعاصي، ونسيانكم الجمع بين الأقدام والنواصي، وكيف تسعون إلى رضا عدوكم اللعين وتحالفون رضا رب العالمين، أوليس قد حذركم الله ويصركم هداكم، ألم يقل لكم: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فكيف تؤثرون طاعته على طاعة الله، وطاعة الله هي عز الدنيا والآخرة، يقول رسول الله ﷺ ((من أحب أن يكون أكرم الناس على الله، فليثق الله)) (١).

إن الله تعالى رفع قدر أوليائه في الدنيا وشرف منازلهم في العقبى، فإياكم ومعضية الله فإنكم بها تتباعدون عن أولياء الله، وخافوا الله في الدنيا تأمنونه في الآخرة، فإن الله تعالى لا يجمع لأوليائه بين خوفين، ولا يجمع لأعدائه بين أمنين، كما حكي عن رسول الله ﷺ في الحديث القدسي قال: ((يقول الله عز وجل: لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، من خافني في الدنيا أمنت يوم القيامة، ومن أمني في الدنيا أخفته يوم القيامة))^(١).

أما دعوة الشيطان وطاعته فإن غايتها هي النار، فقد أقسم الشيطان بعزة الله في غير آية من القرآن وآلى على نفسه بأن يغوي الناس ويضلهم عن سواء السبيل، فهو يقول كما حكى الله عنه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ^(٣) [صر]، ويقول في آية أخرى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ^(٥) [الأعراف]، ويقول: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٦) [الحجر].

فعلينا أيها المؤمنون، أن نعود إلى الله بالاستغفار وبالتوبة النصوح الصادقة فالله تعالى يقول وقوله الحق: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٧) [الزمر]، ويقول عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٨) [النساء].

ويقول في خلال وصفه لعباده المستقيمين الذين يمشون على الأرض هوناً: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٩) [الفرقان]، وصفهم جل وعلا بما يستحقونه من الصفات الحميدة، وبأنهم لا يشركون به شيئاً ولا يسرقون ولا يقتلون ولا يزنون، ثم يتهددهم إن هم ارتكبوا تلك الجرائم البشعة

(١) ذكره الإمام الموفق بالله في كتاب الاعتبار وسلوة العارفين.

بمضاعفة العذاب والخلود في النار ويقول بعد ذلك: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان].

فيا لها من مكرمة من الله الكريم لأمة محمد ﷺ، ويا لها من سعادة وموهبة لهذه الأمة المرحومة، حينما يعود المرء إلى الله عز وجل بنية صادقة.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه وآله، فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، محمد بن عبدالله الصادق الأمين، خير خلق الله وخاتم رسل الله، وعلى أخيه ووصيه وباب مدينة علمه والإمام من بعده، أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة، بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الشهيد الولي التقي أمير المؤمنين الإمام زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين. اللهم صل على أهل بيت نبيك أجمعين، واسلك بنا سبيلهم، وخذ بنا منهاجهم، واحينا على سنتهم، وتوفنا على ملتهم يا كريم، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ولا همّاً إلا فرجته، ولا عسيراً إلا يسرته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا عدواً إلا أهلكته، ولا ظالماً إلا قصمته ودمرته، ولا ضالاًً إلا هديته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا

فيها صلاح إلا تفضلت علينا بقضائها يا أكرم المسؤولين.

اللهم وانصر الحق وأهله، واخذل الباطل وحزبه، ودمر أعداء الدين، اللهم عليك بأعداء الإسلام والمسلمين، اللهم اخذهم وشتت شملهم وفرق جمعهم ومزق وحدتهم.

اللهم وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وألف بين قلوب المؤمنين.

اللهم صل وسلم على محمد وآله، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مدراراً هنيئاً مباركاً فيه، اللهم اسق البلاد وارحم العباد واهدنا إلى سبيل الرشاد، واستجب لنا دعاءنا فإنك أمرتنا بالدعاء ووعدتنا بالإجابة وأنت لا تخلف الميعاد.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١)
 ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾^(٢) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣).



دائرة عامة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي خلق العباد لغير خوف من نازلة ولا حاجة إلى فائدة، وإنما خلق العالم بما فيه إظهاراً لقدرته، ودلالة على وحدانيته، وإبانة لقوته وعزه ومجده وربوبيته، خلق ما خلق وجعل ما جعل دلائل تدل عليه وتهدي من أناب من عبيده إليه؛ إذ لا تراه عيون الناظرين، ولا تصل إليه أوهام المتوهمين، ولا سبيل إلى معرفته -جل ثناؤه وتقدست أسماؤه- إلا بالنظر إلى آثار صنعه ومصاييح دلائله، سبحانه من إله حكيم، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

وأشهد أنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده الذي اصطفاه ورسوله الذي ارتضاه وائتمنه على وحيه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الصادقين الأبرار الطيبين الأخيار الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وإيثار طاعته، نتواصى بالحق وإيثاره على الباطل فالحق طريق الجنة والباطل طريق النار، ألا وإن على كل طريق من هاتين الطريقين داعياً يدعو إليها، فمن أجاب داعي الحق قاده إلى الجنة ومن أجاب داعي الباطل قاده إلى النار.

واعلموا أن الداعي إلى الحق كتاب الله المبين، وتراجته وقرناؤه عترة خاتم المرسلين، وقد أرشدنا الله عز وجل إلى ذلك حين يقول: ﴿أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [يونس: ٣٥]، جاء في التفسير أنها نزلت في أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وأيضاً يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة]، يقول المفسرون: إنها نزلت في آل محمد ﷺ.

ثم كذلك قد أرشدنا رسول الله ﷺ إذ يقول: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(١).

ألا واعلموا بأن الداعي إلى الباطل هو الشيطان، عدوكم الذي أخرج أبويكم من الجنة، والذي أقسم بعزة الله ليغوينكم أجمعين لما طرده الله من رحمته حين قال له الله تعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾^(٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^(٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ^(٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ^(٨١) [ص]، فقال الشيطان لعنه الله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ^(٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ^(٨٣)﴾ [ص].

وقد نبهنا الله عز وجل إلى أن الشيطان هو الداعي إلى النار وأنه عدو بني آدم إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ^(٦)﴾ [فاطر].

ومهما كان الأمر كذلك وهو كذلك، فإن عليكم أن تطيعوا ربكم فهو الذي يدعوكم إلى الجنة والمغفرة بإذنه، وعليكم أن تعصوا عدوكم الذي يدعو أتباعه إلى عذاب السعير.

واعلموا عباد الله أنكم لا تنالون السعادة الأبدية في الدنيا والآخرة إلا بالرجوع إلى الله تعالى وبالتوبة الصحيحة الصادقة، وبالإخلاص لله في السر وفي العلانية، وبالإذعان للحق وإن كان مرّ المذاق، وإلا فإنه الشقاء والخسارة في الدنيا والآخرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فقوموا أيها العباد بما أمركم الله به، وتقربوا إليه بالتوبة النصوح، واستفتحوا أبواب إجابة الدعاء بالانقياد والخضوع والخشوع وإعلان العبودية الحقيقية المطلقة، وبتقديم الصلوات على خير الخليقة محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين،

(١) تقدم تخريجه.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فربط إجابة الدعاء بالاستجابة له والإيمان.

روي أن رجلاً قال لأمر المؤمنين علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، إننا ندعو الله تعالى فلا يستجيب منا وقد قال وهو أصدق القائلين: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فما هو السبب في عدم الإجابة؟

فقال الإمام علي عليه صلوات رب العالمين ما معناه: (إن قلوبكم جاءت بثمان خصال - نذكر أولها -: إنكم عرفتم الله فلم تؤدوا حقه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم بالله شيئاً...). فعلينا عباد الله بالمسارعة إلى العمل بما حثنا عليه خالقنا ودعانا إليه ربنا.

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم على خير خلق الله سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله، وعلى أخيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الطاهرة سيدة نساء الدنيا والآخرة فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن الميمون صاحب الأحكام والمنتخب والفنون، الهادي إلى الدين القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، وألف بين قلوب المؤمنين، وفرج عن الإسلام والمسلمين.

اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين ولا من رحمتك آيسين، اللهم إن لم ترحمنا فمن يرحمنا ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، وصلى الله وسلم على محمد وآله. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[دائرة عامة]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً، وكان في أزليته متعظماً بلا هيته، متكبراً بكبريائه وجبروته، ابتداءً ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء مما خلق، المحتجب بنوره دون خلقه، في العز الشامخ والملك الباذخ، فوق كل شيء علا، ومن كل شيء دنا، فتجلى لخلقه بلا مشاهدة، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً فرداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الذي منحه الله علماً واسعاً لا يقاس، وحجة دامغة لا تقارع، وقدرة نادرة على الارتجال، أضف إلى ذلك صدق قلبه ولسانه وطهارة ضميره وعمق إيمانه، وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار صلاة وسلاماً دائماً ما اختلف الليل والنهار.

عباد الله، لقد اخترت أن تكون كلمات هذه الدائرة من أقوال رسول الله ﷺ التي هيمنت على النفوس حتى أن أعتى الناس لا يقدر إلا أن يخشع ويلين عند استماعها ؛ لأنها نابعة من صميم ضمير كان منطلقاً لأخلص النوايا الإنسانية العظيمة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أيها المؤمنون، يقول رسول الله ﷺ من خطبة طويلة: ((أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نُشيع من الأموات قوم سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأننا مخلدون بعدهم، نسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن طاب كسبه، وصلاح سريره، وحسنت علانيته،

واستقامت خليقته، طوبى لمن تواضع في غير منقصة، وأنفق مما جمعه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة، ورحم أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن أنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يشد عنها إلى بدعة))^(١).

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة الخفية تطفى غضب الله عز وجل، وصلة الرحم زيادة في العمر، وكل معروف صدقة وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا هم أهل المنكر في الآخرة، وأول من يدخل الجنة أهل المعروف))^(٢).

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من نقله الله من ذل المعاصي إلى عز الطاعة أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وأنسه بلا أنيس، ومن خاف من الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف من الله أخافه الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي الله منه باليسير من المعيشة خفت مؤنته ورخى باله وتعم عياله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار القرار))^(٣).

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا كريماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

اللهم صل وسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي

(١) رواه الإمام الموفق بالله في كتاب الإعتبار وسلوة العارفين عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَام.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

بن أبي طالب، وعلى زوجته الحوراء سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين والسيدین الجليلین أبي محمد الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم والصراط المستقيم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وصل اللهم على أهل بيت نبينا أجمعين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين.

وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وارض عنا معهم يا كريم، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته ولا همماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته ولا مريضاً إلا شفيته ولا ميتاً إلا رحمته، ولا طفلاً إلا ربيته وبالعلم النافع غذيته، ولا ضالاً إلا هديته ولا عدواً ظالماً إلا دمرته وأهلكته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا تفضلت علينا بقضائها يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين.

اللهم انصر الحق والمحقين واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداءك أعداء الدين وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين وألف بين قلوب المؤمنين، اللهم انصر الحق وأهله واخذل الباطل وحزبه، اللهم دمر اليهود والنصارى وأعوانهم، اللهم اخذهم وشتت شملهم، اللهم فرق جموعهم ومزق صفوفهم ووحدتهم، اللهم خالف بين قلوبهم وآراءهم اللهم اجعل مخططاتهم في تدميرهم حتى يتنازعوا فيفسلوا وتذهب ريحهم، اللهم اجعل قوتهم غنيمة للمسلمين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر واكف الإسلام والمسلمين شرهم وضرهم وأذاهم وسلط بعضهم على بعض وسلط عليهم جميعاً من لا يرحمهم يا رب العالمين، اللهم فرج عن الإسلام والمسلمين، اللهم

اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من رحمتك آيسين، ولا تهلكنا بالسنين،
 آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[موعظة ودعاء في العزاء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، الحمد لله الذي لا تدركه العيون ولا تحيط بحقيقة ذاته الأوهام والظنون، ليس بذئ جسم ولا حركة ولا سكون، يعلم سبحانه ما هو كائن قبل أن يكون، كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، تفرد سبحانه بالبقاء والدوام، وقهر بالموت جميع الأنام، وأحكم أفعاله وهو بديع الإحكام، وأنزل على نبيئه في كتابه المكنون: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر].

أحمده على ما تفضل به علينا من الإنعام والجود، حمداً يسوق إلى طاعته ويقود. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد المعبود، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي برئت بمسح كفه الآلام، وسبحت براحته الأحجار، وشق له بدر التمام، وحت إليه الأشجار، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين ما مالت في الرياض غصون، وعلى أخيه والإمام من بعده، الذي طوقت بولايته الأعناق، وصح أن حبه إيمان وبغضه من أشد النفاق، فاتح باب خيبر وقد أعيى الصحابة منه الإغلاق، المنزل منه بمثل ما نزل من موسى أخوه هارون، وعلى زوجته فاطمة الزهراء البتول، وعلى ولديهما الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين، ريحانتي قلب الرسول، وعلى آل الذين ودادهم بالرضوان موصول، وعلى التابعين الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.

أيها الناس، إلى متى أنتم في الدنيا تلهون وتلعبون؟ وإلى متى أنتم في سكرات أهوائكم تعمهون؟ كم عايتم من إنسان صرعه سهام المنون، بينما هو في رغد عيش فإذا هو في التراب مدفون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٧] أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ [ص]، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

أليس ما تلدون فللموت؟! وما تبنون فللخراب؟! فلا تغرنكم زخارف

الدنيا فإنها هي كسراب، وإنما هي منكوح وملبوس، ومطعوم ومشروب، فالمنكوح للفناء، والملبوس للبلاء، والباقي لما تعرفون ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أين من خزن ذخائر الأموال وجمعها؟! وأين من شيد أبنية القصور ووسعها؟! أين من فسح أفنية الدور وعظمها؟! إنهم الآن أسارى في ضيق لا يفكون ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أين من جند الجنود والعساكر؟! أين فصحاء الكلام وخطباء المنابر؟! أين أرباب الرماح والسيوف البواتر؟! لقد هلكوا ولم تغنهم العدد والحصون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وسكنوا بعد سعة القصور ضيق الحفر، واستبدلوا عن الحرير خشونة المدر، والله إن في هذا لمواعظ وعبر، قد حيل بينهم وبين ما يشتهون ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فكيف بكم إذا متم ودفنتم وتركتم في اللحد؟ وخلاكم ربنا القاهر زادا للدد، وامتح منكم محاسن الوجوه، وتمزقت الجلود، وصار كل واحد بما كسبه مرهوناً ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أم كيف بكم إذا نودي للجمع بعد الشتات؟! ورد الله الأرواح إلى الأجساد وأحيا الرفات، وهم من كل حذب ينسلون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فيا غافلاً عن خطوب الخطر، ليت شعري أقلب بين جنبيك أم حجر؟! ما لها غابت العقول ومالت الفكر، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾^{١٧} أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم إذا عُرِضت الخلائق على رب الأرباب، ودعي كل إنسان للمناقشة والحساب، وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب، وجيء بالنبين

والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثم كيف بكم إذا وقع الخصام واشتد الزحام، وجيء بجهنم مزومة بسبعين ألف زمام، قد أوقد عليها ألف عام في ألف عام في ألف عام، ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ٤٢ ﴿[الرحمن]، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثم إذا ورد الوردون على جهنم ودنوا من لهبها وزفيرها، وتيقنت العصاة خسرانها وسوء منقلبها، فيومئذ لا ينفع مال ولا بنون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وإذا أمرت الزبانية بأهل المعاصي والفجور وتيقنوا الخسران فدعوا بالويل والثبور، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ﴾ ٧٧ ﴿[الزخرف]، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فيا له من جواب ينقطع معه الرجاء ويحصل الإياس، ويحصل معه من الوحشة ما لا فرحة معه ولا ائتناس، وتتضاعف هنالك الحيرة والإبلاس ﴿تَلَفَّحْ وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ ٣٦ ﴿[المؤمنون]، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ففي دار النعيم والثواب، يطاف عليهم بصحاف من فضة وأكواب، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، وصاروا من فزع يومئذ آمنون، ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ ١٧ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ ١٨ ﴿فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

فيا من غره مقدار الأمل وطوله، فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، أجرانا الله وإياكم على المعهود من إحسانه بفضلته وكرمه وامتنانه، آمين اللهم آمين.

واغفر اللهم لنا ولآبائنا وأمهاتنا وقرابتنا ولمشائخنا في الدين ولكافة المؤمنين والمؤمنات، واجعل اللهم ثواب ما قرأناه وأجر ما تلوناه، هدية منا واصلة ورحمة منك نازلة نقدم ذلك إلى روح نبينا محمد، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ثم إلى أرواح إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كل منهم وسائر الصالحين، ثم إلى روح من اجتمعنا هاهنا بسببه وتلوننا القرآن من أجله وجهته، اجعل اللهم ذلك نوراً يسعى بين يديه، وأدخل اللهم عليه من بركة القرآن العظيم السعة الواسعة، والحجة البالغة، والفرح الدائم، والنور المستنير في اللحد المظلم، وحقائق الإيمان بك يا كريم.

برد اللهم بعفوك مضجعه، وارحم مصرعه، وأحسن إليك مرتجعه، واجعل الروح والريحان والراحة معه، وأزلفه غرف الجنان، وحرّم جسمه على النيران، ولا تعرضه وإيانا ووالدينا والمؤمنين على حساب يوم الحساب، إنك كريم منعم وهاب. اللهم وما أتاك به من عمل صالح فتقبله منه، وما أتاك به من عمل سيئ فتجاوز عنه، وكن لنا وله بعد الأحباب حبيباً، واجعل له ولنا في كل خير نصيباً، واجعل ما نقلته إليه خيراً مما نقلته عنه يا أرحم الراحمين.

اللهم وانقله إلى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة.

اللهم ونحن عبيدك وأبناء عبيدك الضعفاء الفقراء المساكين، المحتاجون إلى عفوك ورحمتك في كل وقت وحين، ارحمنا إذا صرنا إلى ما صار إليه ووردنا على ما ورد عليه، بارك اللهم لنا وله فيما نصير إليه، واجعل ملك الموت عَلَيْهِ السَّلَامُ بقبض أرواحنا شقيقاً رفيقاً، رؤوفاً رحيماً، ولا تجعله سائقاً عنيفاً، واجعل الموعد واللقاء بيننا وبينه جناتك جنات النعيم، ودارك دار السلام برحمتك يا ذا الجلال والإكرام، في دار دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٧٨) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ وعلى النبي وآله أفضل الصلاة والتسليم، ولا حول ولا
 قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.



رسالة إلى شيعة محمد وآله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي فضل بعض خلقه على بعض، وجعل آل محمد أماناً لأهل الأرض، وكلف العباد بمودتهم وطاعتهم، بعد أن أبان لهم ما اختصهم به من ذهاب الأرجاس وطهارتهم، وضمن بقاء حججه عليهم ما بقي التكليف، وجعلهم قرناء الكتاب المحفوظ عن الزيف والتحريف، وجعل وظيفتهم إرشاد الأمة بالتدريس والتأليف، فمن تمسك بهم أمن من الضلال وآل أمره إلى أكرم مآل، ومن خالفهم وعاندتهم فقد وأد فطرته وأدحض حجته؛ لأن الله تعالى نصب أهل البيت أعلاماً للهدى، وجعلهم أئمة للناس وعليهم شهاداء، وأماناً للخلق من الهلكة والردى، فمن فرط فقد ظلم نفسه بتفريطه، ولا يظلم ربك أحداً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل وقوله الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَالًا عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران].

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله القائل: ((لكل شيء أساس وأساس الدين حبنا أهل البيت)) (١) والقائل: ((كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي)) (٢) أو كما قال، والقائل: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهبت النجوم من السماء أتى أهل السماء ما يوعدون)) (٣) صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأبرار الطيبين الأطهار، الصادقين الأبرار، آمين اللهم آمين.

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن جعفر بن محمد، عن آبائه عليهم السلام.

(٢) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد عليهما السلام.

(٣) رواه الإمام الهادي يحيى بن الحسين في الأحكام.

أيها الآباء الكرام، أيها الإخوة الزملاء، أيها الحاضرون جميعاً، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه لا شيء مما يقال عنه إنه خدمة للبشرية أو إنه يعود بخير عاجل أو آجل، لا شيء يماثل نشر فضائل أهل البيت المطهرين عليهم السلام، مع تعليم الناس بما لآل النبي من الحقوق على العالمين، وحثهم على طاعتهم ومودتهم، والاقتداء بهم كما أمر بذلك ملك الدنيا والدين، فأهل البيت هم صراط الله المستقيم الذي ندبنا الله إلى اتباعه حيث يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهم باب الله الذي لا يؤتى إلا منه، وهم مثل الكهف لأصحاب الكهف، ومثل السفينة لقوم نوح، ومثل باب حطة لبني إسرائيل، وهم الحرز المكين والحصن الحصين لأمة محمد صلوات الله وسلامه عليه، ويقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ما معناه فيما روي عنه: ((افترقت أمة أخي موسى إلى إحدى وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا فرقة، وافترت أمة أخي عيسى إلى اثنتين وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا فرقة، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها هالكة إلا فرقة واحدة))^(١).

فلما سُمِعَ ذلك منه ضاق به المسلمون ذرعاً وضجوا بالبكاء وأقبلوا عليه قالوا: يا رسول الله، كيف لنا بعدك بطريق النجاة، وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية حتى نعتد عليها؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً:

(١) رواه الفقيه العزي محمد بن يحيى مداعس في الكاشف الأمين عن جواهر العقد الثمين ثم قال: قال الإمام يحيى عليه السلام: وتلقته الأمة بالقبول، ذكره عنه الإمام المهدي عليه السلام، قال: وجد في يمن قرع سمعه هذا الحديث أن يفزع رعباً وخوفاً، ويتضرع إلى الله سبحانه أن يوفقه لمعرفة الفرقة الناجية ومتابعتها، وذكره الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي رحمه الله تغشاه في كتابه التحف شرح الزلف بلفظ: قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: ((افترقت أمة أخي موسى إلى إحدى وسبعين فرقة منها فرقة ناجية والباقيون في النار، وافترت أمة أخي عيسى إلى اثنتين وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقيون في النار، وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية والباقيون في النار)) ثم قال: وهذا الخبر متلقى بالقبول، فكلام من شكك فيه غير مقبول.

كتاب الله وعِترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ (الحوض))^(١). وهذا الحديث من أوثق الأحاديث النبوية ومن أشهرها بين المسلمين وقد اهتم به العلماء اهتماماً بالغاً؛ لأنه يحمل جانباً مهماً من جوانب العقيدة الإسلامية. ويدل أيضاً على حصر الإمامة في أهل البيت دون غيرهم، ويدل أيضاً على عصمة جماعتهم حيث قرنهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويدل كذلك على بطلان من يحصر الإمامة أو أهل البيت في الخمسة أهل الكساء عليهم السلام وعلى بطلان قول من يحصر الإمامة في الاثني عشر على حسب قول الإمامية، وقد كرر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الحديث أو ما يتضمنه في مناسبات عديدة، وذلك لأنه يهدف إلى أمر هام؛ وذلك صيانة الأمة الإسلامية إن عملت بذلك وتمسكت بالثقلين حق التمسك.

ويهدف أيضاً إلى استقامتها وعدم انحرافها في المجالات العقائدية إن عملت بالوصية النبوية الشريفة، وهي الحث على التمسك بالقرآن وقرنائه قولاً وفعلاً، ولم تتقدم عليهم ولم تتأخر عنهم، وقد شبههم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بباب حطة؛ لأن الله تعالى جعل ذلك الباب مظهراً من مظاهر التواضع لجلال الله والرجوع لحكمه، ولهذا كان سبباً للمغفرة، فكذلك أهل البيت عليهم السلام جعل الله طاعتهم ومتابعتهم والانقياد لهم - جعل الله ذلك مظهراً من مظاهر التواضع لجلال الله، ولذلك كان سبباً لنجاة من تواضع واستسلم لأمر الله وأمر رسوله وتمسك بهم، فهذه الأمة ابتليت بهم لما

(١) ذكره الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام في حقائق المعرفة متصلاً بما قبله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أمة أخي موسى افترقت إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترت أمة أخي عيسى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة واحدة، فلما سُمع ذلك منه، ضاق به المسلمون ذرعاً، وضجُّوا بالبكاء، وأقبلوا عليه، وقالوا: يا رسول الله، كيف لنا بطريق النجاة؟ وكيف لنا بمعرفة الفرقة الناجية حتى نعتد عليها؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، قال: والأمة مجمعة على صحة هذا الخبر، وكل فرقة من فرق الإسلام تتلقاه بالقبول.

أمرت بمودتهم وطاعتهم وسؤالهم فيما لا تعلمه، كما ابتلي من قبلهم من الأمم.
قال مولانا العلامة الحجة، سيدي محمد الدين بن محمد عليه السلام في لوامع الأنوار في هذا الشأن، قال عليه السلام: «وهذا باب امتحن الله به عباده كبير، قد زلت فيه أقدام خلق كثير، بل هو أعظم التكاليف على المكلفين، وأصل الفتنة في الأولين والآخرين، وعادة الله الجارية في خلقه أن يلبس من تكبر عن أمره فيه وغمط نعمته عليه أثواب الصغار، وأنواع الخزي والعار والشنار، وإن في إبليس لعنة الله لعبرة لأولي الأبصار، فعادوا الله أول من سخط أمر الله ورد قضاءه، ثم تبعه كل من نفخ في أنفه فشمخ بنفسه، فأنزل الله به سوء النعمة وسلبه ما لديه من النعمة وأحل عليه اللعنة».. إلى آخر ما قال رضوان الله عليه.

وأخيراً أقدم إليكم يا شيعة أهل البيت هذا الحديث العظيم، لتعرفوا أنكم في أعلى درجات الكمال للذات الإنسانية في الدنيا، وأنكم المقربون إلى الله يوم القيامة مع مواليككم محمد وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الفردوس الأعلى.

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((من مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوار قبره الملائكة بالرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة،

ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة))^(١).

(١) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان في الشافي.

رواه الزمخشري في الكشاف^(١)، ورواه الجويني في فرائد السمطين.
ونسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً سبل الرشاد، ويوفقنا لما يحبه ويرتضيه، وأن
يجعل أعمالنا وأقوالنا خالصة لوجهه الكريم إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم
آمين. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ
إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران].



(١) عند تفسير قوله جل وعلا: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

كل ذي نعمة محسود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وصلى الله على نبينا محمد وآله، اللهم وفقنا وبصرنا وثبتنا على الحق ومع أهل الحق.

إخوة الإيمان، إن من يقف على التاريخ العربي يقف على ظلمات بعضها فوق بعض، ويقف على ظلم وظلامات وأنوار تُحجَّبُ وتُسْتَرُّ، فهناك أشخاص لا شأن لهم ولا مبرة في الحياة ولا سابقة تُمَتُّ إلى خير أبداً، ترى أنها أقيمت لهم الصروح، واقتُعلت لهم المزايا وطبل لهم الزمان وزمر، وكيلت عليهم سيول من العظمة الزائفة، وهناك عباقرة بكل ما للعبقرية من المعاني الحقيقية، تقود المنصف إلى خزائن ومعارض من العظمة والإجلال لأشخاص عفي على آثارهم، وتراكم السحب من الدخان الأسود لإطفاء تلك الشموع وإخماد تلك الأنوار، بل تكاد تحوّلها من نور إلى ظلمة ومن إيمان إلى كفر.

فأميَّةٌ مثلاً وحرب وصخر ومعاوية ويزيد، ومثل الحكم ومروان وعبد الملك وهشام، هؤلاء في كفة، وهاشم بن عبد مناف وعبد المطلب والزبير والحارث والغيداق وشيخ الأبطح وعبد الله بن عبد المطلب والعباس، ثم محمد ﷺ وعلي والحسنان وزيد بن علي وأمثالهم في الكفة الأخرى.

يريد الزمان الغادر أن يسوي بين هذين البيتين، وليته أراد ذلك، ولكنه طمح إلى تقديم الظلام على الضياء، وعلو الشر وخفض الخير، فهذا التاريخ الغاشم يتحل لأمية وبنية المفاخر، ويضيف إليهم المدائح في غير وزن لأعمالهم ولا قياس لمآتهم، فماذا صنع هؤلاء من خير يجزون عليه المثوبة التي ما تزال حتى الآن تصنع رجالاً لما صارت الخلافة ملكاً عضوضاً؟ كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، وصار بأيدي بني أمية آل أبي سفيان وآل أبي العاص، تقربت إليهم أهل الأفلام المستأجرة، أرباب المصالح الشخصية بنشر الفضائل المزيفة لهم ولأسلافهم؛ ليكسبوا بذلك الجاه

والمال، يكتبون وهم يعرفون أن من يكتبون عنهم شخصيات لا شأن لهم ولا مبرة ولا أي سابقة تمت إلى الخير أبداً، فأقاموا صروحهم وانتحلوا لهم المزايا وطبل لهم الزمان وزمر، وقديماً قيل: «دين الرعية على دين الملك».

بينما هنالك عباقرة بكل ما لهذه الكلمة من المعاني الحقيقية، تقود المنصف إلى خزائن ومعارض من العظمة والإجلال، حاولت تلکم الأقلام المستأجرة إطفاء تلك الشموع وإخماد تلکم الأنوار التي تضيء للعالم، بل كادت تحول تلکم الأنوار إلى ظلمات لولا عناية الله، وأعني هؤلاء العباقرة: هاشماً وأبناء هاشم.

فتعساً لك يا زمن!! أتريد أن تقارن بين هاشم الشريد وأمية؟! أم بين عبدالمطلب شبيهة الحمد وحرب بن أمية؟! أم بين صاحب الرسالة العظمى محمد ﷺ وبين أبي سفيان صخر بن حرب؟!

وهل تريد أن تسوي بين إمام المتقين وسيد الوصيين وبين معاوية؟! أم بين سيدي شباب أهل الجنة الحسين ويزيد الخمير؟! أم بين الحكم بن أبي العاص ومروان وآلهما كعبدالمملك وهشام، وبين الباقر والصادق والكامل عبدالله بن الحسن والإمام الشهيد زيد بن علي والنفس الزكية؟!

يريد الزمن الغادر أن يسوي بين هذين البيتين، بل طمح إلى تقديم الظلام على الضياء، وإلى طمس الخير وإبداء معالم الشر المستطير، إن هذا هو الظلم والضلال.

ترى ما هؤلاء الأمويين من خير يجزون عليه المثوبة التي لا تزال إلى عصرنا هذا تصنع رجالاً يهللون للأمويين ويكبرون، وينتحلون لهم المفاخر ويضيفون إليهم المدائح في غير وزن لأعمالهم ولا قياس لمآتهم؟!

أما رجال الكفة الأخرى وأعني بهم هاشماً وبنيه فهم من قبَل هؤلاء منسيين أو شبه منسيين، يحيطونهم بالإهمال، ويوسعونهم إعراضاً وغفلة، وإذا فُرِضَ عليهم أن يستعرضوهم كان استعراضهم سريعاً، وينهض في كل الأعصار حتى الآن رجال يجرون ذيوهم على تلك الآثار، فيبحثون الرجال والعصور والأخلاف والمجتمعات، ولكنك لا تجد للهاشميين إلا موضع الشك في إسلام من أدرك

الإسلام منهم، كشيخ الأبطح وسيد مكة أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه. أما الذين لا طريق إلى الشك في جهادهم في الإسلام كحمزة والعباس، فلهم لدى هؤلاء صور حُرَفيّة لا تنهض بالدلالة على مزاياهم وعبقرياتهم خلقاً وخلقاً. أما من لم يدرك الإسلام منهم كالغيداق والزبير بن عبدالمطلب، فلا حظ لهم من البحث والعناية أبداً، هذه هي الظلاميّة، وهذه هي الضلالة، هؤلاء يميت التاريخ والمؤرخون المستأجرون يميتون عظمة هؤلاء، ويؤخرونهم عن مواضعهم الطبيعيّة، ويشككون في كفاءتهم وفي مؤهلاتهم، بل يتمادون إلى ما هو أفظع من ذلك حيث يشككون في إسلامهم، بينما أُميّة وبنوه يتمتعون بما ليس لهم، وينعمون بالحياة جزافاً بلا ثمن.

ولكن من أمعن نظره وتثبت وناقش التاريخ حتى يقف على الحقيقة، فإنه سرعان ما يجد أن الهاشميين نفر خلقوا من الخير المحض، ورافقوا المصلحة العامة في الأجيال المتعاقبة والحقب، يقودون الإصلاح ويدعون إليه، ويتطورون في هذه الدعوة مع الحياة.

فكلما وجدوا سبيلاً إلى الزيادة في الإصلاح والتجديد ورفع الحياة تقدموا لقومهم بمثل يقتدى به، وفضيلة تتبع، وكلما ظفروا من ذلك بضرع أدروه على الناس سلسالاً وعسلاً، وأفاضوا من أخلاقه نعماً وأملاً، فهم مصدر الحضارة وإليهم يرجع التشريع والاقتصاد والنظام، ومنهم أُخذت قواعد الحياة، وبهم عرفت مكة سبل التجارة والري، وأنظمة العدل والمساواة والتعاون، وهل الإيلاف وزمزم وحلف الفضول وتحريم الخمر وسنة الديات والقسامة وما ماثل هذه الأعمال الخيرة - هل ذلكم إلا مظهر من مظاهر نزوعهم إلى الإصلاح؟ والنهوض بقومهم إلى حضارة كاملة يعيش الناس في ظلها أحراراً أبراراً؟

بزغت أنوار الهاشميين فكانت مبعث الخير والبركة، واندفقت من يوم هاشم أيديهم المبسوطة وأنفسهم الهائنة بالغيث المدرار، فيجد العفاة على موائدهم نعيم الشيع، ويجد المظلومون على عدلهم فوز الانتصار، والمكرويون على أنفسهم فرحة السرور، ويجد

الجاهلون على نورهم لذة الهدى، ويجد الظالمون على نخوتهم مرارة العدل. من تتبع هذا وما إليه يرى أن بني هاشم مهيؤون بتكوينهم وبطبائعهم للنظر في أمر العامة، يقودونهم بالمثل الصالحة إلى إنشاء مجتمع صالح، وحياة صالحة تعتمد على مقوماتها الصالحة.

وكان هاشم وأبناؤه مراتب في إعداد الناس ليوم يعلو فيه صوت النبي محمد ﷺ بالدعوة إلى الرسالة الكبرى، التي كانت أتم صورة لأعلى دور من أدوار نضجهم وكمالهم وامتيازهم، وليس من عدل الاتفاق ولا من تأليف الصدق في شيء، أن يتفق جد وأولاد وأحفاد بعد أحفاد في أزمنة مختلفة على سمت واحد وهدي واحد، من الخلق والغرض والعمل في الإصلاح والخلق والتقويم، ولم يكن ليتفق ذلك على هذا النحو المطرد؛ لولا ذلك التهيؤ الذي يُعدُّ الناس ليوم ويَعِدُّهم بيوم كيوم محمد ﷺ، وبحركة إصلاحية كحركة محمد ﷺ، وذلك ليجعل الله نبوة محمد طبعية تتخطى أدوارها بغير طفرة، وليجعله نبياً في مغرسه لا يرتاب في نبوته ذو نظر، ثم ليجعل من آياته علو ذلك البيت الذي يخرج منه ذلكم النبي بمثل تلك النبوة الخالدة، فمما لا سبيل إلى الجدل فيه.

إن العظمة الهاشمية بمظاهر السيادة والعبقرية، تستدعي الحسد وتثيره في نفوس الأمويين، ومن الحق أن وضع هاشم وبنيه في كفة تقابل كفة فيها أمية وبنوه - من الحق أن هذا من الظروف الغاشمة الظالمة، الدالة على بواخ منطق الدنيا وبواره، وتدل على ضياع المقاييس الصحيحة التي ترتفع بأقدار الناس أو تهبط بها على مقدار ما فيها من وزن الحقائق، ومن الحق أن النسبة بين القبيلتين منقطعة، وإن كان لا بد من نسبة فلتكن تبايناً.

أيها الأحبة، لتصفح التاريخ ولنستمع وإياكم لما يقوله المؤرخون كالجاحظ والطبري في ترجمة عبدالمطلب، وابن سعد في طبقاته، والبلاذري في أنساب الأشراف، يحكي ما يحكي عن ابن الزبير بالرغم من بغضه المشهور لبني هاشم

حتى لقد قيل: إنه كان يترك الصلاة على النبي ﷺ في خطبة الجمعة عمداً، فإذا قيل له: لم ذاك؟ يقول: لأن له أهيل سوء إن ذكرته تشرئب أعناقهم.

فهيأ معي إلى تاريخ الطبري وطبقات ابن سعد؛ يحكي الطبري وابن سعد مقالة نفيل بن عدي لحرب بن أمية يوم جاءه لمنافرة عبدالمطلب، يقول له: أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة وأعظم هامة، وأوسم منك وسامة، وأقل لامة، أكثر منك ولداء، وأجزل منك عطاء، وأطول منك لساناً؟! ويضيف قائلاً:

أبوك معاهر وأبوه عف وذاد الفيل عن بلد حرام

ذلك لأن نفيل بن عدي يعرف أن في الحكم فضيحة منتظرة لحرب وأبيه لا يستطيع حرب نفسه أن ينساها أو يتغافل عنها.

ويضيف قائلاً: وليس غريباً أن يكون أمية عاهراً معروفاً، بعد أن رضي لنفسه الديانة.

أما ابن أبي الحديد فيروي قصة أمية مع بني زهرة مفادها: أن أمية تعرض لامرأة من بني زهرة بريية، ولما بلغ أحد قرابتها لحق أمية وضربه بالسيف، فبلغ الأمويين فهموا بإجلاء بني زهرة عن مكة، ولكن قيساً بن عدي كبج نهضتهم وخضد شوكتهم بصرخة دوت ثم صارت مثلاً، وهي قولهم: «أصبح ليل» حتى دحر الأمويين وردهم على أعقابهم مدحورين، وكان يقول:

مهلاً أُمي فإن البغي مهلكة لا يكسبنك يوماً شره ذكر

ويقول في النهج: كان أمية -بالإضافة إلى العهر- لصاً يغير على الحجاج فيختلس ما يتاح إليه اختلاسه، قال: وكانوا يسمونه حارساً وهو من باب تسمية الشيء بضده. ويقول في موضع آخر: ألم نره يغلو في الفسق إلى حد الإباحية؟ ألم نره يجتري على خدور المحصنات؟

ويقول -والحكاية لهشام بن الكلبي الذي عاصر أمية يقول-: كان أمية

فاسقاً لا يرضيه من حياة الفسق إلا أن تتلاقى عنده أطرافها، فكان حديثاً من أحاديث المجون والاستهتار والخنأ، حتى اشتهر بهذا وبرز وساح اسمه يطوف في الأندية والمجالس.

ويحكى المؤرخون عن حرب: أنه كان يعتمد العدوان على ضعفاء الملمين بمكة وبيتزهم بضائعهم وأموالهم، ومرة كان قد تهدد خلف بن سعد التميمي أن يمنعه عن مكة، فخاف التميمي من ذلك التهديد، فأشار عليه بعض أصحابه أن يستجير بسيد قريش عبدالمطلب أو بابنه الزبير، فركب ناقته حتى وصل إلى مكة في هزيع من الليل، فوقف على باب الزبير بن عبدالمطلب وأناخ ناقته وحط رحله على باب أعز الناس جاراً وأحماهم أنفأ، وما إن رغت الناقة حتى خرج الزبير بنجدته وفُتَوْتِه وكرمه فقال: «أستجير فتجار، أم طالب قرئ فتقري؟» فإذا التميمي يندفع ويملي قصيدة شعرية يقص فيها ما وقع فيقول:

لاقيت حرباً بالثنية مقبلاً	والليل أبلج نوره للساوي
فعلا بصوتٍ واكتنى ليروعني	ودعا بدعوة معلن وشعار
فتركته خلفي وجزت أمامه	وكذاك كنت أكون في الأسفار
فمضى يهدني ويمنع مكة	أن لا أحل بها بدار قرار
تركته كالكلب ينبج وحده	وأيت قرم مكارم وفخار
ليشاً هزبراً يستجار بقربه	رحب المباءة مكرماً للجار
وحلفتُ بالبيت العتيق وحجه	وبزمزم والحجر والأستار
إن الزبير لماعني بمهني	صافي الحديدة صارم بتار

فقال الزبير: اذهب إلى البيت فقد أجرتك .

ولما كان من الصبح دعا أخيه الغيداق فتقلدا سلاحهما وأمرا التميمي أن يتقدمهما إعزازاً له وتحدياً للطاغية قائلين له: «إنا إذا أجرنا رجلاً لم نمش أمامه فامش أمامنا ترمقك أبصارنا كي لا تُختلس من خلفنا» حتى وصل المسجد الحرام ولقيه حرب متهدداً وإذا بصوت الزبير: أتهدد من أجرتُ يا حرب؟ ففر

هارباً مذعوراً مستجيراً بأبيهما شيخ الأبطح، فحاصراً دار أبيهما حتى خرج معه وقد أزره بإزاره فعلمها حينها بأنه قد استجار به .

وهذا نزرٌ يسيرٌ مما طفح به الكيل من المقارنات الشاسعة، والمفارقات المترامية بين الأرض والسماء وبين الظلمة والضياء وبين الذهب والخصي .

ولا أجمل ولا أدل ولا أبدع ولا أبلغ من قول ذي العزة والجلال في محكم كتابه الكريم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ... ﴾ الآية [إبراهيم]، صدق الله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



[خطبة في عاشوراء]

الخطبة للجمعة الثانية من شهر محرم وفيها ذكر فضل يوم عاشوراء ثم ما

حدث فيه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي علا في توحده، ودنا في تفرده، الحمد لله الذي جل في سلطانه وقهر الخلائق بقدرته وبرهانه، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

أحمده على إنعامه وعلى جميل إحسانه، وأشكره على جزيل فضله وبره وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإن التقوى عونٌ صدق على ما تبغون من أمور الدنيا والدين، اسمعوا ما يقول الله فيما ينال المتقون في الدنيا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ويقول جل وعلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

أما ما ينال المتقون في دار الجزاء فذلك شيء عظيم، إن الله يقول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۝١٥﴾ [آل عمران]، ثم يتبعها بقوله عز وجل: ﴿قُلْ أُوْنِيْبُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥].

فاتقوا الله عباد الله وخذوا بحظكم، فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله، ثم اعلموا أن عليكم واجباً حتماً وفرضاً لازماً، ألا إن ذلك موالاة أولياء الله

ومعاداة أعداء الله، فذلكم شرط في كمال الإيمان.

ثم اعلّموا أنكم في شهر عظيم عظم الله حرمة وافتتح به الشهور، وضاعف للعاملين فيه الأجور، وقد أطل علينا يوم كريم من أيام هذا الشهر العظيم، ألا إن ذلك يوم عاشوراء، وما أدراك ما يوم عاشوراء!! إنه يوم نوّه الله بفضله على لسان رسوله محمد ﷺ

وقال علي عليه السلام: (من قرأ قل هو الله أحد يوم عاشوراء ألف مرة نظر الرحمن إليه، ومن نظر الرحمن إليه لم يعذبه أبداً)^(١).

نعم، أيها المؤمنون لقد كانت العرب في الجاهلية والإسلام تعظم يوم عاشوراء، كانوا يعتبرونه أقدس أيام السنة وأكثرها خيراً وبركة، كانوا يطعمون فيه الفقراء، ويتفقّدون أحوال المساكين والأرامل واليتامى، ويعملون فيه الكثير من أعمال البر، وكذلك اليهود والنصارى كانوا يعظمون يوم عاشوراء ويقدّسونه ويصومونه؛ لأنهم كما يرون وكما جاء في بعض الروايات أنه اليوم الذي تاب الله فيه على أبنائه آدم عليه السلام، واليوم الذي نجى الله فيه كلمه موسى عليه السلام وقومه من الغرق وأغرق فيه فرعون وقومه في اليم، واليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي، وصارت فيه نار النمرود برداً وسلاماً على خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، فلذلك كانوا يعظمونه.

وشهر المحرم كله شهر عظيم كما يدلنا قول الرسول ﷺ ما معناه: ((أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصوم بعد صوم شهر رمضان صوم شهر الله الذي تدعونه المحرم))^(٢).

فعلينا أن نعظم ما عظم الله ورسوله، وأن نستعد للأعمال الصالحة في هذا اليوم، ولقد سمعتم أيها المؤمنون ماذا كان مفهوم المحرم وعاشوراء عند

(١) رواه الإمام أحمد بن عيسى في أماليه.

(٢) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن جندب بن سفيان.

المسلمين وغيرهم من أهل الملل الأخرى، حتى قامت الدولة الأموية واستولت على السلطة، هتكت حرمة الأشهر الحرم فيما هتكت من الحرمات.

ولما كان دور «يزيد» في التسلط على رقاب المسلمين هتكت حرم الإسلام برمتها، ولا غرابة في ذلك إذا عرف الناس طرفاً من نشأته وتربيته البعيدة عن قواعد الإسلام وتقاليد المسلمين، فأمه ميسون بنت بحدل من نصارى بادية الشام، ولدته هنالك في البادية، فهو يضم إلى وثنية الأسلاف نصرانية الأحوال المستهترة، بالإضافة إلى جفوة البادية التي كان فيها مسقط رأسه.

يقول المؤرخ الشهير العلائي في تاريخه في الحلقة الأولى صفحة (٣٢٣): «كان يزيد متظاهراً بالفسق حتى في سفر الحج، ومتجاهراً به حتى في مدينة الرسول ﷺ، ففي أيامه ظهر الغناء والمغنون والمعازف بمكة والمدينة، وأظهر الناس شرب الخمر، ويتجاهر بتقريب المسيحيين في بطانته، حتى عهد بتربية ابنه إلى مسيحي على ما لا اختلاف فيه بين المؤرخين، فإذا لم تكن تربية يزيد إسلامية خالصة بل مسيحية خالصة فَلَمْ يستغرب إذا كان مجاوزاً مستهزئاً ومستخفاً بما عليه جماعة المسلمين، لا يحسب لا اعتقاداتهم وتقاليدهم أي حساب.

وقد طفحت مدونات التاريخ بمظالم يزيد، وهتكه الحرمات الدين وحرمت الحرمين المقدسين، ففي أيام حكمه القصير التي لم تدم إلا ثلاث سنوات فقط كانت نتائج سلطانه على المسلمين: أن قتل في السنة الأولى وارث رسول الله ﷺ في خلقه وخلقه سيد شباب أهل الجنة، وسبى ذراريه وعياله بأسوأ ما يسبى عليه المشركون، وأما في السنة الثانية ففاجعة الحرّة الشهيرة، حيث أخاف المدينة المنورة وأهلها وأباح حرم رسول الله ﷺ لجيشه ثلاثة أيام، فعبث بها جيشه سلباً ونهباً وقتلاً وبغياً، قتل فيها سبعمائة من المهاجرين والأنصار، بالإضافة إلى عشرة آلاف من التابعين والعرب والموالي، ويقال إنها اقتضت ألف عذراء.

ولم يكتف بذلك حتى أخذ منهم البيعة والإقرار بأن رجالهم عبيد ونساءهم

إماء، لا يملكون في جنب أوامره مالأ ولا عرضاً، وقتل من امتنع عن هذه البيعة. أما في السنة الثالثة والأخيرة من ملكه المشؤوم، فقد حاصر الكعبة المشرفة ورماها بالمنجنيق، وأباح القتل الحرام في البلد الحرام وفي الشهر الحرام، وذلك حينما لجأ إليها ابن الزبير، فرمى الكعبة بالنار وأحرق أستارها وسقفها، وبقيت النار مضطربة فيها أحد عشر يوماً.

هذه أيام حكم يزيد، ولولا أن الله فرج عن الدين وعن المسلمين بهلاكه في تلكم السنة لكان ما لم يخطر على قلب مسلم.

ألا وإن من أسوأ ما قام به في يوم عاشوراء بالذات - هي الفاجعة الكبرى والجريمة النكراء، أبشع جريمة عرفها التاريخ، والتي لا ولن تنسى أبداً، فهي كما يقال: جمرة تتوقد في قلب كل مؤمن، فماذا عملوا ذلك اليوم يا ترى؟!!!

إنهم سفكوا فيه أقدس الدماء، وقتلوا فيه أشرف الذوات الإنسانية، قتلوا فيه سبط رسول الله ﷺ وريحانته، من قال فيه جده المصطفى ﷺ: ((حسين مني وأنا من حسين))^(١) قتلوا في ذلك اليوم الإمام الشهيد المظلوم المجاهد في سبيل الله، المستصر لدين الله، لإعلاء كلمة الله وإحياء شريعة الله، قتلوا الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وقتلوا فيه مجموعة من أقاربه وأهل بيته، وقتلوا عصبة من أنصاره الأوفياء، الذين بذلوا أنفسهم معه رخيصة في سبيل الله والدفاع عن دينهم وحریتهم وكرامتهم، وعن إمامهم القائم لرفع شأن الإسلام والمسلمين، والمجاهد في سبيل إنصاف المظلومين من الظالمين، قتلوا أولائكم الأبرار الأتقياء، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما قتلوا فيه الأطفال والنساء، ومثلوا بالشهداء، رَضُّوا بخيولهم تلكم الجثث الطاهرة، فلهذه المجازر العنيفة وهذه الأحداث الرهيبة، ولهذه الجرائم البشعة، حولوا مفهوم المحرم وعاشوراء إلى أيام حزن وبؤس؛ لما لاقى الحسين وآل الحسين وأنصار الحسين.

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الاثنينية عن سعيد بن أبي راشد.

ولا غرابة في ذلك فهي عداوة موروثة.

فابنُ حَرْبٍ للمصطفى وابنُ هـ سِنْدٍ للمرتضى وَلِلْحُسَيْنِ يَزِيدُ

روي عن عمر بن الخطاب في تفسير قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم]، قال: هما الأفجران بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين. (ذكره الزمخشري في الكشاف).

وحكى المفسرون أن المراد بقول الله عز وجل: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، هم بنو أمية.

وعن معاذ بن جبل من حديث طويل يصف فيه الرسول ﷺ ذاته الطاهرة المطهرة، ويذكر فيه مجريات الأحداث من بعده، وصيرورة النبوة ملكاً عضوضاً، فلما بلغ العدد عند يزيد، قال الرسول ﷺ: ((يزيد لا بارك الله في يزيد - ثم ذرفت عيناه ﷺ، ثم قال: نعي إليَّ الحسين وأتيت بترتبه وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهرائي قوم لا يمنعه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً، ثم قال: واهماً لفراخ آل محمد، من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف)) (١).

فسلام الله وتحياته على الحسين وآل الحسين وأنصار الحسين، وغَضَبُ الله ولعنته الدائمة على القتلة الفجرة، وتَعُثُّ معهم من أمرهم ومن أعانهم ومن رضي بذلك أبداً.

نعم أيها المؤمنون، لقد ظهر في ذلك اليوم وما تبعه من أيام أمور هائلة عظيمة، ظهرت من جراء ذلكم الحدث الرهيب، منها احمرار السماء وكسوف الشمس حتى ظهرت الكواكب وسط النهار، ودوام الظلمة ثلاثة أيام، وأمطرت السماء دماً عبيطاً، ونبع الدم من تحت كل حجر في المعمورة، وظن

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

الناس أن القيامة قد قامت.

وهذا يدل دلالة واضحة على عظم تلك الحادثة، كما يدل على عظمة وحرمة الحسين وآل الحسين وأنصار الحسين، وعلى اشتداد الغضب من الجبار المتقم على أولئك الجناة الخونة لله ولرسوله وللمؤمنين، ومن حصل على أدنى شك فيها هي السير والتواريخ موجودة، فكل ما ذُكِرَ وأكثر من ذلك فيها مزبور ومسطور، أعادنا الله وإياكم من غضبه، وأجارنا وإياكم من سوء عذابه وعقابه، وأمننا وإياكم من أهوال يوم الفزع الأكبر، ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحریم: ٨]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٦ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٧ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٨ ﴿لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٩ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ٢٠ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٢١ [المجادلة].



[خطبة في ذكرى استشهاد الإمام زيد بن علي رضوان الله عليه]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي أنطق الصامت ببدیع حکمته، وجالت أبصار البصائر في عظیم عظمتہ، القديم الذي لم يسبقه شيء فتدركه الأوصاف، ولم يكن جسماً فتحويه الجهات والأطراف، ولم يكن مرئياً فتحيط به النواظر والأبصار، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الأطهار، الصادقين الأبرار، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله فيما احتج به عليكم، وفيما قدمه إليكم، قبل انقطاع المدة، واستكمال العدة، فكأنني بكم وقد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتم إلى دار البلى، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعايتم ما كنتم تحذرون.

فاتقوا الله عباد الله، وعودوا إلى رشدكم، واسلكوا طريق أهل الحق الذين إذا علموا عملوا، وإذا ذكروا اتعظوا، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال].

فلنكن بما علمنا متتبعين، وللموت متأهبين، وعلى ما اقترفنا من السيئات نادمين، ومن كل المعاصي تائبين، وفيما أمرنا بأدائه مطيعين، ولما نهينا عنه تاركين، ومن غفلتنا متيقظين، فما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير.

أيها الناس، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومحاسبة العبد لنفسه هو أن يتوب إلى الله من كل معصية، وأن يتدارك ما قد فرط فيه من فرائض الله، وأن يرد المظالم حبةً بعد أخرى، وأن يستحل من كل مؤمن تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه.

فإذا مات وقد أدى ذلك كذلك فإنه يكون حيثئذ من الفائزين، وإن هو هلك قبل أن يتوب وكان مثقلاً بالمظالم مفلساً عن الحسنات فإن مصيره إلى النار. فكيف بالظالم الغاشم الذي لم يتقرب إلى الله بقربة بل أعماله كلها إجرامية، كيف به يوم تحيط به خصماؤه؟! فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وذلك يتعلق بتلايبه، هذا يقول: ظلمني، وهذا يقول: شتمني، وهذا يقول: ذكرني في غيبي بما يسوؤني، وهذا يقول: بهتني، وذاك يقول: سفك دمي بغير حق، وهذا يقول: أكل مالي ظلماً وبغياً وقهرني على حقي، وهذا يقول: جاورني فأساء جواري، وذاك يقول: وجدني مظلوماً وهو قادر على دفع الظلم عني فداهن الظالم ولم يرع لي حقوقي.

فبينما ذلكم الظالم بين خصمائه قد أنشبوا فيه مخالبهم، وأحكموا في تلايبه أيديهم وهو مبهور متحير لا يجد ناصرأ ولا معيناً، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [١٨] [غافر].

فلاذ حينذاك يتضرع إلى الله حين لا ينفعه التضرع، ومدد عنق الرجاء لعل الله يخلصه من خصمائه، فقرع سمعه نداء الملك الجبار: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [١٧] [غافر]، فيصيح الظالم ويتأوه، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [١٧] [الروم]، ومع ذلك يسمع نداء العدل: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [١٨] [آل عمران]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [١٧] [الزخرف].

فيتيقن الخيبة والخسران، ويتذكر ما قد أنذره الله به في القرآن حين يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [١٩] [إبراهيم].

أيها المؤمنون، سبق وأن أشرنا إلى ما قامت به السلطة الأموية من هتك حرمت الإسلام، ولا أدل على ذلك مما فعلته في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام وذلك حادثة كربلاء. فإننا اليوم نتحدث عن فاجعة أخرى وهي فاجعة

الكناسة الرهيبة والتي قامت بها الدولة الأموية نفسها، وذلك يوم جاء دور هشام بن عبد الملك بعد واحد وستين عاماً من مجزرة الطف.

وتلك الفاجعة: هي مقتل إمام الأئمة وزعيم الأمة، فاتح باب الجهاد والاجتهاد، أمير المؤمنين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين.

ولحلول تلك الذكرى المؤلمة فإنني أتقدم إلى محبيه وأتباعه وأشياعه الصادقين في أنحاء المعمورة بالتعازي الحارة ونقول لهم جميعاً: عظم الله أجوركم وأحسن عزاءكم. أيها المؤمنون، أعيروني مسامع قلوبكم لحظات لأقدم إليكم شيئاً يسيراً مما جاء في فضله وفضل شيعته الصادقين.

يروى أن والده زين العابدين عليه السلام كان لا يتكلم إذا صلى الفجر بغير ذكر الله حتى تطلع الشمس، فجاءه يوم ولد زيد فبُشِّرَ به بعد صلاة الفجر فالتفت إلى أصحابه وقال: أي شيء ترون أن أسمى هذا المولود؟ فقال كل منهم: سمه كذا، فقال: يا غلام، عليّ بالمصحف، فجاءوا بالمصحف فوضعه في حجره ففتح فوجد قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران]، ثم فتحه فنظر إلى أول كلمة في أوراقه فإذا فيه: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء]، ثم أطبقه وفتح ثانياً، فنظر في أول ورقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْعَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]، فقال: «هو والله زيد» فسمي زيداً.

وكانت ولادته سنة خمس وسبعين للهجرة.

نشأ عليه السلام على العلم والعبادة وعلى الفضل والزهادة، وكان يُعرف في المدينة بحليف القرآن، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((يصلب رجل من أهل

بيتي بالكوفة عرياناً، لا ينظر أحد إلى عورته متعمداً إلا أعماه الله يوم القيامة))^(١).
وبالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يبكي،
فبكيت لبكائه، فقلت: فذاك أبي وأمي، قد قطعت أنياط قلبي ببكائك، فقال: ((
لا قطع الله أنياط قلبك يا أبا ذر، إن ابني الحسين يولد له ابن يسمى علياً، أخبرني
حبيبي جبريل: أنه يعرف في السماء بأنه سيد العابدين، وإنه يولد له ولد، ويقال له:
زيد، وإن شيعة زيد فرسان الله في الأرض، وإن فرسان الله في السماء الملائكة، وإن
الخلق يوم القيامة يحاسبون، وإن شيعة زيد في أرض بيضاء كالفضة أو كلون
الفضة، يأكلون ويشربون ويتمتعون، ويقول بعضهم لبعض: امضوا إلى مولاكم
أمير المؤمنين حتى تنظروا إليه كيف يسقي شيعته، قال: يركبون على نجائب من
الياقوت والزبرجد مكللة بالجواهر، أزمتها اللؤلؤ الرطب، راحها من السندس
والاستبرق، قال: فبينما هم يركبون، إذ يقول بعضهم لبعض: والله إنا لنرى أقواماً
ما كانوا معنا في المعركة، قال: فيسمع زيد بن علي عليهما السلام، فيقول: والله لقد
شاركوكم هؤلاء فيما كنتم من الدنيا، كما شارك أقوام أتوا من بعد وقعة صفين،
وإنهم لإخوانكم اليوم، وشركاؤكم اليوم))^(٢).

وروي عن رسول الله ﷺ قال: ((خير الأولين والآخرين المقتول في الله،
المصلوب في أمتي، المظلوم من أهل بيتي، سمي هذا))، ثم ضم زيد بن حارثة إليه،
ثم قال: ((يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبا، فأنت سمي الحبيب من أهل
بيتي))^(٣).

(١) رواه الفقيه العزي محمد بن يحيى مداعس في الكاشف الأمين ورواه الفقيه الشهيد في الحقائق
الوردية بزيادة ((عز وجل)).

(٢) رواه الفقيه العزي محمد بن يحيى مداعس في الكاشف الأمين ورواه الفقيه الشهيد في الحقائق
الوردية وفيها بدل ((يولد له ولد)) ((يولد له ابن)) وبدل ((شاركوكم)) ((شارككم)) ومن
غير ((يوم)).

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الاثنيينية عن حذيفة بن البيان.

وعن علي عليه السلام من سياق حديث قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((أنه يولد لي مولود ما وُلِدَ أبوه بعد يلقي الله غضباناً وراضياً له على الحق، حقاً على دين جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليهم، وأنه يُمَثَّلُ به في هذا الموضع مثلاً ما مُثِّلَ بأحد قبله، ولا يمثل بأحد بعده صلوات الله على روحه وعلى الأرواح التي تتوفى معه))^(١) وكان في الكناسة آنذاك.

هذه نبذة يسيرة من كراماته تدل على فضله وعظمته.

وأما سبب مقتله فإنه سلام الله عليه رأى خلافة الله في الأرض قد تحولت إلى ملك عضوض، ورأى شريعة الله قد تحولت إلى طاغوت أحمر، ورأى السنة قد أميتت وحل محلها البدع المنكرة، فلذلك قام داعياً إلى إحياء دين الله وإعلاء كلمة الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان قد بايعه خمسة عشر ألف مقاتل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة والموصل وخراسان وغيرها، وكانوا يقولون له حين أراد الخروج من الكوفة؛ لعدم الثقة بهم - كانوا يقولون: كيف تخرج وبين يديك مائة ألف سيف؟ ولكنه وفي المعركة الحاسمة والتي كان فيها مصرعه لم يبق ممن بايعه وغيرهم سوى مائتين وثمانية عشر رجلاً، وقد أبلوا معه بلاء حسناً، وقاتل هو بنفسه قتالاً شديداً، وقتلوا من أصحاب يوسف بن عمر أعداداً هائلة.

ورماه داود بن كيسان بنشابة فأصاب جبينه، فأمر الطبيب أن ينزعها فعرفه إن هو نزعها فإنه يموت من ساعته فعهد عهده وأوصى وصيته.

وكان من وصيته لولده يحيى بن زيد أن قال: «يا بني، جاهدكم فوالله إنك لعلى حق، وإنهم لعلى باطل، وإن قتلاك في الجنة، وقتلاهم في النار»، ثم نزعت منه النشابة ففضى نحه رضوان الله عليه، وكان ذلك عشية الجمعة لخمس بقين

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الاثنيية عن حَبَّة العُرْنِي عن حذيفة بن اليمان، ورواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في كتاب الرسالة النافعة وفيه بدل ((غضبناً)) ((غاضباً)).

من المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة للهجرة.

واتفق أصحابه على أن يعدّلوا نهراً عن مجراه وحفروا له هنالك قبراً ثم أعادوا مجرى النهر من حيث كان حتى لا يعرف قبره خوفاً عليه من بني أمية، وكان لديهم غلام سندي قد اطلع على ما عملوا، وفي اليوم الثاني نادى يوسف بن عمر: أن من دله على قبر زيد فسوف يعطيه من المال ما طلب، فدلهم ذلك الغلام السندي، فاستخرجوه من قبره وحزوا رأسه وأرسلوه إلى هشام بن عبد الملك بن مروان، وصلبوا جثته بالكناسة عريان، ولكنها كانت تأتي العنكبوت فتنسج على عورته في الليل، فإذا جاء النهار هتكوها.

وأنت يوماً امرأة فرمت خمارها من الأرض إلى أعلى الشجرة فالتف على عورته، فحاولوا هتكه حتى إذا هتكوه أسبل لحم السرة حتى غطى العورة. ولبت مصلوباً زمناً طويلاً إلى أيام الوليد بن يزيد وذلك عند قيام يحيى بن زيد عليه السلام فعند ذلك كتب الوليد إلى يوسف بن عمر: أما بعد فإذا أتاك كتابي فانظر عجل أهل العراق فأحرقه وانسفه في اليم نسفاً، ففعل يوسف بن عمر ذلك.

وقد روي أن رماده اجتمع في الفرات حتى صار مثل هالة القمر يضيء إضاءة عظيمة^(١)، فسلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ورحمة الله وبركاته.

وأخيراً أسأل الله تعالى أن يسلك بنا منهج محمد وآل محمد، وأن يحمينا على سنتهم ويتوفانا على ملتهم، وأن يحشرنا في زمرةهم ويسكننا الجنة بجوارهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ

(١) ذكر ذلك في التحف شرح الزلف.

حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ [التوبة].



[في المولد النبوي الشريف]

الخطبة للجمعة الثانية من شهر ربيع الأول وفيها بعد الموعظة ذكرى مولد

الرسول ﷺ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وعلى ما ابتلى، الحمد لله الذي برحمته يستغيث المستغيثون، وإلى ذكر إحسانه يفرح المضطرون، الذي لا يرغب في جزاء من أعطاه، ولا يفرط في عقاب من عصاه، نحمده على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق ليخرج الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن طاعة الشيطان إلى طاعة الله الواحد الأحد الديان، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله فإن المتقين نالوا سعادة الدارين، ففي الدنيا نالوا عزة وهيبة تحصنهم من تهم المفترين، وأما في الآخرة فالجنة غايتهم ومصيرهم ونعم أجر العاملين.

أيها الناس، اعلّموا أن الله تعالى يبتلي عباده عند الإصرار على السيئات بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، وحبس للبركات وإغلاق خزائن الخيرات؛ ليتوب تائب ويتذكر متذكر، وقد بين لنا سبحانه كيف نعمل إذا ابتلانا بذلك، فقال جل وعلا يحكي موعظة نوح لقومه: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ١ ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ٢ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ٣ ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ٤ [نوح].

فالاستغفار والتوبة من الذنوب أحد الأسباب التي تدر الأرزاق وتحصل بها

البركات والخيرات، والسبب الثاني هو الاستقامة على عبادة الله وطاعته، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

فالاستقامة سفينة النجاة في الدنيا وطريق الفلاح في الآخرة، والاستقامة هدف يتطلع نحو تحقيقه كل البشر، ولكن النادر القليل من يحققه، وقد أكرم الله المستقيمين كرامة عظيمة، اسمعوا معي ما يقول الله في ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [النحل:٣٢] نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ نُزِّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [نصلت].

فاستغفروا الله واتقوه واستقيموا، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

أيها المؤمنون، إن شهرنا هذا شهر ربيع الأول هو شهر ميلاد الإسلام وشهر مولد رسول الإسلام، إمام الأنبياء وسيد الأنام سيدنا محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

وبناء على ذلك فقد اخترنا في هذه الخطبة أن نقتطف ونأخذ لمحات من سيرته ﷺ لنسلك سبيله ومنهاجه، ولنعرف ما أتانا به فناخذه ونعمل به، فالله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]، ويقول تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

وإذا درسنا حياة الأنبياء ﷺ نجد أن من أخص خصائصهم الكمال الذاتي، وأن رسالة اللاحق منهم امتداد لرسالة من قبله في جوهرها وفي أهدافها، وأنهم من أجل ذلك كانوا في صراع مرير دائم مع قوى البغي والشر، وأن من قتل منهم وشرذ وعذب لم يكن إلا من أجل دعوته إلى الخير والحق، وإلى العدل والمساواة، الخير والعدل الذي لا تهواه الأنفس الشريرة تجار المبادئ، ويؤكد هذا

قول الله عز وجل: ﴿كَلَّمَآ جَاءَهُمْ رَسُوْلٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيْقًا كَذَّبُوْا وَفَرِيْقًا يَقْتُلُوْنَ﴾ [المائدة].

وهذا يؤدي بالباحث حتماً إلى الإيمان بصدقهم وأمانتهم.

نعم، إن الإسلام يمتاز من بين الأديان في العالم بأنه الدين الوحيد الذي ثبت كتابه السماوي الكريم، وظل العالم يتناقله خلال هذه القرون الطويلة، دون أن يتعرض لأي تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان، وصدق الله العظيم القائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ﴾ [الحجر].

لقد كان محمد ﷺ أمياً وعاش في بيئة جاهلية تغلب عليها الأمية، وعاش بين أمة تعبد الأصنام وتعبث بالأديان وتستحل المحارم، ولكنه ﷺ كان حنيفاً يؤمن بإله واحد لا شريك له ولا ولد، وقد أتاه هذا الإيمان من وحي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ومن صفاء العقل والتفكير.

وكان يميل إلى العزلة في الجبال في غار من المغارات المجاورة لمكة فقط؛ للتفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض.

ومجمل القول أن جميع صفاته ﷺ وأحواله قبل البعثة كانت ترشحه للرسالة الإلهية، ولكل ما حدث بعد البعثة، وجاءت سيرته بعد البعثة امتداداً لسيرته قبلها، كما لا في العقل والإدراك، وسمواً في الصفات والأخلاق، وذلك هو الخط العريض لأقواله وأفعاله في شتى مراحل حياته.

وبعد أن بلغ الأربعين من عمره الشريف، وفي مقره لعزلته فاجأه صوت يقول: يا محمد، أنت رسول الله حقاً، اقرأ.

فراح يفكر في الصوت ومن أين جاءه؟ وظل يفكر لفترة من الزمن، وتراوده احتمالات كثيرة، وحينما عاوده الصوت وتكرر وظهر له جبريل عليه السلام وبلغه الرسالة استيقن وخشع وذهبت جميع الاحتمالات، وحينما نزلت عليه الآية: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤﴾ [يونس]، فعقب قائلاً: لا أسأل ولا أشك.

ومضى ﷺ في طريقه ينفذ أوامر الله داعياً مَنْ حوله إلى الإيمان بالله وكتبه ورسالته، مندداً بالأصنام وعبادتها، لم ترهبه غطسة قريش وجبروتها وتهديدها ووعيدها، ولم يَلِنَ لضغوطهم ولا لمغرياتهم.

فلما عرف القرشيون وغيرهم أن دعوته تشكل خطراً على امتيازاتهم وعلى مصالحهم الخاصة، قرروا أن يנקلوا بجميع أتباعه من العبيد والمستضعفين فقتلوا وعذبوا وأجاعوا وشردوا رجالاً ونساءً وشيوخاً، وبقيت الدعوة تسري في الأوساط والأمور تشتد وتتفاقم، ولكن عزمته كانت أقوى من جميع الصعاب والأحداث.

وقيض الله له عمه أبا طالب وولديه جعفرأً وعليأً، الذي كان أول من آمن به وبذل هؤلاء حياتهم في سبيله، وانتصر محمد ﷺ وأذل الله قريشاً وأنصارها، وأصبحت عشرات الملايين من الأصوات في مشارق الأرض ومغاربها تردد آناء الليل وأطراف النهار: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله».

وكان الْمُتَضَمُّونَ إلى هذا الدين المحمدي دين الإسلام الصحيح، كانوا في بداية الدعوة قلة قليلة وعدداً محدوداً، ولكن الإيمان الذي ملأ نفوسهم هز المجتمع المكي برمته، فدارت في أندية مكة أحاديث دعوة محمد ﷺ إلى الإسلام، هذا الدين الذي يهدد مصالح المتكبرين، ويدفن آمالهم وأطماعهم.

فجمعوا ليتدارسوا الحال قبل أن تستفحل الدعوة، وما دام عدد المؤمنين بمحمد ﷺ قليلين، وعند ذلك قرر المجتمعون بأن كل من تصبو نفسه لدين محمد أو ساهم في توفير المناخ له، أو انخرط في سلوكه أو أيده من قريب أو بعيد، فإنه يستحق التأديب والتعذيب، ومن تهادى فدمه مهذور بين المناوئين للدعوة، وجزاؤه التنكيل والقتل.

ولكنه كان من العسير تنفيذ هذا القرار لأول مرة خاصة على أبناء القرشيين

والهاشميين والأسر العريقة؛ خشية أن تتصاعد الأزمة، فلتكن بداية عملية التأديب مع المستضعفين من العبيد والغلمان والحلفاء، الذين لا سلطان لهم على مجابهة المتحكمين وأهل النفوذ، ففي ذلك على ما يتوهمون ضرب عصفورين بحجر واحدة؛ لأن في ذلك ردعاً لفتيان العرب وقبائل مكة إذا شاهدوا تعذيب الضعفاء، ثم في ذلك رجوع العبيد والغلمان.

فأسرعت الجلاوزة إلى دار الأرقم مقر اجتماع النبي ﷺ بالصفوة المؤمنة، وقبض الجبابرة على ياسر بن عامر وولده عمار وزوجته سمية، وعلى بلال الحبشي وغيرهم، وهنالك تبدأ عملية التعذيب، فيقومون بطرح هؤلاء المؤمنين في رمضاء مكة في وقت الحر الشديد وبدون ثياب يتوقون بها، ويضعون فوقهم الأحجار الثقيلة، ويكوونهم بالنار، ويصهرون أجسادهم الطاهرة بقطع الحديد المحماة، ويمزقون جلودهم بالحرايب، كل ذلك يجري دون رحمة؛ لأن الحقد على محمد ﷺ وعلى المؤمنين به قد أحال هؤلاء الجبابرة الظلمة إلى أوحاش كاسرة.

وكنت قد قررت أن يكون موضوع الخطبة الحديث حول شخصية الرسول ﷺ ولكن يا ترى من الذي يستطيع الوصول إلى عشر العشير من أخلاقه وخصائصه! إذ قد أخذ محمد ﷺ من الإنسانية أنبل ما فيها، وأقصى ما يمكن أن يتصوره العقل من عظمة الإنسان وكماله، وقد أوجز الله سبحانه صفات حبيبه وصفيه بهذه الكلمة الجامعة الرائعة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم].

ومن هذه الأخلاق العظيمة النبيلة، الصدق والأمانة والشجاعة والإيثار والاعتدال في كل الأمور، فالصادق الأمين لقبه بين قومه قبل نبوته، وأما إيثاره فكان ينفق على المحتاجين كل ما يملك ولا يبقى منه لنفسه وأهله إلا دون الكفاف.

ومن أقواله: ((والذي نفسي بيده ما يسرني أن أحداً يتحول لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله، وأموت يوم أموت وعندي منه ديناران أرصدهما لدين إن كان))^(١).

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن ابن عباس.

وأما شجاعته فيكفي قول أمير المؤمنين سيد الشجعان علي بن أبي طالب عليه السلام:
 (كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا^(١) بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ)^(٢).
 وخير ما يحدد شخصية رسول الله ﷺ هذا الأثر الكبير الذي تركه، وهذا
 التحول الخطير في حياة العالم كله، يقول أحد المفكرين: أخذ محمد على نفسه أن يرفع
 المستوى الروحي والأخلاقي لشعب عاش في دياجير الهمجية، وقد نجح في هذا
 الغرض نجاحاً لم يصل إليه أي مصلح آخر في التاريخ، وقد وصل إلى ما يتبعه، وأقام
 فوق دين اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم ديناً سهلاً واضحاً وصريحاً، قوامه
 البسالة والعزة، واستطاع في جيل واحد أن ينتصر في مائة معركة، وفي قرن واحد أن
 ينشئ دولة عظيمة، وأن يبقى إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة قوة في أنحاء العالم.
 ولا غرو أن لا يوازي محمداً في عظمتة أحد من العالمين، فإنه سيد المرسلين
 وخاتم النبيين وأفضل خلق الله أجمعين.

فعلينا أن نهتدي بهديه، وأن نسلك سبيله ومنهاجه، نسأل الله أن يوفقنا لذلك
 إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ
 أَعْمَالُهُمْ﴾^(٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
 أَعْمَالَكُمْ^(٤) [محمد]، صدق الله العظيم.



(١) أي: جعلناه وقاية لنا من العدو. (مفتاح السعادة، ولسان العرب).

(٢) ذكر في نهج البلاغة

[محاضرة الإسراء والمعراج]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف وأفضل خلق الله سيدنا ومولانا وقائدنا محمد بن عبدالله وآله الكرام البررة الهداة.

أحييكم أيها الحاضرون جميعاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأشكر لكم هذا الحضور المبارك وهذا التجمع العظيم فذلکم من تعظیم شعائر الله: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج].

أيها المؤمنون، إن الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج لعسير؛ لأن الحديث عن المعجزة أي معجزة كانت هو الحديث عن الرسالة، والمعجزة كما يقال عنها: وثيقة الأنبياء لإثبات الرسالة، أو كما يقال في اللهجة العصرية: أوراق اعتماد النبي ﷺ التي لا بد أن يكون فوق مستوى الإنسان؛ وذلك للتعبير عن إرادة السماء.

هذه الرحلة العظيمة شملت الإسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما اشتملت على معراجه ﷺ من المسجد الأقصى إلى سدره المنتهى، رحلتان عظيمتان أرضية وسماوية، رحلة تخطت حدود الوقت، في مركبة قطعت المسافات بلا زمان، مركبة هي البراق، مركبة من صنع الله، لم تكن من صناعة روسيا أو أمريكا أو اليابان.

ترى هل هذه الرحلة هي رحلة استكشافية، أم أن لها أهدافاً أخرى؟

إنها على ما يبدو كانت لتلقي تعليمات هامة، اسمعوا ما يقول الله عز وجل، يقول: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾﴾ [النجم]، ففي إعطاء هذه التعليمات الموحاة إليه ﷺ لونا من الغموض حين يقول تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴿١٠﴾﴾ دليل على أهمية تلکم التعليمات الرشيدة.

ويبدو أن الهدف من هذه المعجزة العظيمة: أولاً: تثبيت نبوة محمد ﷺ لدى قومه بالدلائل القاطعة التي لا تبقي شكاً ولا ريباً لطالب الحقيقة، حتى لقد وصف لهم «بيت المقدس، ومدينة إيلية» فكان ذلك كما يعرفون، والحال أنه لم يعرف ذلك من قبل.

ثم أخبرهم عن غيرهم ومتى سيكون وصولها وما يتقدمها من الإبل وإهراق الماء عليهم وهروب أحد الجمال وغير ذلك مما ثبت لديهم صدقه، مع أنهم كانوا يعتبرونه بل يسمونه الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

وثانياً: لمشاهدة آيات الله العظيمة، من القدرة والقوة الغير متناهية؛ وذلك لتقوية نفسيته ﷺ بعد أن تعرض ﷺ لأبشع إرهاب فكري واجتماعي عرفه تاريخ الرسالات، فحينما يرى تلك القوة الجبارة التي تسانده، ستبقى معنوياته عالية، وتقوى نفسيته على الدعوة وعلى مجابهة الأخطار، ولا يبالي بما يكون أبداً.

وخير دليل على ذلك ما أجاب به على قريش بواسطة نصيره الأول أبي طالب ﷺ حين بذلوا له بواسطته المال والجاه والسيادة والزعامة العظمى على أن لا يسفه أحلامهم أو يسب آلهتهم، فقد أجاب بقوله -ما معناه-: ((والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه))^(١).

وأما التعليقات فقد عاد من رحلته ﷺ بتعليقات عظيمة، تعتبر من أهم ما جاء به الإسلام ورسول الإسلام، ومن نُظُم هائلة وتشريعات غير قاصرة؛ لأنها ضمت بين طياتها بالإضافة إلى قضايا العقيدة والتوحيد والنبوة والمعاد وقضايا الصلاة والصوم والزكاة والحج وغيرها من العبادات، ضمت أيضاً نظام القيادة

(١) رواه أبو العباس في كتابه المصابيح.

الإسلامية الخالدة، متمثلاً في تعيين أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة لرسول الله ﷺ، وهنالك تعليمات أخرى هامة لا مجال لذكرها.

منها بلوغه سدره المنتهى، وهي كما روي المحل الذي تنتهي إليه أعمال الخلق وتسجل بدقة كلها ضمن صور متناهية في الدقة، ولعل محمداً ﷺ هو الوحيد من بين الأنبياء من بلغ هذه الرتبة العظيمة، وهذا المكان المقدس، اللهم إلا جبريل عليه السلام.

نعم أيها المؤمنون، معجزة الإسراء والمعراج معجزة جليلة ولنبينا محمد ﷺ معجزات كثيرة وعظيمة تدل على رفعة وعلو شأنه والتي من أهمها وأعظمها القرآن الكريم، المعجزة الخالدة والدستور والمصدر لجميع التشريعات إلى قيام الساعة.

ومنها: رجوع الشمس بدعائه ﷺ لعل ليؤدي صلاته، كما جاءت بذلك أدلة كثيرة تدل على وقوع ذلك.

نعم، يقال: إن الشيء بالشيء يذكر، حينما ذكرنا هذه المعجزة يروى أن أحد الشيعة كان يلقي بين الناس محاضرة رائعة في إحدى البلدان الإسلامية، يمدح فيها رسول الله ﷺ ويمدح أهل بيته عموماً، ويقوم بمدح أحد أهل البيت المعاصرين له خصوصاً، فاتفق أن سحابة سوداء كثيفة غطت الشمس فأظلمت الأرض لذلك، فالتفت إلى الشمس وقال شعراً - وكان قد بهر الناس لفصاحته وبلاغته - فأنشد قائلاً:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي	مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثناءهم	أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن	هذا الوقوف لخليله ولرجله

قال: فما أتم كلامه حتى انجابت السحابة عن الشمس بعد أن كانت الدنيا قد أظلمت، وعاد ضوءها كما كان قبل ذلك، فكبر الناس وذكروا تلك المعجزة العظيمة وهذه الكرامة وتلك الموافقة العجيبة.

وإذا عرفنا ذلك فإن علينا أن نعرف صاحب هذه المعجزات سيدنا رسول الله ﷺ، الذي حاز أشرف الفضائل وأسماءها، الذي خشعت له غرر الملائكة وانتخبه الله بجداره سيّداً لأتنيائه وأقرب عباده إليه، ومنحه رسالة السماء الكاملة، التي لم يؤثّر بها ما يربو على مائة وعشرين ألف نبي، وخوّله قيادة البشر إلى الأبد.

وبعد أن نعرف ما نعرف من قدره؛ إذ لا نستطيع أن نحيط بأوصافه وأخلاقه بعد قول الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم].

وبعد ذلك علينا أن نفتفي أثره ونسلك سبيله ومنهاجه، وأخيراً اسمحوالي أن أقدم إلى مسامعكم هذه القصيدة العظيمة العصماء، التي تنسب إلى أحد الشعراء من شيعة أهل البيت من الحلة الفيحاء، وتتضمن كمية من معجزات الرسول ﷺ، فأعيروني مسامع قلوبكم لعدة دقائق مشكورين مأجورين:

خمدت لفضل ولادك النيران	وانشق من فرح بك الإيوان
وتزلزل النادي وأوجس خيفة	من هول رؤياه أنوشروان
فتأول الرؤيا سطوح وبشرت	بظهورك الرهبان والكهان
وعليك إرميا وشعيا أثنياء	وهما وحز قيل لفضلك دانوا
بفضائل شهدت بهن الصُّحفُ	والتوراة والإنجيل والفرقان
فَوَضِعَتْ لله المهيمن ساجداً	واستبشرت بظهورك الأكوان
متكماً لم تنقطع لك سرّة	شرفاً ولم يطلق عليك ختان
فرأت قصور الشام آمنة وقد	وضعتك لا يخفى لها أركان
وأنت حليلة وهي تنظر في ابنها	سراً تحار لوضعه الأذهان
وغدا ابن ذي يزن ببعثك مؤمناً	سراً ليشهد جددك الديان
وحبيت في خمس بظل غمامةٍ	لك في الهواجر جرمها صيوان
ومررت في سبع بدير فانحنى	منه الجدار وأسلم المطران
وكذاك في خمس وعشرين انثنى	نسطور منك وقلبه ملآن
حتى كملت الأربعين وأشرق	شمس النبوة وانجلى التبيان
فرمت نجوم النيرات رجيماً	وتساقطت من خوفك الأوثان

والأرض فاهت بالسلام عليك والـ
وأنت مفاتيح الكنوز بأسرها
ونظرت خلفك كالإمام بخاتم
وغدت لك الأرض البسيطة مسجداً
ونصرت بالرعب الشديد على العدا
وغدت تكلمك الأباعر والطبى
والجذع حن إلى علاك مسلماً
وهوى إليك العذق ثم رددته
والدوحتان وقد دعوت فأقبلا
وشكا إليك الجيش من ظماً به
ورددت عين قتادة من بعد ما
وحكى ذراع الشاة مودع سمه
وعرجت في ظهر البراق مجاوز الـ
أشجار والأحجار والكثبان
فنهأك عنها الزهد والعرفان
أضحى لديه الشك وهو عيان
فالكل منها للصلاة مكان
ولك الملائك في الوغى أعوان
والذئب والثعبان والسرحان
وببطن كفك سبوح الصفوان
في نخلة تزهى به وتزان
حتى تلاقى منهن الأغصان
فتفجرت بالماء منك بنان
ذهبت فلم ينظر بها إنسان
حتى كأن العضو منه لسان
سبع الطباق كما يشا الرحمن

وهي هذه الذكرى العظيمة التي احتفلنا بمناسبة حلولها، والقصيدة طويلة
نكتفي منها بهذا المقدار، وأرجو أن تعذروني فقد أطلت عليكم، ونسأل الله
تعالى أن يكتب أجركم، وأن يعيد هذه الذكرى علينا وأنتم متمتعون بكامل
الصحة والسعادة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



[خطبة في ذكرى الغدير]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المطلع على سرائر القلوب، العالم بما تُجَنُّهُ
الضمائر من خفيات الغيوب، نحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، المتفرد بالكمال، المنزه عن
صفات النقصان هو الله الواحد الأحد الديان، هو الأول والآخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم.
وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، سيد الأنبياء وإمام المرسلين،
صلى الله وسلم عليه وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.
أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله والتأهب للقائه، وبالانزواء عن هذه
الدنيا والتباعد عن أهلها، ألا ترون إلى أبنائها يصلون ويصومون ويتصدقون،
ولكنهم لا يفعلون ما يؤمرون، فيا سوء ما يحكمون، يتوبون بالقول والأمانى،
ولكنهم يعملون بأهوائهم فما يغني عنهم أن تنقو جلودهم وتبقى قلوبهم دنسة،
فكيف يدرك النعيم في الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته، ولا تنقطع منها
رغبته، جعلوا الدنيا تحت ألسنتهم والعمل تحت أقدامهم، صلاح الدنيا أحب إليهم
من صلاح الآخرة، فأى الخلق أخسر منهم لو كانوا يعلمون.

عباد الله، فلا تلهينكم الدنيا وشهواتها، يقول الله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون].

فأكثرُوا في هذا الشهر العظيم من أعمال البر والصالحات فإن العبد إذا قصر
فسوف يندم على تقصيره حينما يرى الجزاء العظيم للعاملين فيقول: يا ليتني
ازددت من الحسنات.

واحذروا وتجنبوا السيئات فإن العبد المسيء يندم كذلك ويقول: يا ليتني
حذرت مما حُذِّرت منه.

أيها المؤمنون، إننا نعيش هذه الأيام ذكرى فرحة عظيمة، ونعمة جسيمة أتمها الله علينا بإكمال الدين القويم والنهج المستقيم، في يوم شهدت له الأرض والسماء، وذاع صيته في شتى بقاع العالم، احتفل به أفضل الخلق محمد ﷺ واستمع فيه للأدباء والشعراء في مهرجان حافل، ولنا فيه وبه خير أسوة في كيفية تعظيم شعائر الله وأيامه - ألا وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام من كل عام، فهو يوم عيد الله الأكبر وعيد أوليائه، روي أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا وهو يُعظَّم ذلك اليوم ويحفظ حرمة؛ لأنه يوم نصب الأوصياء كما جاء في بعض المرويات، وهو اليوم المسمى في السماء يوم العهد المعهود، وفي الأرض يوم الميثاق المأخوذ والجمع المشهود، وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة على العالمين بولاية أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه صلوات رب العالمين.

وذلك أن في السنة العاشرة للهجرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، وبعد إكمال الحج وتعليم الناس مناسكهم توجه بمن معه من الحجاج راجعاً إلى المدينة، وعند بلوغه في غدير خم وهو موضع بين مكة والمدينة عند مفترق الطرق، أمر بدوحات فقمم ما تحتهن من شوك، وكان ذلك وقت الهاجرة، فأرسل على من تقدم بالرجوع وانتظر للمتأخرين، حتى تكامل الناس وكانوا زهاء مائة وعشرين ألفاً، فنادى مناديه: «الصلاة جامعة» وصلى بالناس صلاة الظهر ثم التفت إليهم وقام فيهم خطيباً فقال:

((الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الحمد لله الذي لا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: أيها الناس، فإنه لم يكن لنبىء من العمر إلا نصف ما عمر من قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإنى قد أسرع في العشرين، ألا وإنى يوشك أن أفارقكم، ألا وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟)).

فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبدالله ورسوله، قد بلغت رسالاته، وجاهدت في سبيله وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

فقال: ((اللهم اشهد))، ثم قال: ((ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟)). قالوا: بلى.

فقال: ((اللهم اشهد))، ثم قال: ((أشهد الله أن قد صدقتكم وصدقتموني، ألا وإني فرطكم وأنتم تبغي، توشكون أن تردوا علي الحوض فأسألكم حين تلقوني عن ثقلٍ كيف خلفتموني فيهما؟

قال زيد بن أرقم: فأعيل علينا ما ندري ما الثقلان، حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الثقلان؟

فقال رسول الله ﷺ: ((الأكبر منهما كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تولوا عنه ففضلوا، والأصغر منهما عترتي، من استقبل قبلي وأجاب دعوتي، فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، فإني قد سألت لهما اللطيف الخبير فأعطاني: ناصرهما ناصري، وخاذلها خاذلي، وليهما لي وئي، وعدوهما لي عدو، ألا وإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها وتظاهر على أهل نبوتها، وتقتل من قام بالقسط منها)).

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ؑ فرفعها حتى بان بياض إبطيهما، وقال مخاطباً للناس: ((ألست أولى بكم من أنفسكم لا أمر لكم معي؟ - قالوا: اللهم بلى -، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه))^(١).

(١) حديث الغدير الشهير: ظهر ظهور الشمس واشتهر اشتها الصلوات الخمس حتى قيل: إذا لم يكن حديث الغدير معلوماً فما في الدنيا معلوم، ولا يتسع المقام لذكر طرقه وأسانيده هنا فليرجع للوامع الأنوار والشافي وغيرهما.

ثم قال: ((إن الله تعالى أوحى إليّ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتِهِ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وإني مبين لكم سبب نزول هذه الآية: ذلكم أن جبريل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً، يأمرني عن السلام ربي وهو السلام أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أن علي بن أبي طالب أخِي ووصيي وخليفتي والإمام من بعدي، الذي محله مني محل هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، فهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله علي بذلك آية من كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وعليّ أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راعٍ.

وساق في فضله وفيما اختصه الله به من خصائص ليست لغيره.
ومنها: ((إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه، وإن الله عز وجل جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب))^(١).
وحدث الناس على مبايعته وقال: ((معاشر الناس، قولوا الذي قلت لكم، وسلموا على علي بإمرة المؤمنين))^(٢) فلما انتهى من خطابه هتفوا جميعاً قائلين: يا رسول الله، سمعنا وأطعنا عن أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألستنا، فأنزل الله تعالى حيثذاك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فعلينا أن نعظم ما عظم الله ورسوله، وأن نقيم لهذا اليوم وزنه وحقه، وأن نظهر فيه من السرور والابتهاج والفرح ما نقدر عليه، فهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة على المسلمين بولاية سيد الوصيين وإمام المتقين بعد خير خلق الله

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن جابر.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن بريدة بلفظ: أمرنا رسول الله ﷺ أن نسلم على علي بن أبي طالب عليه السلام بيا أمير المؤمنين.

أجمعين، سيد الأولين والآخرين محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.
نسأل الله تعالى أن يثبتنا في الدنيا على حب محمد وأهل بيته، وعلى مودتهم التي
أمرنا بها، وعلى متابعتهم في مذهبهم وعقيدتهم، وأن يحشرنا في زمرةهم، وأن يسقينا
من حوضهم المورود شربة هنيئة مريئة لا نظماً بعدها أبداً، وأن يسكننا معهم في
الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين، آمين رب العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ
فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ
لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة].



[كلمة الحفل في يوم الغدير]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين وعليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير،
والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله وخاتم رسل الله، المأخوذ ميثاقه على
جميع الأمم، رحمة الله للعالمين، وحجته البالغة على الأولين والآخرين، وعلى أخيه
ووصيه وباب مدينة علمه، ولي المؤمنين بنص الكتاب المبين، ومولى المسلمين
بتبليغ إمام المرسلين، من مهد الله بسيفه وعلمه قواعد الإسلام، وأورثه علم
أنبيائه ورسله الكرام، صاحب هذا اليوم الأغر مولانا علي بن أبي طالب، وعلى
عترته الكرام خيرة الله من ذؤابة إسماعيل، وحملة حجته من سلالة إبراهيم الخليل،
قرناء الكتاب وأمناء رب الأرباب، أمان أهل الأرض من العذاب، المشهورين
بعصمة جماعتهم وحجية إجماعهم بأي التطهير والمودة، والأمر بالطاعة والشهادة
والأمان، وأخبار الكساء، وما لا يحاط به كثرة كتاباً وسنة.

اصطفاهم الله للقيام بالسنة والفرض وإن رغمت أنوف أولي النصب
والرفض، وارتضاهم لخلافة جدتهم في الأرض إلى يوم العرض، وكلف العباد
بمودتهم وطاعتهم، بعد أن أبان لهم ما اختصهم به من ذهاب الأرجاس عنهم
وطهارتهم، وأنبأنا جل وعلا بأن من تمسك بهم أمن من الضلال وآل أمره إلى
خير مآل، ومن خالفهم فقد وأد فطرته ودحض حجته وجحد نعمته، وبعد:

فإن الحديث عن هذا اليوم لعسير، وإن محاولة الإمام بفضائل صاحبه
لأصعب من ذلك بكثير، كيف لا وذلك اليوم هو يوم إكمال الدين، وإتمام
النعمة على المسلمين بولاية سيد المسلمين وإمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه صلوات رب العالمين، وقد نزل فيه من التفضيل والتكريم الكثير
من الآيات في الكتاب المبين من لدن رب العالمين.

إذ قد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «نزل في أمير المؤمنين علي عليه السلام خاصة ثلاثمائة آية من القرآن، وما من آية تخاطب الذين آمنوا إلا وعلي عليه السلام أولهم وأفضلهم» ولذلك نقول: إن الحديث عنه لعسير.

غير أن مما لا بد منه التوضيح بأن الله تعالى يبتلي عباده ويختبرهم؛ ليعرف الصادق من الكاذب، ويعرف المؤمن ويتميز عن الكافر والفاسق والمنافق، هذه سنة الله في خلقه.

وليس معنى ذلك أن الله تعالى لم يكن يعلم ما تنطوي عليه سرائرهم، وإنما ذلك لينكشفوا لدى أنفسهم أولاً؛ لأن من المحتمل أن يكون بعضهم مغروراً وظاناً لنفسه الكمال، وبعضهم قد يكون متمرداً وعاصياً ولكنه مستخفياً عن الناس، ثم لينكشفوا لدى الناس، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

ولنضرب لذلك مثلاً: اختبر الله تعالى الملائكة الكرام وكان إبليس يتعبد ويتظاهر بالطاعة حتى عد طاووساً للملائكة لكثرة عبادته، فامتنحهم الله واختبرهم بالسجود لآدم عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة]، استنكر إبليس هذا الأمر واستكبر، ورفض السجود مع الملائكة الكرام، وتعلل بأنه خلق من النار وآدم إنما خلق من الطين، جعل المادة هي المقياس، ولتكبره عرف نفسه وعرفته الملائكة، حبطت أعماله عبادة ستة آلاف سنة ذهبت أدراج الرياح، انتهت في موقف واحد، طرد من رحمة الله واستحق اللعنة إلى يوم الدين، وفي الآخرة العذاب المهين.

وهكذا اختبر الله ثمود -قوم النبي صالح عليه السلام- اختبرهم الله بناقة، خلقها الله تعالى من الصخرة بمشاهدتهم وهي معجزة لنبيهم عليه السلام وآية لهم، وذلك الاختبار، أن الله تعالى أمرهم على لسان نبيهم بأن يجعلوا لتلك الناقة شرب يوم ولهم شرب يوم آخر، مع أنه ضمن لهم بأن تمر في يوم شربها على أبوابهم ليحتلبوا

لهم منها ما يكفيهم ليوهمهم، وأمرهم بأن لا يعتدوا عليها، فتعالوا على عقرها وعقروها فعمهم الله بالعذاب وأبادهم، وهكذا اختبر أمة كل نبي.

ثم إن الله تعالى اختبر أمة محمد ﷺ بأهل البيت عليهم السلام، حيث كلف الله الناس بمودتهم وجعلها أجر رسالته إليهم، وأجر إخراجهم من الظلمات إلى النور، وما لاقاه وعاناه من التكذيب والتنديد والحروب الجماعية، وخروجه من موطنه ومسقط رأسه مكة المكرمة وغير ذلك من المشاق العظيمة، وأبان الله فضل أهل البيت وتطهيرهم، وبين للناس أن الفائدة من هذا التكليف تعود عليهم -أي: على المكلفين أنفسهم- ولأنه ضمن الله تعالى نجاة من والاهم وتابعهم واهتدى بهديهم من الضلال، ووعدهم بالجنة إن استقاموا على ذلك، وهناك أحاديث لا تحصى كثرة في هذا الشأن، وفي أن طاعتهم طاعة لله وللرسول ﷺ، وأنزل على رسوله قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، وبين لهم أنه لا بد من الامتحان والاختبار، فقال جل وعلا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت]، آيات بينات تبين للأمة أنه لا يكفي الإيمان بالقول فقط، لا بد من الخضوع والاستسلام لأوامر الله، ولا بد من طاعة من أمرنا بطاعتهم، ومودة من أمرنا بمودتهم ومتابعتهم، وأخذ ما نحتاجه من العلوم منهم؛ لأنهم ورثة علوم النبيين والأدلاء على معرفة رب العالمين، كما جاءت بذلك النصوص الصحيحة الصريحة، ولو لم يكن إلا ذلكم البيان الهام الصادر من حبيب الحق وسيد الخلق في يوم الغدير الشهير.

هذا البلاغ الذي لو لم يعلنه لذهبت أتعابه ومعاناته وما لاقى من مشاق - تعجز الجبال الرواسي عن تحملها - أدراج الرياح، اسمعوا إلى هذا التهديد البليغ، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَاتِي﴾ [المائدة: ٦٧]، هذا التهديد العظيم ممن يا ترى؟! إنه من الملك الجبار المقدر؛ ولهذا لم يستجز رسول الله ﷺ أن يتقدم خطوة واحدة بعد

الإنداز، بل أمر برجوع من قد تقدم وانتظار من لم يكن قد لحق، وأعلن للناس وهم ما يقرب من مائة وعشرين ألف حاج من جميع الأقطار الإسلامية، وحثهم رسول الله على تبليغ أهل بلدانهم؛ لتعم الحجة وتثبت الولاية أولاً لأمر المؤمنين عليه السلام ثم الولاية العامة لذريته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يستفاد ذلك من قوله وتكريره: ((ألا فليبلغ الشاهد الغائب)) ومن قوله: ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)).

يحكى أن سائلاً سأل الصادق عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الغدير: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))؟ فقال: قد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فأجاب قائلاً: ((الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي فعلي مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه))^(١).

انتبهوا لهذه الكلمات وافحصوا عن معانيها وما تعنيه، إنها تعني الطاعة المطلقة لأهل البيت كطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولصعوبة هذا التكليف هلك من هلك، قال مولانا وسيدنا العلامة حجة الله على عباده في هذا الزمن سيدي محمد الدين بن محمد المؤيدي عليه السلام: قال في لوامع الأنوار: «هذا باب امتحن الله به عباده كبير، قد زلت فيه أقدام خلق كثير، بل هو أعظم التكاليف على المكلفين، وأصل الفتنة في الأولين والآخرين، وعادة الله تعالى الجارية في خلقه، أن يلبس من تكبر عن أمره فيه وغمط نعمته عليه أثواب الصغار، وأنواع الخزي والشنار؛ وإن في إبليس -لعنه الله تعالى- لعبرة لأولي الأبصار، فعدو الله أول من سخط أمر الله، ورد قضاءه؛ ثم تبعه كل من نفخ في أنفه، فشمخ بنفسه، فأنزل الله تعالى به سوء النعمة، وسلبه ما لديه من النعمة،

(١) رواه الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان في كتابه المسمى بالمجموع المنصوري.

وأحل عليه اللعنة».. إلى آخر ما قاله رضوان الله عليه.

نعم أيها الأحبة، إن ولاية أمير المؤمنين ثبتت مع ثبوت نبوة النبي ﷺ في بدء الدعوة في يوم الدار والإنذار؛ لأنها لما تتابعت الأحداث بعد الإعلان عن الدعوة وانتشر خبرها، وتميهاً الجو النفسي والفكري العام لتوجيه الدعوة بصورة عامة، ومخاطبة الناس بها - أمر الله تعالى محمداً ﷺ أن يخاطب أولاً عشيرته ويدعوهم إلى الإسلام؛ لتكون له قاعدة شعبية وحماية اجتماعية، وليلقي الحجة عليهم بالتي هي أحسن، فأنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء]، فتحت هذه الآية الكريمة بداية مرحلة جديدة من التحول في حياة الدعوة، فلقد وضعت جبابرة قريش في محل الضعف أمام الرأي المكي خاصة وأما الرأي العام.

ولقد اختار رسول الله ﷺ أسلوباً اجتماعياً وجوياً عاطفياً ونفسياً مؤثراً، فلقد دعا بني هاشم وكانوا أربعين رجلاً، منهم أعمامه: الحارث بن عبدالمطلب وكان من زعمائهم ووجهائهم، وأبو طالب، وأبو لهب، والحمزة، والعباس وغيرهم، فاجتمعوا في دار الحارث بن عبدالمطلب، وصنع لهم علي طعاماً، ثم انعقد الاجتماع، فتحدث رسول الله ﷺ فشرح لهم مبادئ الإسلام وأهداف الدعوة، وما أمره الله به من إنذارهم وتكريمهم إن أسلموا واستجابوا.

فتصدى له أبو لهب بالرد والرفض، بل وحرّض بني هاشم على إلقاء القبض عليه وتطويقه والأخذ على يده، وهذا نص كلماته: «خذوا على يدي صاحبكم قبل أن يأخذ على يديه غيركم، فإن منعموه قتلتم، وإن تركتموه ذللتهم».

فانبرى إليه أبو طالب - ذلكم الذي ما برح سنداً لرسول الله ﷺ ومدافعاً عن دعوته - انبرى إلى أبي لهب مغضباً وقال له: يا عورة والله لننصرنه ولنعيننه، ثم توجه إلى ابن أخيه محمد ﷺ وقال له: إن أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح.

وعلى كل حال فإن نتائج هذا الاجتماع كانت إيجابية، فقد أعلن أبو طالب تأييده صراحة، ولقد أسلم ابنه جعفر، وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب

وغيرهم، وتكاثر عدد المسلمين وهجروا قرابتهم من المشركين.
وفي هذا الاجتماع وقف رسول الله ﷺ بين عشيرته وقال: ((من منكم يوازني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم)) فأحجم القوم إلا علياً عليه السلام وكان أصغر القوم سنّاً، فقال رسول الله، فقال له رسول الله: ((أنت أخي ووصيي وخليفتي في أمتي))^(١).

ولهذا أشرت إليكم أن ولايته ثابتة في بدء الدعوة، ولكن الإعلان في ذلك اليوم وذلك الجم الغفير، وعقب تلکم الفريضة العظيمة التي يجتمع إليها المسلمون من أقطار الأرض، وفي تلکم اللحظات الحرجة كل ذلك له دور مهم في إعطاء القضية حجمها الكامل، ووجوب تطبيقها كوصية خالدة تطوق أعناق الأجيال إلى يوم القيامة، وخلال لحظات وداع صاحب الرسالة العظمى محمد ﷺ، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ [النساء]، فلو طبقت الأمة أمر الله ورسوله لما تسلط على رقاب المسلمين طاغية أبداً، ولما طمع في الخلافة طامع، ولما اختلف في الحق اثنان، والله در القائل:

والله لو تركوا الخلافة حيثما جُعِلَتْ لما فرغت أمة منبرا

ربنا سمعنا وأطعنا وتوليناك وتوليننا رسولك ووصي رسولك وذريته الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين، فبحقهم ثبتنا على دينك ما أبقيتنا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



(١) رواه الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي رحمه الله تغشاه في كتابه لوامع الأنوار.

[خطبة عيد الإفطار]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والعظمة والجبروت، سبحان الحي الذي لا يموت.

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد:

فيا عباد الله اتقوا الله وأطيعوه فمن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً من رحمته، ومن يتق الله يجعل له فرقاناً يفرقه به بين الحق والباطل فيتبع الحق ويتجنب الباطل، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء].

فاتقوا الله فإن خير الزاد التقوى، فتقوى الله مفتاح كل سداد، وذخيرة كل معاد، وعق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، فبتقوى الله تحصل المطالب وينجو الهارب، وتنال الرغائب.

وبادروا بالأعمال الصالحة آجالكم، فإن الموت هادم لذاتكم، ومكدر شهواتكم، قد عظمت في الخلائق سطوته، وتتابع فيهم عدوته، فعليكم بالتأهب والاستعداد، والتزود في منزل الزاد، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون.

ألا وإن الله قد جعل لكم هذا اليوم عيداً، يا له من عيد ما أعظمه وأجله، حرم عليكم فيه الصيام وأباح لكم فيه الطعام وأحلّه، ختم الله به شهر الصيام،

وافتح به أشهر الحج إلى بيت الله الحرام، وندبكم لتحكموا شرائع الدين وتتعلموا وتتفقهوا قواعد الإسلام واليقين وتعتمدوها.

عباد الله، اعلّموا أن هذا اليوم يوم عظيم عظم الله قدره وشرفه وميزه من الأيام وعرفه، وأنه يسمى يوم الجوائز، روي عن النبي ﷺ أنه قال في آخر حديث ليلة القدر: ((إذا كان غداة الفطر بث الله الملائكة في كل بلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك وينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله تعالى إلا الجن والإنس فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم، فإذا مروا بمصلاهم يقول الله تبارك وتعالى للملائكة: «ياملائكتي، ما جزاء الأجير إذا عمل عمله»؟ قال: فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا أن توفيّه أجره. فيقول الله عز وجل: «إني أشهدكم ياملائكتي أني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائي ومغفرتي، فيقول: يا عبادي سلوني فوعزتي وجلالي لاتسألوني اليوم شيئاً في جمعكم لأخرتكم إلا أعطيتكم، ولالدياكم إلا نظرت لكم، وعزتي لأسترن اليوم عثرتكم ما راقبتموني، وعزتي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الأخدود انصرفوا مغفوراً لكم فقد راضيتموني ورضيت عنكم» قال: فتفرح الملائكة ويستبشرون بما يعطي الله هذه الأمة إذا أفطروا شهر رمضان))^(١).

عباد الله، افترض الله علينا زكاة الفطر، يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، أما غنيكم فيزكيه الله وأما فقيركم فيرد الله عليه خيراً مما أعطى^(٢).

(١) رواه العسني في كتاب الارشاد.

(٢) رواه الإمام المرحد بالله في الأمالي الخميسية بدون ((أما غنيكم فيزكيه الله، وأما فقيركم فيرد الله عليه خيراً مما أعطى))، وقال الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ؑ في أصول الأحكام بعد ذكره لحديث ((أدوا زكاة الفطر عن كل إنسان صغير أو كبير، حر أو عبد، ذكر أو أنثى، غني أو فقير)). وفي بعض الحديث: ((أما غنيكم فيزكيه الله، وأما فقيركم فيرد الله إليه خيراً مما أعطى)).

وفي الأثر أن صيام العبد معلق بين السماء والأرض حتى تؤدى زكاة الفطر.
الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

عباد الله، حافظوا على صلواتكم فإنها عمود دينكم، مَنْ حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع، وحافظوا على أداء الزكاة فإنها قرينة الصلاة، وقد هدد الله المتهاون بها حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ [التوبة].

عباد الله، وحافظوا على ما افترض الله عليكم من الصيام فإن الصيام جنة من العذاب وسبيل إلى الثواب.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

والله الله عباد الله في حج بيت الله ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، فإن الحج ينفي الفقر ويجلب الوفرة، ففي رواية أن العبد لو أنفق زنة جبل أبي قبيس ذهباً ما بلغ مبلغ الحاج، والحج المبرور ليس له جزاء إلى الجنة.

وعليكم ببر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء والضعفاء والأيتام، وقوموا بالأمر بالمعروف الأكبر، والنهي عن الفحشاء والمنكر، فإنها من أهم الواجبات في الإسلام، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء]، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء].

وإياكم والزنا فإنه الفاحشة بنص الكتاب، والفضيحة يوم الحساب، وتجنبوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، وإياكم والربا فإن ربحه خسران وزيادته نقصان، وتجنبوا الغيبة والنميمة والإفك وقول الزور، فقد حرم الله ذلك في الكتاب المسطور.

واحذروا الكذب فإنه شعبة من شعب النفاق، وإياكم وأكل مال اليتامى

فالله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء].

واحذروا المسكرات بجميع أشكالها فإن المدمن عليها في الدنيا يسقى في يوم القيامة بكل جرعة منها جرعة من القيقح والصدید، وتجنبوا الكبائر واحذروا الجرائر، فإن عليكم لحافين ﴿كَرَامًا كَاتِبِينَ﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ [الانفطار]، وأوفوا الكيل والميزان فإن بخسها يسبب شدة الموتة وجور السلطان، واحذروا الخيانة فإنها بثت البطانة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال].

واحذروا اليمين الفاجرة فإن من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه لقي الله تعالى وهو عليه غضبان، واحذروا الاستماع إلى الغناء فإنه ينبت النفاق في القلب.

وتذكروا بجمعكم هذا ما أمامكم من الأهوال والأفزع ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ ٣٦ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ ٣٧ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ٣٨ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٩﴾ [عبس]، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ ٤٠ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٤١﴾ [الشعراء]، ﴿يَوْمَذِ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِذٍ بِبَنِيهِ﴾ ٤٢ ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾ ٤٣ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ ٤٤ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ٤٥ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى ﴿٤٦﴾ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ﴿٤٧﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿٤٩﴾ [المعارج].

عباد الله، احذروا الفضائح يوم الحساب، واعتبروا بمن قد فارقكم من الآباء والإخوان والأصدقاء والخلان، انظروا كيف اخترمتهم المنون، وصاروا مرتنين بأعمالهم، فاعملوا ما دام العمل ينفع وفي العمر مستمتع، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم ترحمون.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

أيها المؤمنون، الله تعالى ينادينا فيقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالمسلمون المؤمنون الصادقون في أمس الحاجة إلى التوحد وجمع الكلمة على ما يرضي الله، محتاجون إلى الرجوع إلى الإسلام والقرآن والسنة النبوية الصحيحة. واعلموا أن أعداء هذا الدين يتربصون بكم وبدينكم وعقيدتكم الدوائر، فلا تفرطوا في أنفسكم ودينكم وما جبلتم عليه من الإيمان والحكمة، وإذا أردتم سبل النجاة وطرق الأمان من الضلال والعذاب فاعتمدوا بحكم القرآن والسنة الصحيحة المطابقة للكتاب العزيز.

واعتمدوا على العلماء العاملين المخلصين من آل رسول الله ﷺ الأطهار، وشيعتهم الأبرار، ووالوا أولياء الله، وعادوا أعداءه، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

اسمعوا ما يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ۝ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٧].

إن هؤلاء موجودون في كل زمان فلا تغتروا بهم، نجد في زمننا هذا بالذات من يتظاهرون بالإسلام والتنسك ولكنهم لا يعتمدون على العقل ولا على المحكم من القرآن والسنة، بل يهملون الحجة الكبرى -وهي العقل- ويتبعون ما تشابه من الكتاب والسنة، ويحذرون من أئمة الهدى وورثة علم النبي وتراجمة القرآن.

وهناك من يتسمى بالإسلام ومن جهة أخرى يحاول مع اليهود والنصارى توحيد الأديان، ويتظاهرون بمحبة النبي ﷺ ومحبة أهل بيته والدعوة إلى مبادئهم بينما هم يوهنون فيما ورد في خلافتهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فهم ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والدفاع عنه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يثبتنا على الحق ما أحيانا، وأن يتوفانا عليه، وأن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن يهلك البغاة والظالمين، وأن يفضح الفاسقين والمنافقين، وأن يجعلنا في هذا اليوم من المقبولين المرحومين ووالدينا وأولادنا وكافة المؤمنين والمؤمنات إنه سميع مجيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ١٤ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ١٥ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ١٦ ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٧ ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ١٨ ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ ١٩ ﴿[الأعلى].

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر



[دائرة عيد الفطر]

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فله الحمد وله الشكر العظيم، نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونستهديه الهدى ونعوذ به من الضلالة والردى، ومن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطاهرين.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله وطاعته، اتقوا الله الذي ابتدأ خلقكم وإليه معادكم، وبه نجاح طليبتكم، وإليه منتهى رغبتكم، فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وإن تقوى الله بصر عمى أفئدتكم وقلوبكم، فاجعلوا طاعة الله دون شهواتكم، فالله هو الذي نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته، وامتن عليكم بنعمه الوافرة، فكم خصكم بنعمة، وكم تداركم برحمة، كم أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم، ألا واحذروا من الأعمال ما تفعلونه في السر وتستحيون من فعله في العلانية، ومن كل عمل إذا سئلتكم لماذا عملتموه اعتذرتكم أو أنكرتكم.

واكظموا الغيظ عمن أغاظكم، واحلموا عند الغضب، وتجنبوا منازل الغفلة والجفاء، واقصروا آراءكم على ما يعينكم، وأطيعوا الله في أجمل أموركم، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها، واغتنموا أيام أعماركم الفانية، فسيندم أهل القلوب القاسية إذا فاز المتقون وخسر هنالك المبطلون، فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أيها المؤمنون، إنه ليس من الشكر على النعم اتباع الشهوات، والغفلة عن الطاعة ونسيان العبادة، فقد مرّ علينا شهرٌ تضاعفت فيه الحسنات، فطوبى لمن حرصها بمراقبة ربه ومحاسبة نفسه.

إخوة الإيمان، إن من العادات السيئة في الأعياد وخصوصاً في الزيارات العيدية فبدلاً من ثواب صلة الأرحام يعود الزائر بالآثام، وذلك بمصافحة غير الأرحام من النساء كزوجات الأعمام والأخوال وبناتهم، وبنات العمات والخالات، وزوجات الإخوة، وأخوات الزوجة، وذلك محرم في الشرع الشريف، يمحو المسلم بها حسنات شهره ويحبط عمله؛ حياءً من بعض النساء، والله أحق أن يستحى منه.

وكذلك الضرب بالأغاني ونحوها في أيام العيد وغيرها من الأيام، ففي الأثر عن سيد البشر ﷺ: ((إياكم والغناء فإنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الشجر))^(١).

ألا وصلوا وسلموا على من صلى الله عليه وملائكته وأمركم بالصلاة والسلام عليه فقال عز قائلًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صل وسلم على عبدك المجتبي ورسولك المصطفى، سيد الأنبياء وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده، سيد الوصيين وإمام المتقين أبي الأئمة الأطايب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الغراء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين سيدي شباب أهل الجنة أجمعين، وعلى الإمام الولي التقي، المجاهد الشهيد الزكي، ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي، أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن، الهادي إلى الحق القويم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن

(١) رواه الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي عليه السلام.

إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين، دعاة منهم ومقتصدين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين، وارض اللهم عن الراشدين من أصحاب نبيك المتقين المخلصين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا رب العالمين.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولمن له حق علينا ولكافة المؤمنين والمؤمنات، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين، وفرج عن الإسلام والمسلمين، اللهم اسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، ولا من رحمتك آيسين ولا تهلكننا بالسنين، وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين، آمين اللهم آمين.

اللهم بارك لنا في يوم عيدنا وفطرننا، وأعنا على حراسة أعمالنا، واعصمنا فيما بقي من أعمارنا، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.



خطبة عيد الأضحى المبارك نفع الله بها آمين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين
الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.
الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، الله أكبر ما لا تحت
بوارق الإسعاد على حجاج بيت الله الحرام، الله أكبر ما دامت على الخلق مواهب
ذي الجلال والإكرام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر والله الحمد، الله أكبر كبيراً
والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً.

سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزة والعظمة والجبروت، سبحان
الحي الدائم الذي لا يموت، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.
الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر والله الحمد، والحمد لله على
ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

الحمد لله العدل الحكيم الذي لا يجور في قضائه، الجواد الكريم الذي لا يعود في
عطائه، الذي شمل إحسانه ولطفه، وعم امتنانه وعطفه، أحمدته على نعمه وأشكره
على قسمه، وأستعينه على تأدية شكره والوقوف عند نهيه وأمره، وأستغفره استغفار
من أساء واقتترف، وعرف أن الصدق ينجيهِ فاعترف، وأؤمن به إيمان من فارق
إخلاصه الشك، وأتوكل عليه توكل من لجأ إليه ولم يفزع منه إلا إليه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة العالم المجتهد لا الجاهل
المقلد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه من أشرف المنابت وأيده بالقول
الثابت، اختاره من الأنعام، وكلفه بالصلاة والصيام، صلى الله وسلم عليه وعلى
آله البررة الكرام، صلاة دائمة بدوام الليالي والأيام.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر، الله أكبر كبيراً، والحمد لله
كثيراً على ما أعطانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام.

عباد الله، إن يومكم هذا يوم عظيم عظم الله قدره وشرفه، وميزه من الأيام وعرفه، وأبان من بينها حرمة، يوم سماه الله في كتابه الكريم ﴿يَوْمَ الْحُجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة ٣]، يوم شرع الله فيه نحر الأضاحي لأهل الإسلام في جميع الأقاليم، يوم ترمى الجمرة ويفك فيه الإحرام، يوم يطوف فيه الوافدون على البيت العتيق ويترددون بين الحطيم والمقام، يوم ابتلى الله فيه خليله إبراهيم بذبح ولده الكريم، وأمره أن يتولى ذلك بيده ثم فداه بذبح عظيم.

جعل الله هذا اليوم عيداً لأهل الإسلام، وختم به الأيام المعلومات من أيام العشر، ومقدماً على الأيام المعدودات من أيام النفر، يوم حرام من أيام عظام من شهر حرام، عظّمته الجاهلية وشرفه الإسلام، يوم دعا الله إلى مشهده ونزل القرآن بتعظيمه، فقال عز من قائل كريم: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَاسِ الْفَقِيرَ﴾ [الحج].

فتقربوا إلى الله بذبائحكم، وعظموا شعائر الله واجعلوها من أطيب ذخائركم، واستشعروا تقوى الله في ضمائركم، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج].

واجتهدوا في حسننها وسمنها، فإنه من يعظم حرمة الله فهو خير له عند ربه، فقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال لابنته فاطمة عليها السلام: ((اشهدي أضحيتك فإن لك بكل قطرة من دمها كفارة لكل ذنب أصبته))^(١)، وإن الأضحية ثقل في الميزان ويكتب الله لصاحبها بكل شعرة من شعرها حسنة.

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية.

ألا وإنه نهي رسول الله ﷺ عن التضحية بالشرقاء، وهي مشقوقة الأذن وإن قل، وعن المقابلة، وهي التي قطع من مؤخر أذنها وأبين، وعن العوراء البيّن عورها، وعن مسلوقة القرن، ومسلوقة الألية، والمريضة البين مرضها، وكان ﷺ ينهى^(١) عن بيع جلدها، وقال علي عليه السلام: (أمرني رسول الله ﷺ حين بعث معي بالهدي أن أتصدق بجلودها وحليها وخطمها ولا أعطي الجازر من جلودها شيئاً). ويقول: (نحن نعطي الجازر من غيرها)^(٢).

والبدنة تجزئ عن عشرة، والبقرة عن سبعة، والشاة عن أهل بيت وإن كثروا والتفرد أفضل، ويستحب أن يكون كبشاً موجواً^(٣) أقرن^(٤) أملح^(٥). ويجزئ من الضأن ما تم له سنة، ومن المعز والبقر ما تم له سنتان، ومن الإبل ما تم له خمس سنين.

ونذب سوقها إلى المنحر سوقاً رفيقاً، ويسقى قبل الذبح، ويستعد الذابح بشفار حداد، وليستقبل القبلة ويذكر اسم الله عليها، ويتولى المسلم أضحيته بيده، متطهراً طهارته للصلاة ويجوز أن ينوب عنه رجل آخر. ويقول عند الذبح: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين» ثم يقول: اللهم منك وإليك عني وعن أهل بيتي فتقبل مني كما تقبلت من خليلك إبراهيم وحبيبك محمد صلى الله عليهما وآلهما.

ولا يجزئ الذبح إلا بعد صلاة العيد، ووقت الذبح ممتد إلى آخر ثالث العيد، وليأكل من أضحيته ويتصدق ويدخر.

(١) روى الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي عليه السلام: ((لا تبيعوا لحوم أصحابكم ولا جلودها، وكلوا منها وأطعموا وتمتعوا)).

(٢) روي قريب منه في الشفاء للأمر الحسين.

(٣) أي: مخصي.

(٤) بَيْنُ الْقَرْنِ. (لسان العرب).

(٥) أَيُّ مُحْتَلِطِ الْبَيَاضِ بِالسَّوَادِ. (مختار الصحاح).

والزموا تكبير التشريق من فجر يوم عرفة إلى بعد صلاة العصر يوم رابع العيد، وهو: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد والحمد لله على ما هدانا وأولانا وأحل لنا من بهيمة الأنعام».

وتجنبوا صوم هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وترفيه على النفس والأهل والعيال والبهائم، ووسعوا في هذه الأيام على فقرائكم وما ملكت أيما نكم، وكونوا بالأخيار مقتدين، وفي مقاصد الرشد مهتدين، وعن سبيل الغواية مقلعين ومجانين، ولثواب الله متعرضين.

عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله فإنها الجواز إلى دار النعيم والمجاز عن درك الجحيم، وأحثكم على الصلاة فإنها باب الملة ومعظم النحلة. ألا ولا صلاة إلا بطهور، ولا صلاة إلا بتام ركوعها وسجودها وأركانها وأذكارها وقراءتها وفي أوقاتها.

وأحثكم على الصيام فإنه جنة من العذاب، وسبب إلى نيل الثواب، فمن أفطر متعمداً غير عذر فقد روي عن النبي ﷺ أنه لم يقضه الدهر. وأحثكم على الزكاة فإنها حق الله في أموالكم معلوم، وفرض في دينكم محتوم، ولا يقبل الله الصلاة إلا بزكاة.

وأحثكم على الحج من استطاع إليه سبيلاً، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين، وإن الحج يجلب الوفر ويسلب الفقر، وأحثكم على صلة الأرحام فإنها مثرة في المال ومنسأة في الآجال، وعلى صدقة السر فإنها تكفر الخطايا وتدفع بغتات المنايا. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولزوال الدنيا أهون على الله من قتل المسلم، ومن أشار إلى قتل المسلم ولو بشطر كلمة لقي الله ومكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله.

ولا تقربوا الزنا فإنه الفاحشة بنص الكتاب والفضيحة يوم الحساب، ولا تقربوا الخمر فإنها تفقد اللب وتسخط الرب، ولا تقربوا الربا فإن ربحه خسران وزيادته نقصان، وإياكم وعقوق الوالدين فإنه من الموبقات المحبطات

للحسَنَات، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وإياكم وأكل مال اليتيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء].

وأحسنوا قضاء الغريم، واتقوا المظالم فإنها ظلمات لا يجلوها إلا الأداء ولا يكشفها إلا القضاء ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨].

وإياكم والبخس في الكيل والوزن قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [١] الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [٢] وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [٣] [المطففين].

وأحثكم على طلب العلم ففي الأثر عن سيد البشر ﷺ: ((من خرج من بيته يطلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع)) (١)، وعنه ﷺ: ((فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)) (٢)، وعنه ﷺ: ((إن الله وملائكته حتى النمل في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير)) (٣).

وقال ﷺ: ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم، وإنه يستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الأرض حتى حيتان البحر وهوام البر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)) (٤) والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

وإياكم واليمين الفاجرة فعن رسول الله ﷺ: ((من أقطع حق مسلم

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن أنس.

(٢) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن أبي أمامة.

(٤) رواه الإمام زيد عليه السلام في المجموع الفقهي والحديثي عن الإمام علي عليه السلام.

بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار)) قيل له: يا رسول الله، وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: ((وإن كان قضيباً من أراك))^(١) حتى قال ذلك ثلاث مرات.

واحدروا الكبر فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر كما جاء ذلك^(٢) عن رسول الله ﷺ. والكبر: هو دفع الحق ورده وعدم قبوله، وهو أيضاً غمط الناس واحتقارهم. وعليكم بحسن الخلق.

هذا، وصونوا ألسنتكم عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور، وإياكم والنفاق فإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وقوموا بأداء جميع الواجبات وتجنبوا جميع المحرمات، وتجنبوا كذلك الشبهات، واعملوا ما دام العمل ينفع وفي الخلاص مطمع وفي العمر مستمتع، قبل حلول الأجل الموعود وورود المنهل المورود فإنكم أبناء أموات وآباء أموات، وعماء قليل أنتم أموات.

واعلموا أن من أهم الواجبات وأعظم القربات موالاة أولياء الله ومعاداة أعداء الله، وأهمها مودة آل رسول الله ﷺ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، فمودتهم فريضة ومتابعتهم في عقائدهم وديندهم أمان من الضلال.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المقبولين في هذا اليوم الأغر، وأن يجعلنا جميعاً من الأمنين في يوم الفزع الأكبر، يوم البعث والنشور، يوم الكشف عن المستور وتحصيل ما في الصدور، يوم أزلفت الجنة فأدريت وبرزت الجحيم فسعرت، وجاءت الحفظة فشهدت، وأقرت الجوارح فنطقت، وهبطت الملائكة وجيء بالنبئين والخصماء والمبطلين وقضى بين خلقه رب العالمين، وأنصف للمظلومين من الظالمين، وحكم بين عباده أجمعين؛ فظهر الفوز والنجاة

(١) ذكره الإمام الهادي عليه السلام في كتاب الأحكام.

(٢) وذلك ما ذكره العنسي في كتاب الإرشاد عن النبي ﷺ أنه قال: ((لا يدخل الجنة رجل في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر)).

للمؤمنين وتبين الخسران للكفار والفساق والظالمين، ونسأله عز وجل أن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن نكون من عتقاء الله من النار ووالدينا ومن له حق علينا والمؤمنين والمؤمنات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، آمين اللهم آمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۖ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۚ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾.
الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر



دائرة عيد الأضحى المبارك

الله أكبر الله أكبر الله أكبر

الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الباري المصور العزيز القهار المتكبر، العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع، الجبار الذي كل جبار له ذليل خاضع. وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا يدفعه عن مراده دافع، الغني الذي ليس له شريك ولا منازع.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله، الذي أنزل عليه النور المنتشر ضياؤه حتى أشرقت بنوره أكناف العالم وأرجاؤه، صلى الله عليه وعلى آله الذين هم أحباء الله وأولياؤه، وخيرته وأصفيائه وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله، نتواصى بتقوى الله فربنا عز وجل قد أمرنا بالتقوى في كثير من آيات القرآن، وإياكم والربا فإنه الشرك الأصغر يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، ويقول عز وجل: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وإياكم وعقوق الوالدين قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وأخفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وقال رسول الله ﷺ: ((من أمسى مرضياً لوالديه أو أصبح - أصبح وله بابان مفتوحان في الجنة وإن واحداً فواحد، ومن أمسى أو أصبح مسخطاً لوالديه أصبح وله بابان مفتوحان إلى النار وإن واحداً

فواحد - فقال رجل: يا رسول الله، وإن ظلمناه؟ - قال: وإن ظلمناه وإن ظلمناه وإن ظلمناه))^(١).

وإياكم والتذمر من النفقة على الأهل والأولاد والتقصير والبخل عليهم في نفقتهم حتى تؤنبوهم عليه خوف إملاق، فإن الله قد تكفل بأرزاقكم وأرزاقهم حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وإياكم والإسراف يقول الله: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ [١] إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [٢] [الإسراء: ٢٩].

وإياكم وإيلام الحيوانات المسخرة لكم بالجوع والتقصير أو الضرب فإن رازقها هو الله الذي بيده خزائن السماوات والأرض: ﴿وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، وتجنبوا الفواحش فالله يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال النبي ﷺ: ((تحرم الجنة على ثلاثة: مدمن الخمر، والمنان، والقتات))^(٣).

ومن الفواحش الشديدة الزنا يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٣] [الإسراء: ٣٤]، ويقول رسول الله ﷺ: ((في الزنا ست خصال: ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فإنها تذهب البهاء، وتعجل الفناء، وتقطع الرزق. وأما التي في الآخرة فسوء الحساب، وسخط الرحمن، والخلود في النار))^(٤).

وروي أن رسول الله ﷺ قال: ((ما ترون في السارق والشارب والزاني؟))

(١) رواه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية عن ابن عباس.

(٢) النمام.

(٣) رواه الإمام الهادي في الأحكام عن الإمام علي عليه السلام.

(٤) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن الإمام علي عليه السلام.

وذلك قبل أن ينزل فيهم قرآن، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: ((هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته)) قالوا: وكيف يسرق صلاته يا رسول الله؟ فقال: ((لا يُتِمَّ ركوعها ولا سجودها))^(١).

وإياكم وقتل النفس بغير حق يقول الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

وإياكم وأكل مال اليتيم، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، ومن أصدق من الله قيلاً.

وإياكم وبخس الكيل والذرع والوزن فقد قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [المطففين: ١-٥].

وقولوا الحق ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وأكثرُوا في هذا اليوم وأمثاله من الصلاة والسلام على نبيكم المصطفى وآله اللهم صل وسلم على خير خلق الله وخاتم رسل الله سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله، وعلى أخيه ووصيه والإمام من بعده أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب، وعلى زوجته الحوراء سيدة النساء، وخامسة أهل الكساء فاطمة البتول الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين والسيدَين الجليلين أبي محمد

(١) رواه الإمام أبو طالب في أماليه عن النعمان بن مرة الأنصاري.

الحسن وأبي عبدالله الحسين، وعلى الإمام الولي التقي ذي الشرف العلي والمنهج الواضح الجلي أمير المؤمنين زيد بن علي، وعلى إمام اليمن محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحق القويم والصراط المستقيم، يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من أئمة الهدى والدين دعاة منهم ومقتصدين، وصل اللهم على أهل بيت نبيك أجمعين، وعلى الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين، وعلى من يستحق الصلاة من المخلوقين.

وارض اللهم عن الراشدين المتقين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم يا كريم، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته، ولا مريضاً إلا شفيته، ولا ميتاً إلا رحمته، ولا طفلاً إلا ربيته وبالعلم النافع غذيته، ولا ضالاً إلا هديته، ولا عدواً ظالماً إلا دمرته وأهلكته، ولا حاجة هي لك رضا ولنا فيها صلاح إلا تفضلت علينا بقضائها يا رب العالمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين -ثلاثاً-.

اللهم انصر الحق والمحقين واخذل الباطل والمبطلين، ودمر أعداءك أعداء الدين، وانصر وأقم شريعة سيد المرسلين، واكسر شوكة الظالمين وألف بين قلوب المؤمنين، اللهم انصر الحق وأهله واخذل الباطل وحزبه، اللهم دمر اليهود والنصارى وأعوانهم، اللهم اخذهم وشتت شملهم، اللهم فرق جموعهم ومزق صفوفهم ووحدتهم، اللهم خالف بين قلوبهم وآرائهم، اللهم اجعل مخططاتهم في تدميرهم حتى يتنازعوا فيفسلوا وتذهب ريحهم، اللهم اجعل قوتهم غنيمة للمسلمين، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر واكف الإسلام والمسلمين شرهم وضرهم وأذاهم، وسلط بعضهم على بعض، وسلط عليهم جميعاً من لا يرحمهم يا رب العالمين، اللهم فرج عن الإسلام والمسلمين، اللهم اسقنا الغيث وأمننا من الخوف ولا تجعلنا من رحمتك آيسين، ولا تهلكننا بالسنين، آمين اللهم آمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر
الله أكبر الله أكبر الله أكبر



بِحَمْدِ اللَّهِ

الفهرس

٦	مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)
١٦	خطبة في توحيد الله عز وجل
٢٠	خطبة فيها تنزيه الله عن الظلم والجور والحث على الأعمال الصالحة
٢٥	خطبة فيها ضرورة الإيمان بالمعاد وأنه السبيل للالتزام الإنسان بمنهج الله
٣٠	خطبة في فضل الصلاة
٣٧	[في آخر خطبة للنبي ﷺ خطبها في المدينة]
٤٢	[في التحذير من الدنيا]
٤٥	فضل النصيحة وحسن المعاملة
٥١	[في بر الوالدين]
٥٨	[خطبة فيما للأبناء على آبائهم]
٦٣	[خطبة في التعريف بالحق]
٦٩	في ذكر الموت وفي الحث على الاستقامة على النهج القويم والصراط المستقيم
٧٤	خطبة الحقوق
٧٨	[في التقوى]
٨٣	[في صفات المتقين]
٨٧	[خطبة في الإخلاص وترك الرياء]
٩٢	خطبة في محاسن الأخلاق نفع الله بها
٩٨	[خطبة حول العقل]
١٠٢	خطبة في فضل الدعاء وأهميته نفع الله بها
١٠٧	في التوبة وصية أمير المؤمنين عليه صلوات الله وسلامه
١١٢	خطبة في فوائد نعمة الحفظ والنسيان
١١٧	[في مكارم الأخلاق]

- [اهتمام الإسلام بمكانة المرأة] ١٢٢
- [في السؤال عن النعيم يوم الحساب] ١٢٨
- [دور المال والعمل والكسب المشروع] ١٣٢
- خطبة فيها تفسير كلمات الزهراء صلوات الله عليها ١٣٨
- في فضل رجب وفيها ذكر إسلام أهل اليمن ومولد أمير المؤمنين عليه السلام ... ١٤٣
- دائرة الجمعة في شهر رجب ١٥٢
- خطبة فيها ذكر ليلة النصف من شعبان ١٥٦
- [الجمعة الأخيرة من شعبان في العدل ولزوم التحلي به] ١٦٢
- [الخطبة للجمعة الأولى من شهر رمضان] ١٦٧
- [دائرة لأول جمعة في شهر رمضان المبارك] ١٧٢
- [خطبة للجمعة الثانية من شهر رمضان] ١٧٦
- [الخطبة الثالثة لشهر رمضان فيها ذكر مقتل الإمام علي عليه السلام] ١٨٣
- خطبة في ذكر ليلة القدر ١٨٨
- دائرة / الجمعة الأخيرة من شهر رمضان ١٩٣
- دائرة آخر جمعة من شهر رمضان ١٩٧
- [خطبة في شهر القعدة فيها نصائح عظيمة وترغيب في الحج] ٢٠١
- خطبة في توضيح منافع الحج وفوائده ٢٠٧
- في فضل عشر ذي الحجة وفضل بيت الله الحرام ٢١٢
- عند قدوم يوم عرفة ٢١٧
- الخطبة الثانية عند قدوم يوم عرفة ٢٢٥
- [دائرة في ذي الحجة] ٢٢٩
- [دائرة في سبب الجذب وشحة الأمطار] ٢٣٣
- دائرة عامة ٢٣٧
- دائرة عامة ٢٣٩
- دائرة عامة ٢٤٣
- دائرة عامة ٢٤٧

٢٥٠	[دائرة عامة]
٢٥٢	دائرة عامة
٢٥٤	دائرة عامة
٢٥٧	دائرة عامة
٢٦٠	دائرة عامة
٢٦٣	[دائرة عامة]
٢٦٨	دائرة عامة
٢٧٢	[دائرة عامة]
٢٧٦	[موعظة ودعاء في العزاء]
٢٨١	رسالة إلى شيعة محمد وآله
٢٨٦	كل ذي نعمة محسود
٢٩٣	[خطبة في عاشوراء]
٢٩٩	[خطبة في ذكرى استشهاد الإمام زيد بن علي رضوان الله عليه]
٣٠٦	[في المولد النبوي الشريف]
٣١٢	[محاضرة الإسراء والمعراج]
٣١٧	[خطبة في ذكرى الغدير]
٣٢٢	[كلمة الحفل في يوم الغدير]
٣٢٨	[خطبة عيد الإفطار]
٣٣٤	[دائرة عيد الفطر]
٣٣٧	خطبة عيد الأضحى المبارك نفع الله بها آمين
٣٤٤	دائرة عيد الأضحى المبارك
٣٤٩	الفهرس